إنه الله جل جلاله

سياحة في الأرض لمشاهدة آثار أسماء الله الحسنى على عباده

الجزء الأول

تأليف

أ.د. محمود عبد الهادي العزاوي
الأستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ⓒدار المأثور للنشر و التوزيع ، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العزواي ، محمود عبدالهادي
إنه الله جل جلاله. / محمود عبدالهادي العزواي - ط١. .- الرياض ، ١٤٤٢هـ

٢مج.

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٣٢٨-٢١-٧ (مجموعة)
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٣٢٨-٢٢-٤ (ج١)

١- الاسماء و الصفات أ.العنوان

ديوي ٢٤١ ١٤٤٢/٨٩٥٩

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٨٩٥٩
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٣٢٨-٢١-٧ (مجموعة)
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٣٢٨-٢٢-٤ (ج١)

(ملاحظة): لا يتم طباعة الجزء الأسفل مع بطاقة الفهرسة

تأمل مكتبة الملك فهد الوطنية تطبيق ما ورد في نظام الإيداع بشكل معياري موحد ، و من هنا يتطلب تصوير الجزء الاعلى بالأبعاد المقننة نفسها خلف صفحة العنوان الداخلية للكتاب ، كما يجب طباعة الرقم الدولي المعياري ردمك مره أخرى على الجزء السفلي الأيسر من الغلاف الخلفي الخارجي .
و ضرورة إيداع نسختين من العمل في مكتبة الملك فهد الوطنية فور الانتهاء من طباعته، بالإضافة إلى إيداع نسخة الكترونية من العمل مخزنة على قرص مدمج (CD) وشكرا ...

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]

إنه اللّه جل جلاله

يجبر المنكسرين

ويعطي المحرومين

ويجيب دعوة المضطرين

ويكشف كرب المكروبين

ويشكر سعي الطائعين

ويحفظ أولياءه المؤمنين

ويتوب على التائبين



المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، ونعوذُ باللهِ من شُرُورِ أَنْفُسنِا وسيئاتِ أعمالِنَا، من يهدِه اللهُ فهو المهتدِ، ومن يضللْ فلا هادىَ له، وأشهدُ أن لَا إلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وبعد:

ૐ هل عايشتها؟ ૐ

لا شك أنَّ كلًا منَّا يعلم أنَّ لله أسماء حسنى وصفات عُليا، وجزمًا بعضنا يحفظها، والبعض الآخر يحفظ بعضًا منها، وربما البعض منا قرأ معانيها وشروحاتها.

لكن هل عشت معانيها؟

هل شاهدت آثارها في نفسك وفي الكون من حولك؟

هل تأملت ثمرتها على واقعك الذي تعيشه في دنيا الناس؟

صدقني ربما للوهلة الأولى ستقول لا.

وأنا أجزم أنه لا يمر عليك يوم بل ولا لحظة إلا وأنت تشاهد آثارها في حياتك، لكن ربما لم تنتبه لذلك.

وفي هذه الصفحات سأطوف معك مع بعض أسماء الله الحسنى، لكن حديثي عنها لن يكون بالطريقة التي سلكها علماؤنا ومشايخنا قديمًا وحديثًا.

سأتناولها من طريق آخر، وهو من خلال بيان آثار تلك الأسماء وشواهدها في دنيانا التي نعيشها.

سأخوض معك في قصص عشنا بعضها، وعايشنا البعض الآخر منها، وشاهدنا بعضها، وسمعنا عن البعض الآخر، وكلها شاهدة على آثار أسماء الله الحسنى على عباده.

ستجد اسم الله الشاكر والشكور يظهر لك شكره

سبحانه لعباده على ما قاموا به من أعمال صالحة، مع أنه هو الذي وفقهم لهذه الأعمال الصالحة.

فتجد الشاكر الشكور وَفَق عباده الصالحين للأعمال الصالحة، وشرح صدورهم لها، ورزقهم حلاوتها.

وبارك لهم فيما رزقهم من العافية والمال والسعادة، والثناء الحسن على ما قاموا به من أعمال جليلة، وبقاء آثارهم شاهدة على ما قدموه في دنياهم، مع ما يعود بالنفع عليهم وهم في قبورهم، حسنات تغمرهم ودرجات ترفعهم وهم نِيام رقود، وألسنة تلهج بالدعاء لهم أحياءً وأمواتًا، وتقبل منهم صالح أعمالهم، وأثابهم عليها في الآخرة بما يرضيهم في دار كرامته.

وتجد اسم الله القدير الذي تظهر لك قدرته في تحقيق بعض الكرامات التي إذا نظرت إليها قلت: من المحال تحقيقها، فتشاهد بأم عينيك قدرته في تحقيق ما ظننته مستحيلًا.

ستجد اسم الله الحكيم ظاهرًا لك في بعض القصص، فتجد أنه يمنعك لحكمة ويعطيك لحكمة أخرى، ربما لا تظهر لك الحكمة في أول الأمر، وتظهر لك بعد حين، وهنا تتعجب وتقول سبحان ربي الحكيم.

وتمر عليك قصصٌ يظهر لك اسم الله الجبار، فيجبر قلوبًا قد كُسرت، ويعوضها خيرًا مما أخذ منها.

ثم تُظهر لك بعض قصص الآخرين اسم الله اللطيف، فترى أثر لطفه على قوم فيصرف عنهم ما يلحق الضرر بهم.

وتجد اسم الله الغفور التواب الرحيم، الذي يغفر ذنب من تاب، ويقبل توبة من تاب، ويعفو عمن أناب، وقرع باب التواب، فيجد الرحمات والبركات.

وهكذا تتجلى لك آثار رحمة الله على عباده، ولطفه، وحكمته، وجبره، وانتصاره للضعفاء وجبره للمنكسرين، وإعطائه للمحرومين، وهدايته للتائهين.

الهدف الأسمى

سطرت تلك الكلمات لتخفيف بعض آلام المتألمين، وأوجاع المتوجعين، وتجفيف دموع الباكين، وجبر قلوب المنكسرين، وبيان كرم أكرم الأكرمين وأجود الأجودين وأرحم الراحمين.

كتبت تلك الصفحات لتكون نبراسًا تضيء الطريق للحائرين، وترشد التائهين، وتشحذ همم الخيرين، وتوقظ النائمين ليسلكوا طريق المجدين.

كتبتها لأدل المخلوقين على خالقهم، وذلك ببيان بعض آثار رحمته على عباده المشاهدة في دنيا الناس، وامتنانه وفضله على خلقه، ليتعلق القلب بالخالق، فيعرفوه حق المعرفة.

وتدفعهم تلك المعرفة إلى حبه وتعظيمه وتوقيره والخوف منه والطمع فيما عنده، وشكره على ما تفضل به وأنعم، والرضا بما قضاه وقدره، فكل ما قدر إنما

لحكمة قضاها.

فإذا استقرت تلك المعاني في النفوس وتشرَّبتها القلوب أَنِست بمولاها، وخضعت الرقاب لخالقها وانقادت الأرواح لباريها ورازقها ومدبر أمرها، وسعد العباد في الدارين سعادة لا شقاوة بعدها أبدًا.

هل يشقى؟

وكيف يشقى قلب يعرف خالقه ويؤمن به، ويراقبه، ويعبده ويخضع وينقاد له؟

يأنس بذكره، ويستشعر قربه، وفضله ومنِّه عليه.

يعرف نعمه التي لا يستطيع عدها ويشكره عليها..

وحتى لا أطيل عليكم تعالوا بنا لنرى بعض آثار أسمائه على عباده في صفحات هذا الكتاب.

ﷻ أمنية ورجاء ﷻ

أسأل الله أن ينفع بتلك الكلمات الكاتب والقارئ، وأن يفتح لها فتحًا تعم به أرجاء المعمورة، وأن ينفعنا بها يوم يقوم الأشهاد، وأن يغفر للمسلمين والمسلمات، وأن يرزقنا وإياكم ووالدينا وأهلينا وذرياتنا ومن نحب الفردوس الأعلى من الجنة من قبل سابقة عذاب ولا حساب، وأن يرضى عن الصحب الكرام ومن تبعهم بإحسان، وصلِّ اللهم على نبينا محمد عدد ما خلقت.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أبو عبد الله

محمود بن عبد الهادي العزاوي

اللهم اغفر له ولوالديه وللمسلمين

إنه اللّه جل جلاله

الشاكر

يمدح من أطاعه ويثني عليه

ويجازي على العمل وإن قلَّ

ويقابل شكر النعم بزيادتها

والأجر في الآخرة.

الشكور

يزكو عنده القليل من أعمال العباد

ويضاعف لهم الجزاء

فشكر اللّه للعبد إثابته على الشكر

وقبول الطاعة منه.

هل تأملت معي هذين الاسمين من أسماء الله تعالى «الشاكر والشكور»؟

في صلاة الفجر

أذكر ذات يومٍ من الأيام وأنا أصلى صلاة الفجر يوم الجمعة، وكان الإمام ممن يحرصون على تطبيق السنة في قراءة سورتي السجدة والإنسان في صلاة فجر يوم الجمعة.

وفي قراءة الإمام أسمع منه قول الله لأصفيائه المؤمنين بعد دخولهم الجنة، وبعد أن ذكر ما أعده لهم وما كافأهم به من ثواب جزيل وعطاء عظيم على أعمالهم التي عملوها في الدنيا، ختم الآيات بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢].

فقد أجزل لهم الشكور الثواب والعطايا بالتفضل عليهم بإدخالهم الجنة والتنعم فيها.

ثم شكر الشكور سعي عباده الصالحين قولًا فقال

لهم ﴿وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾.

عندها وجل قلبي، واقشعر بدني، وذرفت عيني، وأحسست بشعور لأول مرة أشعر به مع أن الآية سمعتها من قبل مئات المرات.

فقلت في نفسي: ربنا الشكور يقول لعباده وهو صاحب الأفضال العظام والعطايا الجزال، ﴿وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾.

النعم التي يعيشها كل العباد منه سبحانه وتعالى، والفضل يرجع إليه، خيره إلى العباد نازل وشرهم إليه صاعد، ومع ذلك يقول لعباده: ﴿وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾، فقلت: سبحانك من رب شكور.

لقد تأملت هذا الاسم العظيم فوجدت أثر شكره لعباده جلي في جميع شؤونهم، وسأذكر بعض جوانب شكر الله لعباده.

المقابل كبير

يشكرهم فيضاعف لهم الحسنات، أعمال صالحة يؤدونها بجهد قليل ومع ذلك المقابل عظيم، إنه الرب الشكور.

يوفقك للعمل الصالح، لولا فضله عليك للقيام بتلك الأعمال الصالحة ما أقدمت عليها، ومع ذلك يشكرك فيجزل لك الثواب الجزيل.

تعصيه وتخالف أوامره ثم تندم وتقلع عن ذنبك وتعود إليه فيفرح بك ويتوب عليك ويبدل سيئاتك حسنات، سبحانه من رب شكور. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨- ٧٠].

يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها أو عند غرغرة روحك وخروجها وتَيقُّن موتك.

تتوضأ فتتساقط ذنوبك الصغائر وتخرج من بين أعضاء بدنك المغسولة.

تلك الذنوب التي أقدمت عليها واقترفتها تخرج بمجرد مرور الماء عليها.

ردد معي وقل: سبحانك من رب شكور.

تذكر الدعاء المأثور بعد الانتهاء من الوضوء تفتح لك أبواب الجنة الثمانية، ففي الحديث: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»(١).

سبحان الرب الشكور.

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٣٤).

تتوضأ في بيتك، ثم تخرج لأداء الصلوات المكتوبات في المسجد، لا يُخرجك إلا الصلاة، لك بكل صلاة أجر الحاج المحرم، ولك بكل خطوة تخطوها إلى المسجد حسنة والأخرى تحط عنك خطيئة.

تدخل المسجد تبش الملائكة في وجهك وتستغفر لك ما دمت في مُصلاك، تقول: « **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ** »(١).

تدخل في الصلاة فتقرأ الفاتحة فيكلمك ربك ويقبل عليك ولا يصرف وجهه الكريم عنك إلا إذا صرفت أنت وجهك عنه.

تركع وتسجد فتوضع ذنوبك على عاتقك، فإذا ركعت وسجدت تساقطت ذنوبك، ففي الحديث «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ أَتَى بِذُنُوبِهِ كُلِّهَا فَوُضِعَتْ عَلَى**

(١) أخرجه: البخاري رقم (٤٤٥)، ومسلم رقم (٦٤٩).

عَاتِقَيْهِ، فَكُلَّمَا رَكَعَ أَوْ سَجَدَ تَسَاقَطَتْ عَنْهُ»(١)، هل يبقى شيء على عاتقك إذا ركعت أو سجدت؟!

ماذا بعد هذا الكرم والجود، لا عجب من ذلك إنك تتعامل مع الرب الشكور.

كرم الكريم

تنفق من مالك فتكون المكافأة من رب شكور يأخذها بيمينه ويربيها لك كما يربي أحدكم فلوه، يضاعفها إلى سبعمائة ضعف.

سبحانك من رب شكور إذا أعطى أكرم، وإذا أكرم أدهش، وإذا وهب أذهل العقول، وأسر القلوب.

تصوم يومًا في سبيله فيصرف عنك النار سبعين خريفًا، ويكرم المكثرين من الصوم بباب يختصهم بالدخول منه وحدهم دون غيرهم وهو باب الريان،

---

(١) أخرجه: ابن حبان رقم (١٧٣٤)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة رقم (٢٩٣)، والبيهقي في الشعب رقم (٢٨٧٧).

ويجعل لهم دعوة لا ترد، وخلوف أفواههم حين يمسون في صيامهم أطيب من ريح المسك.

تحج فترجع من ذنوبك كيوم ولدتك أمك، ويكافئك الشكور بأن الحج المبرور ليس له جزاء عنده إلا أن يُكرم صاحبه بجنة عرضها السماوات والأرض.

ينزل سبحانه وتعالى نزولًا يليق به إلى السماء الدنيا في كل ليلة فينادي هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من كذا هل من كذا؟ حتى يطلع الفجر.

تستيقظ من نومك في الثلث الأخير وتنفض غبار النوم عن عينيك وتتجشم مشقة الوضوء في البرد القارص فيشكرك ويستجيب دعواتك.

بل ويكافئك على عملك الذي خصك به دون غيرك بطرق بابه، والدخول ضمن أوليائه المختصين بفضائل تلك الساعات.

والمحروم من حرمه الله، والموفق من أوقفه بين

يديه، وأعانه على ذكره، والتذلل بين يديه.

تتقرب إليه بالنوافل من صلاة وصيام وصدقة وتلاوة قرآن وبر للوالدين وإحسان إلى خلقه يحبك ويشكرك ويوفق أعضاءك لفعل طاعاته والتلذذ بها واجتناب المحرمات وبغضها والنفور منها، ما أكرم ربنا.

تقرأ القرآن وتحفظه وتعمل بما فيه فتلازمك سعادة في النفس وراحة في البال، ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١ – ٢].

يصطفيك لسماع قرآنه وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وحمل كتابه في قلبك، ويجزل لك العطاء لأنه الشكور، فهنيئًا للمكثرين من تلاوته وسماعه، فقد اختارهم وفضلهم على غيرهم بهذا الاختيار، قال الله لنبيه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣].

۞ المعاملة بمثلها وزيادة ۞

تنفق ينفق عليك، تفرج كربات المكروبين فيفرج كربك، تحسن إلى خلقه فيحسن إليك، تسعد عباده فيسعدك، تيسر على خلقه فييسر عليك، تشكرهم فيشكرك، تمد يد المعروف إليهم فيسدل إليك معروفه.

إنه الشكور وأقول كما قال القائل بكل عز وافتخار وأتذلل له سبحانه وتعالى وأناديه، يا رب يا خالقي ورزاقي ومدبر أمري «**كفى بي عزًا أن أكون لك عبدًا، وكفى بي فخرًا أن تكون لي ربًا، أنت كما أحب فاجعلني لك كما تحب**».

۞ التوفيق والشقاوة ۞

تبر والديك فيشكرك ويعصمك من الشقاوة ويجعل التوفيق يلازمك في حياتك، ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]، فهنيئًا للبارين بوالديهم.

وكأن النجاح والتوفيق والسداد كله جُعل للبارين،

فما أعرف أحدًا وفق في حياته إلا وكان بر الوالدين السبب الأكبر في هذا التوفيق.

وعلى النقيض ما رأيت تعيسًا شقيًا في حياته الدنيوية إلا وكان لعقوق الوالدين السبب الأكبر في تلك الشقاوة.

ॐ أصابه الخير ॐ

بُني أتحب أن أرضى عنك؟

هذا شاب في ريعان شبابه، تتغير اهتماماته ورغباته وفقًا لرغبات والده واهتماماته، فأصابه خير الدنيا، ونسأل الله أن يصيبه خير الآخرة.

كان هذا الشباب مولعًا بالتجارة من صغره، عمل في عدة مجالات، ووفق في تجارته، وفاق أقرانه.

ويأتي التغيير المفاجئ في حياته، وتتغير الاهتمامات.

بعد أن انتهى من دراسته الجامعية، وإذا بوالده يحاوره حوارا هادئًا، ويعرف مدخله، فيدخل له من مدخل يحقق له ما يريد.

الوالد: أي بُني: هل تُحب أن أرضى عنك؟!

الشاب متعجبًا من السؤال: نعم أبتاه. وهل هذا يحتاج إلى سؤال، هذا مُسلم به.

ولِمَا يا أبي تسأل هذا السؤال؟!

الوالد: إن كنت تريد رضاي فأكمل دراستك الماجستير والدكتوراه، أنت الوحيد ضمن إخوانك أملي بأن ينفع الله بك.

☸ عرض مغري ☸

الشاب يتأمل هذا العرض الذي لا يتركه عاقل لكنه شاق ولابد فيه من تضحية كبيرة.

رضى والدك متوقف على إكمال دراستك.

ويدور في مخيلته ويقارن بين الطريق الذي سلكه طريق التجارة المال، وما أدراك ما المال؟

لقد دخل هذا الطريق وأجاده وتميز فيه، وعرف مداخله ومخارجه، وفاق أقرانه.

ما الذي سيجنيه من تلك الدراسة؟

خاصة أن من يحصل على الدرجة العلمية وقتها، وهو على رأس وظيفته يزداد راتبه بعلاوة لا تتجاوز الدولار الواحد فقط، إذًا ما الفائدة من هذا التعب؟

ॐ المقابل يستحق ॐ

لكن المقابل لذلك بعيدًا عن الكسب المادي، أو المعنوي، وبعيدًا عن الخسارة التي ربما يتكبدها في تجارته بسبب انشغاله بدراسته عنها، بعيدًا عن كل هذا فإن رضا والده متوقف على إكمال دراسته، فقد جعل رضاه في إكمال دراسته وعدم الانشغال عنها، إن المقابل يستحق.

ॐ سبب للتوفيق ॐ

فرضا الوالدين سبب التوفيق والنجاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

وهنا يأخذ القرار الصعب في مسيرته فيقدم رضا

الوالد الذي هو من رضا الله على حظوظ نفسه، ويبدأ في طريق الدراسة والعلم ويترك التجارة، ويعيش مع زوجته عيشة متواضعة، إلى أن انتهى من دراسته، ويحصل على درجة الماجستير والدكتوراه في مدة وجيزة.

۞ احفظ هذا ۞

وسبحان الله الذي يعوض من ترك شيئًا من أجل خالقه بأفضل منه.

فمن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه.

احفظ هذا ولا تجعله يفارق مخيلتك أبدًا.. احرص على تطبيق هذا في حياتك.

ليكن رضا ربك والتقرب إليه بطاعته وترك مخالفة أوامره هو المقدم على كل شيء.

مقدم على رغباتك وأهوائك.. وأبشر بكل خير.

۞ الجزاء المُعجل ۞

فما ينتهي من الماجستير إلا ويصدر قرارٌ وزاريٌ بمنح كل من يحصل على درجة الماجستير مكافأة شهرية مقدارها مائة جنيه ومائتين لمن يحصل على درجة الدكتوراه.

ثم لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل ما إن انتهى من دراسته وبعد ثلاثة أشهر من حصوله على الدرجة العالمية الدكتوراة إلا وكانت المنحة من الرب الكريم.

يأتيه عرض في إحدى كبرى الجامعات خارج دولته، ويذهب للمقابلة ويُسر به المسؤول، ويذهب للعمل في تلك الجامعة، ويفوق أقرانه في تخصصه، ويكون له شأن، ويتحسن وضعه المادي، ويكون حاله أفضل بكثير مما كان عليه في السابق.

هذا بخلاف المكانة العلمية والاجتماعية المرموقة.

وأحسب أن هذا الخير الذي أصابه هو بتقديمه

لرغبة والده على رغبته، ومراده على مراد نفسه، وترك التجارة طاعة لوالده مع مشقة هذا القرار، فعوضه الله خيرًا مما تركه.

وكان من فضل الله عليه أن تصدر له مؤلفات وموسوعات علمية، طبع منها ملايين النسخ، وبعضها ترجم للغات عدة.

وما أدراك؟

إنه بر الوالدين وما أدراك ما بر الوالدين؟!

ما تجد موفقًا ومسددًا في الحياة إلا وتجد لبر الوالدين الأثر الأكبر في هذا التوفيق والسداد والسعادة.

وعلى النقيض مما سبق لا تجد تعيسًا وشقيًا في الحياة الدنيا إلا وتجد لعقوق الوالدين الأثر الأكبر في هذا الشقاء والتعاسة.

﷽ اختر لنفسك ﷽

فاختر لنفسك أي الطريقين تسلك.

والعاقل هو من يختار الطريق الأول.

فهنيئًا لكل بار بوالديه.

والويل لكل عاق لوالديه.

جعلنا الله وإياكم من البارين بآبائهم وأمهاتهم.

﷽ بار وعاق ﷽

والدتهم واحدة والتعامل مختلف

رأيت أخوين فقيرين أكرمهما ربي إكرامًا عظيمًا لما أكرموا والدتهم مع أن علامات الاستقامة ليست ظاهرة عليهما، وقد بلغ البر بهما بعد أن وسع الله عليهما أنهما يتناوبان بتكفل عمرة والدتهما كل عام بتكلفة ربما تتجاوز الثلاثين ألفًا في العام الواحد، مع أنهما لم يعتمرا ولا مرة في حياتهما، لكنهما يعلمان رغبة والدتهما في هذا العمل وحبها له، ففتحت لهما الدنيا، وصب الله عليهما

الخير صبًا.

ورأيت أخاهما الأكبر قد فتحت له الدنيا، وكان يعيش في رغد من العيش، واستقرار أسري، إلا أنه كان عاقًا لوالدته، فنزع منه هذا الخير، لدرجة إنه باع مسكنه وباع مصدر دخله، ورأيت من يجمع له المال لمساعدته، فضلًا عن المشاكل الأسرية والصحية التي واجهته وأسرته.

فأنصحك نصيحة المحب أكرم والديك وأحسن إليهما تسعد في الدارين.

۞ الجزاء بالمثل وزيادة ۞

بارة بأم زوجها، رأيتها تحسن إلى أم زوجها إحسانًا عظيمًا، وكانت قد جاوزت الثمانين فتقوم بخدمتها، والقيام على شؤونها، وتلبية جميع حاجاتها، وجبر خاطرها ولو كان ذلك على حساب أبنائها.

فإذا جاءت بنات هذه العجوز وسألن عن حاجاتها، فتقول: أم فلان لا تجعلني أحتاج شيئًا، ثم تغمرها

بدعوات متتابعات هي وأبناءها.

❁ رد الجميل ❁

فيشكرها الشكور فيجازيها بجميل ما صنعت، وترزق بزوجات أبنائها فيقمن على خدمتها ويجبرن خاطرها ويتمنين رضاها.

وتتعجب إن علمت أن إحداهن طبيبة، والأخرى معيدة في الجامعة، أما الأبناء فمن أبر الناس بوالدتهم، فضلًا على أن جميع أبنائها أعضاء نافعون في مجتمعاتهم من أهل الصلاح والقرآن، ومستورين في الدنيا أغناهم الله عن الحاجة والفاقة، ولعلَّ كل هذا الخير الذي أصابهم بدعوات جدتهم، وصلاح الأبوين، إنك تتعامل مع رب شكور.

❁ بارًا بأمه ❁

تكبر والدته فيذهب بصرها، فيقوم على خدمتها ويلازمها حتى تموت، ويمتنع عن الزواج حتى لا يقصر

في حقها أو تضايقها زوجته، وبعد موتها يتزوج وينجب أبناء وبنات، ثم رأيته في كبره جاوز الثلاث والثمانين سنة أصابه الشلل فلازمه الأبناء والبنات وتناوبوا على خدمته، البنات بالنهار والأبناء بالليل، إلى أن قضى نحبه، وانتقل إلى قبره، ومات في عصر يوم الجمعة بعد أن رفع سبابته ونطق بالشهادتين، سبحانك من رب شكور، «**بروا آباءكم تبركم أبناؤكم**» شاهدت هذا بأم عيني.

أنفق أُنفِق عليك

كم مرة أنفقت فجاءتك أرزاق أضعاف مما أنفقتها؟ ألم أقل لك إنه رب شكور.

تقول إحداهن كنت في الحج فجاء فقير سائل متذلل، تظهر عليه آثار الحاجة والمسكنة والصدق فيما ادعاه.

فأثَّر في وأحسست بحاجته وصدقه، فأخرجت له مبلغ خمسمائة ريال وأعطيته له، فأخذه فلم يصدق أن

يعطيه أحد هذا المبلغ بعد أن نظر فيه وتأمله.

تقول: فابتعد عني ورفع يديه إلى السماء وأخذ يتمتم بدعوات لا أعرف ماذا قال.

ثم تقول: لم ينتهِ شهر ذي الحجة إلا وجاءني خبر فوزي بجائزها قدرها خمسمائة ألف ريال.

أنفقت خمسمائة ريال فجاءها خمسمائة ألف، فضلًا عن القدر المعنوي لهذه الجائزة.

أتدري كم ضعف ضاعفه لها الشكور؟ ألف ضعف لما أنفقت.

ألم أقل لك أنك تتعامل مع الشكور، وصدق الله حين قال: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]. فأنفق يُنفق عليك، ولا تخف من ذي العرش إقلالًا.

أسعدت هذا المسكين الفقير فأسعدها الله.

أعطته ما لم يكن يتوقعه فأعطاها الله أضعاف ما لم تكن تتخيله، والجزاء من جنس العمل.

ॐ أكرم تُكرم ॐ

رق لحالها

وهذا يمر بجوار امرأة مسكينة تدفع عربة تبيع عليها بعض الأغراض وهي منحنية الظهر مهلهلة الثياب مشققة القدم، أثر الفقر فيها، فرق لحالها وتذكر أن الحاجة دفعتها وهي في هذا العمر إلى الإقدام على هذا العمل الشاق عليها، فأخرج كل ما في جيبه وأعطاه لها وانصرف وقد تمزق قلبه حزنًا وكمدًا على حالها.

يقول: فلم يمر الشهر إلا وقد نزل في حسابي مبلغًا كبيرًا من المال لم ينزل لي من قبل ولم أكن أتخيل أن ينزل هذا المبلغ.

ॐ مسكين طرق الباب ॐ

طرق بابهم سائل فنظرت في محفظة النقود فلم تجد إلا مائة ريال وكان هو آخر مبلغٍ من المال في بيتها، فأخرجته وأعطته المسكين، وهي على يقين أنه لن يمر عليها اليوم إلا سترزق بأضعافه.

وبالفعل بعد ساعات إذا بشيك بنكي بألف ريال يأتيهم مقابل عمل قام به الزوج، يرزقه الكريم بعشرة أضعاف ما أنفقت، إنه الرب الشكور الكريم.

فأنفق يا ابن آدم ينفق عليك، وأكرم عباد الله يكرمك مولاك، وأسعد الآخرين يسعدك من يملك السعادة، وفرج كرب الناس يفرج الله كربتك.

يتجاوز عن المعسرين

تاجر من التجار كان يقول لصبيانه وهم يجمعون المال الذي له عند الناس إذا وجدتم معسرًا تجاوزوا عنه، لعل الله يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز عنه..

فأكرم الأكرمين أحق بذلك منه، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَلَقِيَ اللهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ**»(١) سبحانك من رب شكور.

(١) أخرجه: البخاري رقم (٣٤٨٠)، ومسلم رقم (١٥٦٢).

ﷺ تصدق بماله ﷺ

رجل بني لله بيتًا بكل ما جمع من مال، أنفق جميع ماله في هذا المسجد، ولم يكن له مال غيره، فيكافئه الشكور ويلهمه بالعمل في التجارة ويوفقه فيها، ويغدق عليه من واسع فضله، ليكون من أكبر التجار فيما بعد، حيث تجد إقبالًا منقطع النظير على تجارته.

وآخر أعرفه تأثر بموقف معين فأنفق جميع ماله في أبواب الخير فلا تمر عليه سنوات إلا وأتته الدنيا وهي راغمة، وصب عيه الخير صبًا، وعوضه الله أضعاف ما أنفق، فكان من الأغنياء، أسأل الله أن يبارك له وأن يتقبل منه وأن يجعله من أهل الفردوس هو ومن على شاكلته.

إنه الشاكر الشكور سبحانه وتعالى.

ﷺ يُحسن فيحسن إليه ﷺ

يكثر من الإحسان إلى الفقراء وكفالة الأيتام وصلة الأرحام والوقوف بجوارهم فيفتح الله له ليكون له

مشاريع كثيرة ناجحة يفوق أقرانه التجار.

ॐ فقر وغنى ॐ

أجلس مع أحد أصهاري وهو رجل أعمال فيذكر لي متعجبًا أن فلانًا بن فلان الذي يعمل في نفس مجال عمله يبيع بضاعته أغلى من غيره ومع ذلك لا يبقى منها شيئًا، ولا أحد يستطيع أن ينافسه في هذا المجال، فقد اكتسح السوق، ولم يستطع أن يغطي جميع احتياجات زبائنه، وعلى حد تعبيره هناك بضاعة أعلى جودة من بضاعته وأقل سعرًا تترك وتباع بضاعة هذا الرجل.

ॐ أخبرك بالسر ॐ

والسر في ذلك أنا أعرفه جيدًا إنه يتعامل مع الرب الشكور.

طبعًا أن أعرف الرجل الذي ذكره وأعلم بقصته كاملة، وقد التقيته، رجل بسيط متواضع من أكابر رجال الأعمال، ثروته تقدر بالمليارات، بعد أن كان فقيرًا لا

يملك شيئًا.

﷽ وكانت البداية ﷽

فقير نشأ وبعد أن تخرج من جامعته بدأ في مشروع وجعل عشرة في المائة من ربح المشروع للفقراء والمحتاجين، ثم وجد البركة والنماء الذي لم يتوقعه، فزاد في نسبة الفقراء إلى أن وصل خمسين في المائة، النصف له والنصف الآخر يجعله للفقراء، وفي آخر حياته فيما علمته أنه أوقف جُل ماله للأعمال الخيرية.

النسبة صفر

استطاع بفضل الله أن يصل بنسبة البطالة والفقر إلى العدم.

فأنشأ جمعية واستطاع بفضل الله الشكور أن يحول قريته الصغيرة من بلد مستهلك إلى بلد منتج، حول الأيدي العاطلة إلى أيدي عاملة، فمنح أموالًا لمشاريع تنموية، فأخذ يعلم العاطلين في مصانع وزودهم

بمعدات وأخذ الناتج منهم وجهز خط توزيع لتلك المنتجات.

وأنشأ صندوقًا للمشاريع الصغيرة الناشئة، وصندوقًا للقرض الحسن للمحتاجين، وجعل مساعدات لطلبة العلم المتميزين، وأنشأ معاهد دينية على نفقته الخاصة وأحضر فيها أفاضل المعلمين وأفاضل الطلاب وجعل مكافآت لكل منهم.

ساعد في بناء المعاهد الدينية في البلدان المجاورة، يجمعون نصف المبلغ وهو يتكفل بالنصف الآخر، ويقوم بتزويد المنشأة التعليمية بمقاعد الدراسة في كل معهد يحتاج إلى ذلك.

أنشأ في قريته عدة فروع لعدد من الكليات لخدمة وطنه، فحول قريته من قرية مغمورة إلى قرية عالمية يدرس فيها الطلاب من كل أنحاء وطنه بل ومن خارجه.

استطاع أن يجعل نسبة البطالة والفقر في بلده صفر، حيث لا يوجد عاطل واحد ولا فقير واحد، فكل أهل

القرية إما يعملون في مشروع، أو لهم مشروع خاص أو محل أو سكن يؤجروه للطلبة الوافدين من خارج القرية بسبب تدفق الطلاب للدراسة في الجامعة التي بناها في قريته.

النهاية الموفقة

لم يرزق بذرية، ولعل هذا من إرادة الخير له، فأوقف جُل ماله لأعماله الخيرية.

كان يوم جنازته يومًا مشهودًا، حضرها أكثر من مائة ألف ليصلوا عليه ويشيعوا جنازته.

حتى إنك لا تجد موضع قدم في الجنازة من شدة الزحام، ورحم الله الإمام أحمد بن حنبل حين قال: موعدنا يوم الجنائز.

تخليد الذكرى

إنه الرب الشكور، وقاه شح نفسه، فوفقه لعمل الخير، ونماه له، وبارك له فيه، وخلد ذكره إلى أن يرث

الله الأرض ومن عليها بأعماله التي عملها.

يترحم عليه جميع من يعرف قصته، ذاع صيته بعد موته، حتى ذُكرت قصته في أكثر من قناة تلفزيونية داخل وطنه وخارجه، وبث مشاهد من جنازته ليشاهدها العالم ليترحم عليه خلق كثير.

فرحمه الله رحمة واسعة ورضي عنه وأرضاه، وتقبل منه ومن على شاكلته من عباد الله الصالحين ممن وقفوا أموالهم وأنفسهم ابتغاء وجه الله الكريم.

وحفظ الله أوقافهم التي أوقفوها من أيدي العابثين وظلم الظالمين وإجرام المجرمين وإفساد المفسدين وحسد الحاسدين.

۞ غير الموفق ۞

ربما سمعت أنا وأنت عن قصص كثيرة لرجال أعمال أنفقوا أموالهم على شهواتهم وملذاتهم، فأنفقوا المليارات في أعمال لم تنفعهم في آخرتهم، بل كانت نقمة عليهم، حتى أنك ربما سمعت عن الذي دفع

لمطلقته عارضة الأزياء ملايين الدولارات، والذي دفع للزواج من راقصة ملايين الدولارات، وهكذا.

وبعضهم كان هذا المال وبالًا عليه في آخرته فجمعه من حرام أو أنفقه في حرام، أو لم يؤدِ حق الله فيه.

وتجد الكثير منهم جمع كثيرًا من الأموال فتركها لورثته، ولم ينتفع منها بشيء، فيحاسب عليها كلها ويتمتع بها الأبناء والذرية.

والموفق من وفقه الله لإنفاق المال في أبواب الخير، وقدم ماله لينتظره في آخرته ويجنى ثمرته.

يبيع جزءًا من مسكنه

أذكر جدي لأمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل موته باع قرابة ثلث بيته، وكان البيت كبيرًا، وتصدق بثمنه في أبواب الخير، وقال هذا الذي ينفعني بعد موتي، فلن أنتظر من أحد شيئًا، وما أدري هل يتصدق عني أبنائي أم لا؟

ॐ وصدق جدي ॐ

نعم لقد صدق جدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقولته: وما أدري هل يتصدق عني أبنائي بعد موتي؟

فقد سمعت عن هذا الرجل الذي ورث من والده أربعين مليون ريال، وجاء صديق والده طالبًا منه أن يدخل معه في مشروع خيري ويتصدق على والده بعشرين ألف فرفض.

وبعد إلحاح شديد من صديق والده قبل أن يعطيه المبلغ من أجل خاطره فقط.

وأمثلة هذا الصنف أكثر من أن تحصى في هذه الورقات.

ॐ احذر أن تكون منهم ॐ

فكن كيسًا، واحذر من أن تكون من هذا الصنف الذي بخل على نفسه، ولم يقدم لليوم العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين، فتندم يوم لا ينفع الندم، ﴿يَقُولُ

يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤].

يومها يتندم على عدم النفقة ولن ينفعه ندمه، ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

وأنَّى يكون له ذلك، فقد قضي الأمر وانتهت فترة الاختبار، وقد حسم بقوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١].

وصية فالزمها

فاحرص على الانتفاع بمالك وقدمه ليكون بين يديك يؤنسك في قبرك.

وقدم مشاريع وأوقاف يعود عليك خيرها بعد موتك فتكون صدقة جارية عليك لا تنقطع عنك أبدًا.

ﷺ مشروع حياتك ﷺ

فرحم الله من قدم لآخرته في دنياه، فوفقه ربه لفعل صدقات جارية تدر عليه الأجر وهو تحت الثرى، فكم من موتى وهم بين الناس أحياء؟ وكم من أحياء وهم في عداد الموتى؟

ﷺ شغوف ببناء المساجد ﷺ

بعض الأخيار شغوف ببناء المساجد حتى بنى بعضهم أكثر من مائة وخمسين مسجدًا، وبعضهم أكثر من أربعمائة مسجدًا، كم هو موفق من قام بمثل هذه الأعمال؟

التقيت شابًا تظهر عليه علامات الصلاح منذ أكثر من عشر سنوات فأخبرني أن فلانًا وذكر اسمه وهو رجل أعمال أعرفه، قد فَرَّغَه لمهمة واحدة بعد أن زوده بسيارة وراتب شهري مجزٍ يكفيه وأسرته، مهمته فقط الإشراف على المساجد التي يقوم ببنائها.

وأخبرني بأن ما بناه وصل ثمانين مسجدًا حتى الآن داخل وطنه، وكان يحرص أن تبنى هذه المساجد على السُّنة، ويبحث عن البلدان التي ليس فيها مساجد على السُّنة فيقوم ببناء مسجد فيها.

وكان حواري معه هذا قبل أكثر من عشرة أعوام، علمت فيما بعد أنه اتجه للعمل في أفريقيا وقد بنى فيها الكثير من المساجد، وتكفل بنفقات الكثير من الدعاة، وأعطى الكثير من المحرومين، وأطعم الكثير من الجوعى، وحفر الكثير من الآبار، ولا يحضرني العدد وإلا لكنت أخبرتك به.

۞ يتعامل مع من؟ ۞

إنه يتعامل مع الرب الشكور الذي وفقه لهذا العمل الذي يعد من أفضل الصدقات الجارية التي ينتفع بها في حياته وبعد مماته.

هو الذي أعطاه المال، وبارك له فيه، فنماه له، ووقاه شح نفسه، ويسر له هذا العمل المبارك.

ولم يكن هذا فقط ما يقوم به من أعمال الخير، بل غيرها كثير وكثير، أذكر أنني حضرت دورة لحفظ الصحيحين «**صحيح البخاري ومسلم**» وكان فيها أكثر من ثلاثمائة طالب، وعشرين معلمًا، قام هذا الرجل الموفق بكفالتها، وقد استمرت هذه الدورة شهرين، وكان يتكفل بنفقة المعلمين، وجوائز المتفوقين، والمطعم والمشرب، طعام كثير تأخذ ما شئت مرات عدة بغير حساب وفيه من الأصناف ما لذ وطاب.

هذا بخلاف الدورات المقامة في أكثر من مكان آخر وهو المتكفل بالنفقة عليها.

أما عن دورات تحفيظ القرآن وحلقاته المستمرة طوال العام فحدث ولا حرج.

هذا بخلاف الأعمال الخيرية الأخرى التي كان يتكفل بها، حتى سمعت أحد مشايخي يقول عن هذا الرجل: ينفق في جميع أبواب الخير حتى كأنه يريد أن يتخلص من ماله ويبعده عنه، ويعود عليه المال أضعاف

ما أنفق، إنه يتعامل مع الشكور.

عمل يسير

بعضنا لا يستطيع أن يقوم بمثل ما قام هؤلاء لقلة ذات اليد، لكن من السهل أن تتكفل براتب معلم قرآن في إحدى الجمعيات الخيرية أو في بلدتك التي تعيش فيها ومعك مجموعة من الأخيار، وتكون أنت صاحب الفكرة، والأجر يكون لك ولمن يتعاون معك.

ابحث عن عائلات تميز أحد أبنائها بالذكاء والنجابة لكن يمنعه من إكمال مسيرته التعليمية قلة ذات اليد، فالموفق من تكفل بمثل هؤلاء ليكونوا أعضاء نافعين في أوطانهم، فكم من فقير منعه الفقر من أن يكمل تعليمه لفقر أبيه مع تفوقه الدراسي؟!

وكم من موفق نظر لأمثال هؤلاء فانتشلهم من الفاقة والحاجة ووضعهم على الطريق، وقصص هؤلاء كثيرة، ولولا الإطالة لذكرت لك جانبًا منهم.

أعرف أنك تلومني لماذا لا أخبرك ولو بقصة واحدة

منها حتى تكون لنا دافعًا لرفع هممنا.

ॐ لا تحقرن عملًا فما تدري ॐ

هذا شاب متوسط الدخل، دخله يكفي لحاجاته وربما يفيض جزءٌ صغيرٌ منه، وبجواره قريب له، تقوم أمه بالعمل للإنفاق عليه وعلى أخواته بعد أن تركهم والدهم بدون نفقة، دخلها يكاد يكفي فقط لإطعامهم مع مساعدة بعض الأخيار لها.

الولد متفوق منذ الصغر حفظ القرآن الكريم قبل أن يتم العاشرة من عمره، وكذلك أخته اقتدت به، أوقفته أمه وأخواته لحفظ القرآن الكريم، وتعليم العلم، ومع فقرها المدقع وعملها الشاق إلا أنها أحضرت لهم شيخًا يحفظهم القرآن وأكرمته، ولشدة إكرامها لهذا الشيخ خص صغيرها بمزيد من عناية، وتابعه في تعليمه.

وشبَّ الصغير وأصبح شابًا يافعًا، وتفوق على أقرانه، وبدأ يكتب على باب غرفته المتهالك الدكتور فلان بن فلان، ويصل إلى مرحلة الثانوية وتقف عقبة

فقر والدته ودخلها المحدود أمامه، حتى يتفوق لابد من نفقات عالية لا تستطيع والدته أن توفرها له، ويقول لمن حوله لو أن لي مثل فلان وفلان من أقاربي، وأُنفِق علي مثل ما ينفق عليهم لحصلت على أعلى الدرجات، ودخلت أفضل الكليات.

فينتهز قريب لهم وهو شاب وفقه الله لهذا العمل هذه الفرصة ويرى أن يحقق لهذا الطالب بغيته، ويقول له: كم تحتاج؟ فيقول أحتاج مائة وعشرون جنيهًا شهريًا، وكان هذا المبلغ في هذا الوقت نصف دخل موظف، فيحاول هذا الشاب أن يوفره له عن طريق بعض الخيرين، بعد أن قص عليه قصته، ويظل هذا المبلغ يصله إلى أن تفوق ودخل كلية الطب وتخرج منها، وخفف الله به آلام كثير من المرضى وأكرم أمه التي طالما تعبت في تربيته هو وأخواته وأكرم أخواته الصغيرات بأن تكفل بالنفقة عليهم بعد عمله في مجال تخصصه.

ॐ أخلص نيتك ॐ

فإن أخلصت في مثل هذه الأوقاف، واستحضرت نيتك في أن تحقق أمنيات أمثال هؤلاء الفقراء، بأن يتحول فقرهم إلى غنى، ويتعففوا عما في أيدي الآخرين، وأن يقوم كل منهم بالإنفاق على نفسه وأهل بيته، فتكون قد قمت بعمل عظيم.

ॐ أنفق جميع ثروته ॐ

ينفق أحد الفضلاء الأخيار ثروته جميعها في سبيل الله والتي تقدر بالمليارات وتعود إليه كما كانت وأكثر بعد ثلاثة أعوام، سمعت ذلك منه بإذني.

فيوفقه الله لهذا العمل العظيم، وهذا من أعجب ما سمعت من قصص أكبر أوقاف في العالم لأحد الفضلاء.

بارك الله له في أوقافه وحفظها وزاده من واسع فضله هو وأمثاله الأخيار، وتقبلها منهم، وأكثر من أمثالهم.

فما من باب من أبواب البر إلا وأنفق فيه، كفالة

أيتام، وإطعام فقراء، وحفر آبار، وبناء مساجد، وإنشاء مؤسسات تعليمية، وتجهيز مستشفيات، وإفطار صائمين، ومساعدة للمقبلين على الزواج، وبناء مساكن للفقراء، وطباعة المصاحف والكتب الدينية وتوزيع الأشرطة الإسلامية، وإقامة الدورات الشرعية، وكفالة طلاب العلم والعلماء، وتسيير رحلات للحج والعمرة، دخلت في إحدى الأعوام في إحدى المخيمات التابعة له في مني لإلقاء محاضرة فكان عدد من تكفل بهم فقط أكثر من ثلاثة آلاف حاج، هذا في عام واحد، يكفل أكثر من ألف حلقة لتعليم القرآن الكريم، إلى آخر هذه الأعمال التي ذكرت منها ما يحضرني الآن.

فكرة أصبحت واقعًا

مليون نسخة من كتاب الله وتفسيره توزع شهريًا في أرجاء العالم تكفلت بها جهة خيرية، هل تتخيل معي العدد الضخم لهذا المشروع؟

صاحب فكرة هذا المشروع غير معروف لدى الناس

لكن الله يعلمه وسيجازيه الشكور على ما قدم.

فكرة تحولت إلى واقع، أشار بها بعض الأخيار، وبدأوا في العمل في مشروع مختصر لتفسير كتاب الله يكون على حاشية المصحف، عمل فيه عدد من المتخصصين، وتكفل بالإنفاق على المشروع بعض أهل الفضل.

ويرى المشروع النور بعد جهد كبير وعمل متواصل، ويكتب الله له القبول، فتتكفل إحدى الجهات فقط بطباعة مليون نسخة شهريًا توزع في أرجاء المعمورة، فضلًا عن غيرها من الجهات التي تقوم بطباعة هذا التفسير وتوزعه، ليصل ما طبع إلى ملايين النسخ، مع أن تأليف هذا التفسير لم يتجاوز عشرة أعوام.

لا تحقرن مشورة صادقة

إنه التوفيق والسداد، فهنيئًا لصاحب هذا المشروع تلك الحسنات، وهنيئا لمن وفق في إعداده وطباعته

وتوزيعه.

فلا تحقرن عملًا بسيطًا، ولا مشورة صادقة، فما تدري لعلها تكون سببًا في خير يعم عليك، وحسنات تغمرك، وأنت لا تعلم أن عاقبتها ستكون بهذه النتيجة.

لم يعلم أن هذا سيكون

لم يكن يدور في خلد النجاشي ملك الحبشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يومها أنه سيكون في كفة حسناته إسلام مئات الملايين، أعداد لا يمكن حصرها، بسبب حرصه على دعوة أحد الصحابة الكرام إلى الإسلام، ولم يرَ ذلك في حياته، ونحن على اعتقاد أنه سيراه في آخرته، ويرى ما تفضل الله عليه بعمله هذا، ونحسب أن هذا بإخلاصه.

فها هو يدعو الصحابي الجليل عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى الإسلام، ويقتنع عمرو بما دعاه إليه، وكان صديقًا مقربًا منه، ويهاجر عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى الله ورسوله ليعلن إسلامه، ويلتحق بركب الصالحين المجاهدين في سبيل الله بماله ونفسه وولده.

فيقف مدافعًا عن الإسلام، ذابًا عنه، ويفتح الله على يديه كثير من البلدان والتي منها مصر الذي يقدر المسلمون فيها الآن بأكثر من تسعين مليون نسمة، هذا عدد المسلمين فقط في عصرنا الذي نعيشه، فكم عدد من دخل الإسلام بسببه على مر العصور؟ وكل هذا في كفة حسنات النجاشي الذي دعاه إلى الإسلام.

فما تدري فأخلص لربك، واعلم أن الشكور لا ينسى إحسان المحسنين وإخلاص المخلصين؟

ॐ هدف واضح ॐ

أسلم على يديه أكثر من عشرين مليونًا، هذا البطل الذي ترك القصور والعيشة المرفهة ليعيش مع الفقراء، ويعرض نفسه للأخطار والمصاعب ليبلغ الناس دين الله، فينشئ الجمعيات، والمدارس والجامعات، ويحفر آلاف الآبار، ويساعد المحتاجين، فيسلم على يديه الكثير من أهل بلاد أفريقيا، وتبقى أعماله يخلدها التاريخ، شاهدة على ما قدم في حياته.

ويموت رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورضي عنه بعد عمل دؤوب وجهد متواصل لدلالة المخلوقين على الخالق، وتبليغ الناس دعوة ربهم، كثير من أقرانه تخرج من الجامعات وعاش في الدنيا وخرج منها وكانت حياته وبالًا عليه.

فكن مثل هؤلاء العظماء فما هي إلا حياة واحدة ستعيشها، فما العيش إلا عيش الآخرة.

۞ يمنعك ليعطيك ۞

الله أعلم ما بداخلك، يعلم توجعك وتألمك، يعلم ما تخفيه نفسك، يعلم الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، والمخلص من المداهن، يعلم ما في قلبك فأرِ الله من نفسك خيرًا.

أعجمي يعيش في بلاد الحجاز قديمًا، وسع الله له في الدنيا وأغدق عليه من واسع فضله وصب عليه الخير صبًا، أحضر معلم قرآن لأبنائه ليعلمهم كتاب الله، ولكن الأبناء كانوا يتهربون ولا يرغبون في التعلم وحفظ كتاب الله، فحزن لذلك وتألم.

أشار عليه معلم القرآن بأن يتكفل بنفقة بعض الحلقات في المسجد الحرام، فيُسَّر بذلك ويقدم على تنفيذ الفكرة، فتكون سنة حسنة سنها، لتكون نواة مشروع يستمر من بعده، يتدفق عليه الطلاب إلى يومنا هذا من كافة الجنسيات، ويخرج ملايين من حفظة كتاب الله من جميع بلدان العالم.

إنه الشكور منعه من أمنية يتمناها فتألم قلبه وعلم صدق نيته فعوضه خيرًا مما أخذ منه.

تخيل كانت طموحاته هو أن يحفظ أبناؤه القرآن، فكافأه الشكور بأن يكون سببًا في حفظ ملايين البشر، ويكون وقفه وقفًا جاريًا يدر عليه وعلى من أشار عليه بالفكرة الأجور العظيمة ما دام العمل قائمًا، إلى أن يرث الله ومن عليها.

فما منعك ليحرمك وإنما ليكافئك؛ إنك تتعامل مع الشكور، فاصدق مع الله يصدقك، وأرِ الله من نفسك خيرًا يعطيك خيرًا مما أُخذ منك.

۞ أخلص نيتك ۞

يرتبط اسم أذكار الصباح والمساء عند كثير من الصغار بل وعند بعض الكبار باسمه، فإذا قلت أذكار الصباح والمساء قالوا لك حصن المسلم، كُتِبت كثير من الكتب في الأذكار.

سبحان الله.... لماذا انتشر هذا الكتاب حتى وصل إلى هذه المكانة؟!

طبعت منه ملايين النسخ، وحمله ملايين البشر على هواتفهم، وتُرجم بأكثر لغات العالم شيوعًا، وشاع صيته في أنحاء العالم.

لماذا هذا الكتاب؟!

هل انفرد عن غيره فأتى بما لم يأتِ به السابقون أو اللاحقون؟!

كلا، إذا لماذا؟!

إنه شيء بين كاتبه وبين الله فعله فشكره الشكور

عليه وكافأه بهذا الخير العميم والفضل الكبير والمنزلة العالية.

۞ لعلَّ بهذه ۞

علمت أن هذا الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة ووالدينا وأهلينا ومن نحب رفض أن يأخذ مستحقات تأليف هذا الكتاب.

فدار الطباعة بعد أن انتهت من جردها السنوي أخبرته بأن له مستحقات تقدر بأربعين ألف ريال، مقدار حقوق تأليفه، فأبى أن يأخذها، وأخبرهم بأنه كتبه يبتغي به الدار الآخرة، وكأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يريد جزءًا من المكافأة في الدنيا، وإنما يرجو أن يدخر الجزاء كاملًا في الآخرة، فأخذوها وبنوا بها مسجدًا في أندونيسيا.

فقلت ـ في نفسي ـ: لعل هذه النية هي سبب هذا القبول. إنه يتعامل مع الشكور.

المخدرات والشاب

أشهر بلدة في تجارة المخدرات ما قصتها؟

في قرية من أشهر القرى في تجارة المخدرات.

ومن المتعارف عليه أنه إذا انتشرت المخدرات انتشرت الجريمة، وساد الجهل، وزاد الفقر والحاجة.

نشأ هذا الشاب الصالح في قريته التي ولد فيها، فرأى واقع أبناء قريته المرير، ولم يرض بهذا الواقع فقرر أن يغيره، فاستعان بالله وبدأ بمشروعه الذي أوقف نفسه وأهل بيته له، وهو: تعليم أبناء قريته مبادئ القراءة تمهيدًا لتحفيظهم كتاب الله.

وهو يعلم أنه بالعلم والتدين تنعدم الجريمة، ويرتفع الجهل، ويتغير الواقع المؤلم إلى مستقبل واعد زاهر.

۞ النجاح الباهر ۞

وبالفعل ينجح، ويوفقه الله في برنامجه الذي سلكه في تعليم مبادئ القراءة للصغار، فيتعلم الطفل القراءة في المصحف بالأحكام قبل أن يدخل المدرسة، يقرأ الصحيفة، يقرأ أي كتاب وإن كان صعبًا على أقرانه.

وقد تعلم الآلاف من الطلاب مبادئ القراءة التي هي المدخل لحفظ كتاب الله وزاد بالتالي تفوقهم الدراسي بشكل مبهر.

طُبع من كتابه الذي سماه «**نور البيان**» ملايين النسخ، أعرف أحد الأخيار وهذا كان قبل أكثر من عشر سنوات كان يطبع وحده من هذا الكتاب سنويًا مائة ألف نسخة ويقوم بتوزيعها.

۞ بلد الألف حافظ لكتاب اللّه ۞

ولعل الله علم صدق نيته فلا تمر سنوات إلا وقد ختم القرآن في قريته أكثر من ستمائة حافظ لكتاب الله، وخطط أن يكون بلده بلد الألف حافظ لكتاب الله بعد خمس سنوات.

علم شباب قريته ونساءها برنامجه ليعملوا معه في مشروعه، فيُعَلِمُوا خيرًا ويكتسبوا مالًا، فعمل تحت إشرافه مئات المعلمين والمعلمات.

وحول بلده من بلد الجريمة والمخدرات إلى بلد حفظة كتاب الله، والتفوق العلمي.

۞ انتشار كالهشيم ۞

ولم يكتفِ بهذا بل نشر مشروعه إلى كافة أنحاء وطنه، وانتشرت طريقته في التعليم في كثير من بلدان العالم، كان في استطاعته أن يصبح من خلال برنامجه من أثرياء الناس، لكنه كان يبيع كُتب برنامجه بأسعار

تكلفتها، حتى إنك لتعلم أن سعرها وهي خمسة كتب لا يتجاوز العشرة جنيهات، ولا يرضى أن يتكسب منها شيئًا، مع قلة ذات يده، وفقره وحاجته.

الصدق مع اللّه

فقد رضي بما عند ربه من الأجر والمثوبة، ونحسبه أخلص فيما بينه وبين ربه فجعل الله القبول لطريقته في التعليم لتعم أرجاء العالم، ولا أقول مبالغًا أنك لا تكاد تجد منطقة من مناطق وطنه الذي يزيد سكانه على المائة مليون إلا وتستخدم طريقته في التعليم، التي هدفها في نهاية المطاف أن يختم الطالب حفظ كتاب الله.

ألم أقل لك إنك تتعامل مع الشاكر الشكور؟ سبحانك ربنا ما قدرناك حق قدرك، وما عبدناك حق عبادتك.

۞ وكانت المفاجأة ۞

كنت أعلم بأن له مركزًا واحد في القاهرة يقوم بتعليم القرآن فيه وإعطاء إجازات في القراءات بأعلى الأسانيد.

وهو مركز مشهور معلوم يقوم عليه ويعلم فيه ويشرف عليه شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف، وقد شاع صيته وكثر طلابه.

ولما كثر رواده فتح فروعًا أخرى لتُعلم بنفس الطريقة، ويعمل فيها تلاميذه الذين تخرجوا من مدرسته.

وقد فوجئت أنها بلغت الآن أكثر من سبعمائة فرعًا في مصر وحدها.

يتعلم فيها أكثر من سبعمائة ألفًا، ويجهزون الآن أيضًا أكثر من عشرين فرعًا آخر ليفتتحوها قريبًا بعد تجهيز الأماكن والمعلمات.

ويعمل تحت مظلته مئات المعلمين والمعلمات

والمشرفين والمشرفات.

هذا بخلاف الفروع التي أسسها خارج مصر والتي يُدرس فيها القرآن الكريم بالقراءات العشر.

أسأل الله أن يبارك لهم وأن يوفقهم ويسددهم ويحفظهم، ويتقبل منهم، وأن يزيدهم من واسع فضله الكريم إنه جواد كريم.

۞ يا له من توفيق ۞

إنه التوفيق من الرب الشكور لأهل القرآن وحملته الذين ضحوا بأوقاتهم وأعمارهم في خدمته.

إنها بركة القرآن التي إن أخلص له صاحبه رفعه المولى وأعلى شأنه، ويسر أمره، وألهمه الرشد والنجاح والسداد.

تجربة مجربة ناجحة

أذكر أن شابًا أحسبه من أهل القرآن المحبين له المخلصين في تعليمه، يعيش في قريته يعلم أبناءها القرآن.

وقد ذاع صيته وتخرج على يديه مئات الطلاب.

يحفظ طلابه بطريقة تكون أدعى إلى تثبيت الحفظ وإتقان كتاب الله.

كان يحفظ الطالب الصفحة الجديدة، ويأتي الطالب للشيخ يسمع له هذه الصفحة الجديدة مع التسميع من أول السورة إلى الصفحة الجديدة عن ظهر قلب..

ويظل هكذا يسمع من أول السورة يوميًا حتى ينتهي من السورة.

فإذا انتهى من السورة ظل يراجعها كل يوم مع الجديد من السورة الجديدة يكرر ذلك عدة أيام.

ثم يراجع الطالب جزءًا من القرآن ويكون مما سبق

حفظه، ويكون ذلك متتابعًا، يبدأ من السورة التي حفظها حتى يصل إلى نهاية ما حفظ، ثم يعود مرة ثانية، وهكذا يظل إلى أن يختم الطالب القرآن.

فإذا انتهى من ختم القرآن يبدأ في مراجعة جزءٍ يوميًا في أول ختمة، ثم في الختمة التي تليها يزيد نصف جزء، ثم في الختمة الثالثة يكون جزأين، وبعد ذلك في كل ختمة يُزيد جزءًا إلى أن يصل إلى خمسة أجزاء، فيصل الخاتم إلى درجة الإتقان..

وفي الإجازات ينتهز فرصة فراغ الطلاب فيراجع الطالب الخاتم لكتاب الله خمسة أجزاء يوميًا، ثم يُزاد المقدار بعد كل ختمة إلى أن تصل مراجعته إلى عشرة أجزاء.

فيختم الطالب كل ثلاثة أيام تسميعًا على زميل له، ويختبرهما الشيخ إذا انتهوا من التسميع لبعضهم البعض.

وينتهي المقام بالطلاب في نهاية المطاف إلى أن

يُسمع القرآن كاملًا في يوم واحد دون أن ينظر في المصحف.

۞ العقبة الكؤود ۞

فعلَّم الشيخ بهذه الطريقة فترة من الزمان، وكانت العقبة أنه كان يؤجل التعليم بالتجويد إلى أن ينتهي الطلاب من ختم القرآن فإذا انتهوا بدأ في تعليمهم التجويد.

وهنا ظهرت مشكلة كبيرة أن بعض الطلاب إذا ختم لا يستمر في الحضور عند الشيخ، ويكتفي بدرجة إتقان الحفظ.

۞ محاولة العلاج ۞

وهنا فكر الشيخ في كيفية معالجة هذه الطريقة، فوفقه الله لذلك فبدأ يُحفظ الطلاب بالتجويد من البداية، وواجهته في بداية تطبيق الفكرة بعض الصعوبات فاستعان ببعض أهل الخبرة لكن حال بينهم وبين معرفة

التعامل مع الطلاب اختلاف المناطق وطريقة التعليم.

فهدى الله الشيخ ووفقه أن يبدأ بنفسه ويحاول بعدة طرق قام بتجربتها في تغيير الطريقة.

فأوقف جميع الطلاب من أخذ اللوح الجديد، وقسمهم إلى مجموعات، بحيث لا يزيد عدد المجموعة عن عشرة طلاب، وبدأ من سورة الناس، وبدأت كل مجموعة مع شيخ متقن للتجويد.

ثم يردد الشيخ أمام طلاب مجموعته السورة بتأنٍ وبيان لمخارج الحروف وصفاتها، ويردد الطلاب خلفه، ويكون ذلك أكثر من مرة، ثم يقرأ أميز الطلاب أمامه بالأحكام، ويستمع الطلاب لقراءته، ثم يقرأ الأمثل فالأمثل، حتى ينتهي جميع الطلاب من قراءة السورة، فإذا انتهى الجميع، واتقنوا القراءة بدأ في السورة التي تليها، وهكذا يظل الطلاب قرابة الخمس ساعات يوميًا في قراءة واستماع وترديد، من الساعة السابعة صباحًا إلى الواحدة ظهرًا.

فإذا جاء اليوم الذي يليه فعل الشيخ مع طلابه مثل ما فعل في اليوم السابق، مع مراجعة ما تم تسميعه بالأمس، وهكذا استمر على هذه الطريقة إلى أن ختم الطلاب حفظ كتاب الله.

وبفضل الله نجح هذا الشاب في النهاية في زمن وجيز في علاج مشكلته، بطريقة أبهر بها الجميع، حتى إنه لم تنتهِ أربعة أشهر إلا وجميع الطلاب في الكُتاب قد أتقنوا حفظهم بالأحكام إتقانًا بارعًا ملفتًا للأنظار.

ثم انتشرت تلك الفكرة في قريته، ثم في القرى المجاورة، وإلى الآن فيما أعلم تعمل بتلك الطريقة أكثر من دار تحفيظ، إنه التوفيق من الرب الشكور.

من الذي سدده وأرشده ووفقه؟!...إنه الله.

من الذي هداه للتعامل مع هؤلاء الطلاب؟!... إنه الله.

إنه الشكور الذي علم صدق نيته، وعلم إخلاصه، وعلم أنه يحمل هَمَ تعليم هؤلاء كتاب الله بالطريقة

الصحيحة التي يرضى بها ربه عنه.

ॐ أسلمت القرية بورقتين ॐ

عشرة هللات سبب في إسلام قرية بأكملها

مطوية لا تتجاوز تكلفتها عشرة هللات سبب في دخول قرية بأكملها الإسلام، يتجاوز عدد سكانها ستة آلاف نسمة، ما القصة؟

يحدثنا بالقصة أحد الأساتذة عن شخص يعرفه، يقول: كنت في محطة وقود وسألني أحدهم عن لغتي، فأخبرته، فذهب إلى سيارته وأعطاني مطوية، «**والمطوية تتكون غالبًا من ورقتين مكتوب فيها على وجهها وظهرها، في هذه المطوية تعريف بالإسلام وبيان بعض مزاياه**»، وابتسم وتركني وذهب.

يقول: أخذت المطوية ولما رجعت لسكني قرأتها فشرح الله صدري للإسلام، وأردت معرفة المزيد عن الإسلام، وكان في نفس المطوية رقم جوال للاتصال بمركز من مراكز دعوة الجاليات، فاتصلت بهم وطلبت

المزيد من الكتب التي تشرح تعاليم الإسلام، وذهبت وأخذتها وشرح الله صدري للإسلام فأسلمت.

المسؤولية تخيفه

وبعد إسلامه وتعلمه ما يجب عليه على الفور يأخذ القرار الصحيح، فيذهب إلى كفيله ويخبره برغبته في العودة إلى بلده حالًا.

فقال له: ولماذا؟ الراتب لم يعجبك؟ هل هناك من ضايقك؟

قال: لا. الراتب جيد، والعمل جيد، إلا أنني لابد أن أرجع إلى بلدي الآن، قال له باقي في العقد سبعة أشهر، إن لم تجلس لن أعطيك تذكرة طيران، وكذا وكذا من بعض مستحقاتك.

قال: لا يهمني هذا، المهم أن أرجع إلى بلدي الآن.

فلما رأي إصراره قال: ولِمَ؟ قال بلهجة غير فصيحة: بابا ماما زوجة أولاد ما في إسلامـ - يقصد غير

مسلمين ـ، وإن ماتوا الآن دخلوا النار، وعلي أن أذهب من أجل إنقاذهم من النار.

فلما رأي كفيله إصراره وعرف دافعه من إنهاء عقده ورجوعه إلى بلده، رق قلبه وأعطاه مستحقاته كاملة وتذكرة الرجوع إلى موطنه، وبالفعل يغادر إلى مقر إقامته.

يقول الدكتور الذي يقص علينا القصة: وكان صاحب القصة التي أقصها عليك الآن على معرفة بذلك الدكتور وعلى اتصال به. ويذهب ويمكث سنتين ونصف تقريبًا ويتصل بي ويخبرني بأنه سيأتي لأداء مناسك العمرة ويطلب مقابلته في مكة.

وبالفعل يقابله الدكتور في مكة ويخبره بقصته وأنه رجع إلى قريته ودعا والديه وزوجته وأهله وعشيرته، فأسلموا جميعًا بل وإن أهل قريته جميعًا اعتنقوا الإسلام، ستة آلاف شخص كان سببًا في دخولهم الإسلام، وأنه أنشأ مسجدًا ودارًا لتحفيظ القرآن وتعليم

تعاليم الشريعة الإسلامية، وكان قد أحضر معه صورًا لمسجد القرية ودار التحفيظ.

همة عالية

تأمل معي همة هذا الرجل الذي دخل في الإسلام قريبًا، وكيف كان يحمل هم تبليغ الإسلام؟ وكان هدفه فقط أن يعود إلى وطنه ويترك وظيفته التي تدر عليه خيرًا وفيرًا لينقذ والديه وزوجته وأبناءه من النار.

لكنه يتعامل مع الشكور، الذي أكرمه بأن دخل أهل قريته جميعًا في الإسلام، ونأمل أن قريته ستكون إن شاء الله سببًا ليشع النور منها إلى القرى المجاورة.

وفي كفة حسنات من؟!

إنها في كفة موازين حسنات من أعطاه هذه المطوية التي يدعوه فيها إلى الإسلام، ومن كتبها، ومن طبعها على نفقته، بل وصاحب الفكرة بإنشاء هذه المطوية، ومن عاونه فيها.

كل هؤلاء أنا أجزم أنهم لا يعلمون عن قصة هذا الشاب وما صنعه والخير الذي أصابه، والنور الذي شع على يديه.

لكن سيعلم هؤلاء جميعًا عاقبة أعمالهم إذا رجعوا إلى ربهم وشاهدوا ثوابها، ورأوها في كفة حسناتهم.

أعرفت مع من تتعامل؟ إنه الرب الشكور.

البروفسور والخمسة دنانير

خمسة دنانير تصنع بروفسورًا في الطب ما القصة؟!

تتعجب من هذه القصة التي بطلها رجل تصدق بخمسة دنانير على طفل صغير محتاج..

ولم يكن يدر بمخيلة صاحبنا أنه بعد ثلاثين سنة سيرى ثمرة ما قدمه لهذا الصغير.

كادت الحاجة أن تحرم الصغير من الدراسة، وهذه الدنانير القليلة كانت من أسباب إكمال الصغير دراسته.

تخيل معي كم خفف هذا الطبيب من آلام

المرضى؟!

كم ساعد هذا الطبيب من محتاج؟!

كم أشفق هذا الطبيب على فقير؟!

كم دفعته الظروف التي مر بها في صغره إلى أن ينظر إلى أصحاب الفاقة والعوز بعين الرحمة؟

دفعته ليمد يده إلى هؤلاء الفقراء، ويتذكر ما منَّ الله به عليه.

كم تخرج على يدي هذا الطبيب من طلاب فأكملوا مسيرته وخففوا من آلام المرضى؟

كل هذه الأعمال الجليلة التي يقوم بها الطبيب في كفة حسنات من؟!

وما تدري لعل حسنة يتقبلها الله منك تكون سببًا في سعادتك في الدارين، يشكرها الشكور لك فيتقبلها منك وتدر عليك حسنات كالجبال الشامخات.

﴿ والمدهش ﴾

بل يدهشك من القصة أن فعل الخير الذي قام به من ثلاثين سنة رأى ثمرته في حياته بأم عينيه بعد هذه السنوات.

والأكثر تعجبًا أنَّ من مدَّ يدي المساعدة له يرد له الجميل في وقت حاجته وانكساره.

تعالوا بنا لنطوف حول هذه القصة الممتعة، ولنترك صاحبها يقص علينا أحداثها..

يقول: في سنة ١٩٩٤م مَرضتْ ابنتي، وكان عمرها أربعة عشر عامًا فوجهني الأطباء لنقلها إلى مستشفى.... بالعاصمة.. توكلت على الله وسافرت إلى العاصمة.

وصلت إلى المستشفى سألت عن الجناح المقصود، فوجدته بعيدًا.

ولم أكن أعلم أن المستشفى كبير لهذه الدرجة، مدينة طبية متكاملة يسير فيها الراكب بسيارته، فكيف

بشيخ مثلي؟!

مشيت قليلًا، ولم أجد من يساعدني، فتَعَب الشيخوخة، وتَعَب السفر، وتَعَب الحاجة، وتَعَب المرض الذي ألَمَّ بابنتي جميعها ابتلاءات أرهقتني.

جلست لأستريح في مكان مخصص لركن السيارات، وكُنت بين الفينة والأخرى أذرف الدمع، وأتوارى عن ابنتي وعن الناس كي لا يرونني باكيًا.

وبينما أنا كذلك، وإذا بسيارة فاخرة تركن بجواري، خرج منها شاب طويل القامة بهي المُحَيَّا، يرتدي مئزرًا أبيضَ، شارته «**بطاقته المهنية**» تتدلى على صدره.

ثم توجه نحوي وسألني عن حاجتي، فخنقتني العبرات ولم أقدر على الكلام.

سألني: يا عم هل معك رسالة طبية؟ أعطني بطاقة هويتك.

يقول: لمّا سَلَّمْتُ البطاقة للشاب، راح يتأملني من رأسي إلى أخمص قدمي، وقد بدت عليه علامات

الدهشة والاستغراب!!

ثم أرسل تنهيدة من أعماق جوفه، وجلس بجانبي وراح يتفرس في ملامحي تارة، ويُقَبِّلُ جبيني تارة أخرى، ولم يتمالك نفسه وذرفت عيناه!!

سألته: ما بك يا ولدي؟! هل أصابك مكروه لا قدّر الله؟!

قال: لا، وإنما أشفقت لحالك، ثم حَمَلَ ابنتي بين يديه، وقال: تعالَّ يا عم معي.

دخل الشاب أروقة جناح طبي متخصص، ووَضَعَ الطفلة على كرسي متحرك، وأخذ يأمر وينهي، والكل يُحيّيه تحية تقدير واحترام ويتودد إليه..

يبدوا أنه صاحب مكانة وشأن في هذا المستشفى.

وراح يطوف بالبنت بين قاعة الاستعجالات، ومخبر التحاليل، وجناح التصوير بالأشعة، وقسم التخدير والإنعاش، والجراحة العامة.

وفي حدود الساعة الرابعة صباحًا كانت البنت قد

أُجريت لها عملية جراحة ناجحة واستعادت وعيها.

حمدتُ الله وشكرتُ الشاب الذي كان لي ظهيرًا وسندًا ومعينًا.

قلت له: سيبقى خيرك يطوق عنقي ما حييت.

فقد كان كل مَن في المستشفى يخدمني خدمة استغربتُ من مستواها الراقي جدًا، ولم أسمع بها سوى في مستشفيات الدول المتقدمة في هذا المجال.

وبعد ثلاثة أيام، أمرني الطبيب الذي أجرى العملية الجراحية لابنتي بمغادرة المستشفى..

فطلب مني صاحبي الذي التقيته أول يوم أن تمكث الطفلة في بيته أسبوعًا آخر حتى تسترد عافيتها وتستكمل نقاهتها، لأن السفر متعب والمسافة بعيدة.

استحييت من كرمه وخيره، لكني استجبت له.

ومكثت في ضيافته سَبعة ليالٍ، وكانت زوجته تخدم ابنتي، وكان هو وأولاده يترفقون بي وبابنتي ويعاملونني بمنتهى الرقة واللطف والأدب.

وفي الليلة السابعة، لمّا وضعوا الطعام على المائدة، وتحلقوا للعَشاء، امتنعت عن الطعام، وبقيت صامتًا لا أتكلم، قال لي الرجل: كُلْ يا عم، كُلْ ما ألمَّ بك؟!

قلت: وبصوت مرتفع ونبرة حادة: والله لن أذوق لكم طعامًا إلا إذا أخبرتموني مَن أنتم؟ ومَن تكونون؟

أنتَ تخدمني طوال أسبوع كامل وأنا لا أعرفك، تخدمني وتُبالغ في إكرامي، وأنا لم ألتقِ بك سوى مرة واحدة في المستشفى، مَن أنت؟!

قال: يا عم كُلْ، هيا كُلْ وبعد العشاء أخبرك.

قلت: والله لن تدخل فمي لقمة واحدة، ولن آكل طعامك إنْ لم تخبرني من أنت؟ ومن تكون؟

حاول الرجل التهرب من الجواب لكنه وأمام إصراري، أطرق برأسه قليلًا..

ثم قال بنبرة خافتة: يا عم إن كنتَ تَذْكُر، فأنا ذاك الطفل الذي أعطيته خمسة دنانير سنة ١٩٦٤م عندما كنتُ أجلس خلفك في الحافلة أنا ابن فلان ابن فلان.

آه تذكرت، أنت ابن فلان من قريتنا، نعم نعم لقد تذكرت..

يومها كنت في الحافلة متجهًا من قريتنا الفلاحية إلى إحدى المدن القريبة، وكان يجلس خلفي صبيان عمرهما لا يتجاوز، على ما يبدو، سبعة أعوام.

سمعت أحدهما يحدث الآخر قائلًا له: هذا العام شحت السماء، والخريف يوشك أن ينصرم، والأرض لا تُنبت شيئًا، وأبي فلاح فقير ليس بيده ما ينفقه عليَّ، ولذلك فأنا مضطر لترك مقاعد الدراسة هذا العام.

لمّا سمعت الطفلين يتحدثان عن الفقر والحرمان بهذا الوعي الذي لا يدركه إلا الكبار، تأثرت وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت.

وعلى الفور أخرجت من جيبي خمسة دنانير ونَاولتها للصبي، وقلتُ له: خذ هذه الدنانير، والمبلغ آنذاك يفي لشراء الأدوات المدرسية كلها، رَفَضَ الصبي أخذ الدنانير.

فقلت له: ولماذا يا ولدي؟!

قال: ربما يظن أبي أني سرقتها؟

قلت: قل له فلان بن فلان أعطاني إيّاها لشراء الأدوات المدرسية، فإن أباك يعرفني تمام المعرفة.

تهللت أسارير الطفل وتناول الدنانير الخمسة وابتسم ابتسامة الرضا والسرور ودسها في جيبه.

ونسيت من يومها هذا الموقف مع ذاك الصبي.

قال الرجل: فأنا يا عم ذاك الصبي، ولولا تلك الدنانير الزهيدة لما أصبحت اليوم بروفسورًا في أكبر مستشفى.

وها قد التقينا بعد أن منَّ الله علي بأعلى المراتب في مهنة من أنبل المهن.

فقد افترقنا سنة ١٩٦٤ وها نحن نلتقي سنة ١٩٩٤ بعد ٣٠ سنة بالتمام والكمال.

والحمد لله أن قدرني لأرد لك بعض الجميل.

يا عم الدنانير الخمسة التي أعطيتها لي صنعت مني

بروفسورًا في الطب.

يا عم والله لو أعطاني أحد كنوز الدنيا لما فرحت بها الآن كفرحي يومها بتلك الدنانير الزهيدة.

يا عم أفضالك عليَّ كبيرة.. والله مهما فعلت فلن أرد لك الجميل.

فأسأل الله أن يجازيك خير الجزاء.

۞ قطف ثمرته ۞

ألم أقل لك مرارًا إنك تتعامل مع الشكور، ساعد صاحبنا الصغير وقت حاجته يبتغي بذلك وجه الله فشكره الشكور فشاهد ثمرة ما قدم في دنياه، وسيرى ثمرة ما قدم في آخرته إن شاء الله.

بل يخلد التاريخ قصته لتسطر في كُتب وتبقى أحداثها تتناقلها الأجيال ويستفيد منها الأخيار؛ لتدفع كل محب للخير إلى أن يفعل الخير ولو كان قليلًا، ويساعد الآخرين ولو كان يسيرًا، ولا يستصغر جهدًا

يقدمه.

فما تدري ما الذي ستجنيه من وراء ما تقوم به من عمل إن أخلصت نيتك لله؟!

يجني صاحبنا ثمرة عمله الذي قدمه في دنياه، ففي وقت حاجته وانكساره يقيد الله له ذلك الطبيب ويتقابلان على غير موعد مسبق ويرد إليه جميله.

دينٌ يُرد بَعَد عُمر

ريال يقابله مسكن وسيارة وراتب ما القصة؟

ريال تصدق به معلم على طفل صغير في مدرسة أدخل به السعادة عليه فقابله هذا الصغير الوفي عند كِبَره برد الجميل وإدخال السعادة على معلمه بما لم يكن يتخيله.

لن تصدق يا محب إن علمت أن هذا الريال كان من أسباب تغير حال هذا المعلم.

يتغير وضع المعلم من الفقر والحاجة إلى الغنى

والسعة، ومن التهيؤ للرحيل لموطنه الأصلي إلى الاستقرار والأمن في مكان يحبه ويألفه.

ولنترك لصاحب القصة ذكر أهم أحداثها:

يقول: كنت فقيرًا لدرجة أنني عجزت عن الاشتراك في رحلة للمدرسة قيمة المشاركة فيها ريال واحد رغم بكائي الشديد لأسرتي التي لم تكن تملك هذا الريال.

قبل يوم واحد من الرحلة أجبت إجابة صحيحة فما كان من معلم الفصل إلا أن أعطاني ريالًا مكافأة مع تصفيق الطلبة.

حينها لم أفكر وذهبت مسرعًا واشتركت في الرحلة وتحول بكائي الشديد إلى سعادة غامرة استمرت أشهرًا.

كبرت وذهبت الأيام وغادرت المدرسة إلى الحياة، وفي الحياة وبعد سنوات من العمل وبفضل الله عرفت العمل الخيري هنا بدأت أتذكر ذلك المدرس الذي أعطاني الريال، وبدأت أسأل نفسي هل أعطاني الريال صدقة أم مكافأة فعلًا.

لم أصل إلى إجابة، لكنني قلت: أيا كانت نيته فقد حل لي مشكلة كبيرة وقتها ودون أن أشعر أنا أو غيري بشيء.

وهذا جعلني أعود إلى المدرسة بحثًا عن هذا المدرس، حتى عرفت طريقه.

خططت للقائه والتعرف على أحواله، والتقيت هذا المدرس الفاضل، ووجدته بحال صعبة بلا عمل ويستعد للرحيل.

فلم يكن مني إلا أن قلت له بعد التعارف يا أستاذي الفاضل لك في ذمتي دين كبير جدًا منذ سنوات.

قال وبشدة: ليس لي ديون عند أحد.

وهنا سألته هل تذكر طالبًا أعطيته ريالًا لأنه أجاب كذا وكذا؟

بعد تذكر وتأمل قال: المدرس ضاحكا نعم...نعم..

وهل أنت تبحث عني لترد لي ريالًا؟

قلت له: نعم، وبعد نقاش أركبته السيارة معي

وذهبنا.

يقول: وقفنا أمام فيلا جميلة، ونزلنا ودخلنا، فقلت له: يا أستاذي الفاضل هذا هو سداد دينك مع تلك السيارة وراتب تطلبه مدى الحياة، وتوظيف ابنك في مؤسسة.

ذهل المدرس، قائلًا لكن هذا كثير جدا!!

قلت له: صدقني إن فرحتي بريالك وقتها أكبر بكثير من حصولي الآن على عشرة فلل كهذه، ما زلت لا أنسى تلك الفرحة.

۞ إذا أعطى الشكور أدهش ۞

ريال يتصدق به يكافئه عليه الشكور وقت حاجته بسكن يملكه، وراتب مدى الحياة، ووظيفة لأحد أبنائه، هذا الجزاء الدنيوي، أمَّا الأخروي فلا يعلم مقداره إلا الشكور سبحانه وتعالى.

سبحانك من رب شكور، سبحانك من رب شكور،

سبحانك من رب شكور.

فافعل الخير تجده في دنياك قبل آخرتك، واعلم أن الشكور لن يضيع سعيك.

ستجد ما تقدمه ينتظرك في قادم الأيام، وإذا رحلت إلى الدار الآخرة يكافئك الشكور.

قدم المعروف ولا تنتظر مقابلًا من أحد وستجني ثمرته إن عاجلًا أو أجلًا.

والمعروف أنواعه متشعبة وكثيرة، واعلم أن منها ما لا يكلفك كثيرًا إن شحت نفسك بالعطاء.

ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ،**

وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»[(١)].

هل تعجز عن القيام بهذه الأعمال؟!

لا أتوقع أنها تكلفك جهدًا كبيرًا، ولا مشقة شديدة.

ولا تنس أنك تتعامل مع الشكور..

واعلم أن صنائع المعروف تقي صاحبها مصارع السوء والآفات والمهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة.

رفعوا اسمه فرفعهم

بذل الأنبياء والشهداء والعلماء أعمارهم وأرواحهم وكل ما في وسعهم من أجل تبليغ دينه، ونصرة أوليائه، وخضوع العباد له بالطاعة، فشكرهم الشكور فرفع ذِكرهم وأعلى شأنهم وضاعف أجورهم ورضي عنهم وأرضاهم.

---

(١) أخرجه: الترمذي رقم (١٩٥٦)، وابن حبان رقم (٥٢٩).

وذكرهم في كتابه بأحسن الصفات، وخلد ذكراهم بعد موتهم بآلاف السنين، لتبقى شامخة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ليُحمدوا ويُثنى عليهم ويُترضى عنهم، مع أنهم عباد له وخلق من خلقه، فما أعظم الرب الشكور.

انهض قبل فوات الأوان

أما زالت راقدًا في نومك؟ ألم تنفض عنك الكسل، وتنهض لتزاحم أصحاب الهمم العالية، لتسابق أصحاب الطموحات والأهداف السامية؟!

لما لا تركب في ركاب الصالحين والدعاة إلى رب العالمين؟!

لماذا تقلل من نفسك؟ لم تستهين بجهدك؟ لم لا تعزم على المضي في الطريق؟!

أما زلت مصرًا على أن تلعب مع اللاعبين، وتلهو مع اللاهين، وتسهو مع الساهين، وتترك طريق الله المستقيم، وصحبة عباده الخيرين؟!

تستطيع أن تقدم الكثير نصرة لدينك، وخدمة لدعوتك.

قم وانفض غبار النوم عن وجهك ونافس أهل الصلاح.

وضع نصب عينيك قول ربك الكريم: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾ [الحديد: ٢١]، وقوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

الزحام المُلفت

زحام شديد له سبب

انتشرت فروع مطاعمه في بقاع كثيرة، فتعجبت من ذلك، زحام في الشراء يلفت الانتباه، حتى إنك ربما تنتظر وقتًا طويلًا ربما يصل إلى أكثر من ساعة حتى تأخذ طلبك، مع العلم أنه يقدم نوعًا من الوجبات يشابهه

فيها غيره.

إن عرفت السبب بطل العجب

فتتبعت أخباره، فعلمت أن صاحب هذه المطاعم كان يتصدق بعشرة في المائة من مبيعاته، ليطعم بها الفقراء والمحتاجين، ثم مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له وأسكنه الفردوس فخلفه أبناؤه، فجاء ممثلون عن الجمعية الخيرية التي كانت وسيطة بين صاحب المطاعم المتوفى وبين الفقراء إلى أبنائه، وقد اعتراهم الخوف أن يحول هؤلاء الأبناء بينهم وبين ما كان يعطيه والدهم، وأخبروهم بما كان يصنعه والدهم مع الفقراء، وذكروا لهم مقدار عدد الفقراء المستفيدين مما كان يقوم به والدهم.

فقال الأبناء: كم كان يعطيكم الوالد؟ قالوا عشرة في المائة، قالوا: ونحن نعطيكم عشرين في المائة.

ما أطيب تلك الذرية الصالحة وهذا الرجل الصالح، فهم خير خلف لخير سلف، ذرية بعضها من بعض،

نسأل الله من واسع فضله الكريم..

فعلمت سبب هذا الزحام، إنهم يتعاملون مع الشكور الذي يكرم من أكرم عباده وأحسن إليهم.

لا تحقرن من المعروف شيئًا

ربما تقدم عملًا تظن أنه يسيرًا لم يكلفك شيئًا لكن يخلده لك الشكور إلى أن يرث الأرض ومن عليها، فقط أخلص النية لله.

شهامة الرجال

هل تتوقع أن يقوم نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بسقي الأغنام لفتاتين دفعتهم الضرورة للخروج للعمل.

ليس لهما من يقوم بالعمل بدلًا منهما، فغض طرفه عنهما، وسقى لهما، ولم يستغل ضعفهما وحاشاه أن يفعل ذلك.

إنها شيم الكبار وشهامة الرجال ومروءة الكرام.

فيخلد الشكور هذا الموقف الذي قصد به وجهه

الكريم.

ويكافئه على ذلك بزوجة وسكن وعمل وأمن واستقرار بعد خوف وهرب.

وثناء حسن إلى أن يرث الأرض ومن عليها؟

فلا تحقرن من المعروف شيئًا فما تدري ربما خيرٌ يعم عليك وأنت لا تعلم؛ بعمل تعمله تخلص فيه نيتك ولم تلق له بالًا.

۞ آثر أخيه ۞

وهذا شاب نشأ في أسرة فقيرة، له إخوة وأخوات، عددهم كثير ما شاء الله تبارك الله.

ترك وطنه وهاجر لبلد آخر يطلب العلم الشرعي، وكانت له مكافأة يحصل عليها نهاية كل شهر، فينفق جزءا منها على نفسه، ويساعد أهله بجزء منها، ويدخر جزءا آخر ليتزوج به، وربما تتعجب إن علمت أن تلك المكافأة قرابة المائتين دولار، لكنها البركة التي يطرحها

الله في مال الصالحين.

ॐ أنفق مدخراته ॐ

رأي في أحد إخوانه النبوغ، فأرسله في عاصمة بلاده لحفظ القرآن وتعلم العلم الشرعي على نفقته الخاصة، فأنفق عليه مدخراته التي ادخرها لزواجه.

ولما قرب موعد الزواج جلس مهمومًا مغمومًا كيف يتصرف، وقد حدد موعد الزواج وليس معه تكاليفه، فقد أنفق مدخراته على أخيه في طلب العلم، وظل يفكر كثيرًا، ويرفع يديه ويدعو ربه أن ييسر أمره، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ويسعى في البحث عن عمل.

ويراه أحد معلميه وكانت علاقته جيدة به، حيث كانت تظهر عليه علامة الصلاح، وقد تميز هذا الشاب بحسن الخلق والأدب، والحرص على حِلق القرآن، والمحافظة على صلاة الجماعة في المسجد، وصوم الاثنين والخميس والأيام البيض.

ويفضفض لأستاذه بما يفكر فيه، ويشكو له ما أهمه، ويستشيره في أمره.

ويُبدي له رغبته في السفر إلى وطنه في الإجازة الصيفية هذا العام، ورغبته في إتمام زواجه الذي كان مقرر عقده الأيام المقبلة، لكنه لا يستطيع السفر بسبب عدم وجود نفقة للزواج، فقد آثر أخاه على نفسه وأنفق ما معه على أخيه ليطلب العلم.

ويتأثر المعلم ويعجب من موقفه مع أخيه، ويسأله كم يكلف الزواج في بلدكم؟ فيخبره بالمبلغ، وكان يعادل الثمانمائة دولار، فيعطيه له، فيسافر ليقضي إجازته ويتزوج في الموعد المحدد والمقرر مسبقًا.

أنفق ما ادخره على أخيه مع حاجته لذلك المال، وآثره على نفسه، ممتثلًا قول الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] فيشكره الشكور فيخلفه بأفضل مما أنفق، ويرزقه من حيث لا يحتسب. ألم أقل لك إنك تتعامل مع رب شكور؟!

فافعل الخير وزاحم أهله، وستجد العوض والبركة والرزق الوفير وشكر الشكور لك.

۞ حجة يقابلها عشر ۞

ساهم في مساعدة امرأة عجزت عن الوصول إلى بيت الله الحرام لقلة ذات يدها، فأكمل تكاليف نفقتها بعد أن عجزت عن إكمالها هي وأسرتها فكافأه الشكور بأن يسر له حج عشرة من أهل بيته بعد عامين.

وهذا أحد أصحاب الخير يحكي فيقول: في يوم من الأيام التقيت بأحد من أعرفه، وكانت معرفتي به قريبة، وكان من أهل الصلاح والطاعة، تظهر عليه علامات الاستقامة، فأخبرني بأنهم جمعوا ثلاثة أرباع مبلغ تكاليف الحج لوالدته، ويسعون لإكمال بقية المبلغ، لكن عجزوا حاليًا عن ذلك، ووالدته شغوفة بحج بيت الله الحرام، فيدفع له المبلغ المتبقي، ولا يمر عامان إن لم أكن واهمًا إلا ويرزق الحج هو وعشرة من أفرد أسرته، بتكاليف يسيرة، والأعجب من ذلك أن تعلم أن

هناك من جاءه يعرض عليه المساعدة في إصدار تأشيرات لبعض أفراد الأسرة دون أن يسعى هو لذلك.

فسبحان الرب الشكور، ساعد في حج امرأة فساعده الآخرون في حج عشرة من أسرته.

غصن شجرة

يرفع غصن شجرة من طريق الناس حتى لا يتأذوا منها، فيشكره الشكور ويغفر ذنبه ويدخله الجنة.

أخبر بتلك القصة نبيك عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**كَانَ عَلَى الطَّرِيقِ غُصْنُ شَجَرَةٍ يُؤْذِي النَّاسَ، فَأَمَاطَهَا رَجُلٌ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ**»(١).

(١) أخرجه: البخاري رقم (٦٥٢)، ومسلم رقم (١٩١٤)، وأحمد رقم (١٠٤٣٢).

۞ كلب وامرأة ۞

سقت كلبًا

تمر امرأة بغي في صحراء قد أرهقها العطش، وبلغ منها العطش مبلغه، فتجد بئرًا فتنزل لتشرب، وتصعد منه فترى كلبًا يلهج من العطش، فتسقيه، فيشكر الله لتلك البغي فيكافئها بفعلتها فيتوب عليها ويدخلها الجنة، سبحانك من رب شكور.

إن كان كرم الشكور مع من سقى كلبًا فكيف بمن حفر الآبار، وسقى الماء لعباد الله، وأطعم الفقراء، وخفف الألم عن المتألمين، وسعى في تفريج كُرب المكروبين، وأنفق المال على المحتاجين، وأسعد الآخرين، وعلم الجاهلين، وسلك طريق عباد الله الصالحين؟!

الحسنة والميزان

حسنة واحدة فيها نجاته

يقترف أعظم ذنب بعد الشرك، فيوغل في القتل إلى أن قتل مائة نفس، ويخرج من بلدته مهاجرا تائبًا نادمًا من ذنبه، ويموت في طريقه قبل أن يصل إلى البلدة التي قصدها ليعبد الله مع الصالحين فيها، فيشكره الشكور، ويقبل توبته، ويغفر زلته، ويرحم في القبر غربته، ويعفو عنه، ويدخله الجنة، إنه الرب الشكور.

فعن أبي سعيد الخدري، أن نبي الله ﷺ قال : «**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ**

مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ[(١)].

أكرمها فشكره

يخبر صاحب مطعم في إحدى الدول العربية، وكان يعيش في منطقة نائية.

كنا في المطعم نستعد لتقديم وجبة العشاء في إحدى ليالي الخريف.

(١) أخرجه: البخاري رقم (٢٧٦٦).

ॐ وانقطعت الكهرباء ॐ

وبعد تجهيز الطعام هطلَت الأمطار بشدة، وأظلمت علينا السماء، وانقطعت الكهرباء، وبدأ أهل السوق في المغادرة، فأشعلنا الفوانيس واتفقنا على المغادرة بعد هدوء الأحوال، وعددنا الطعام الذي صنعناه خسائر، إذ لا توجد مبردات كافية، حتى المبردات الموجودة لن تنفع مع انقطاع الكهرباء.

ॐ أقبلت علينا ॐ

وفي أثناء انشغالنا بالحديث رأيت في ظل الفوانيس شيئًا يتحرك في الجهة المقابلة للمطعم.

فحملتُ فانوسًا وعصًا لظني أنه لص يريد كسر أحد الدكاكين.

اقتربتُ من السواد وعلى ضوء الفانوس الضعيف رأيتُ امرأة معها طفلان في غاية من الضعف والتعب.

۞ سد جوعتي ۞

فسألتها إن كانت تحتاج إلى شيء، فقالت: أريد طعامًا لي ولأولادي.

فقدّمتُ لها أحسن ما عندي من الطعام، وأعطيتها بعض المال، فبكت بكاءً شديدًا.

فقلت: ما الذي يبكيكِ؟

فقالت: تُوُفِّيَ زوجي، وهذا ثالث يوم لا أجد فيه ما يسد جوعتي وجوعة أطفالي.

قلت لها خيراً وتركتها.

فسمعتُها تتمتم بكلمات، منها: ربي يوسع عليك الليلة زي ما وسعت على أولادي.

قلت: آمين.. وإن كنا خسرنا في هذه الليلة، فالأمر كله لله، والمؤمن لا يقنط من رحمة الله.

كانت الأمطار تهطل، والريح تعصف، وأنا أستعد لإغلاق المطعم وأحسب الخسائر.

﴿ الحافلة والفرج ﴾

فرفعت رأسي فجأة على صوت حافلة تحمل مسافرين تقف أمام باب المطعم لا أدري من أين جاءت.

نزل سائق الحافلة وسأل: عندكم طعام؟ قلت: نعم.

فنزل من الحافلة أكثر من أربعين مسافرًا واشتروا جميع ما لدينا من الطعام، وصنعنا لهم طعامًا آخر.. وحتى بقايا الخبز الجاف بعناها عليهم مع الشوربة.

وبعد ذهابهم جلست أحسب الأرباح ومعي العمال في عجَبٍ من هذا التحول المفاجئ والربح السريع.

قال أحد العمال: ما الذي عملته من عمل صالح اليوم؟!

فانتفضتُ كالملدوغ وأنا أتذكر دعوة المرأة وهي تقول: ربي يوسع عليك الليلة زي ما وسعت على أولادي.

فحمدتُ الله ثم خرجت تحت المطر أبحث عنها

فلم أجدها.

وتذكرتُ قول النبي ﷺ: «مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ»(١).

﷽ كرم الكريم وشكر الشكور ﷽

فتأمل كرم الكريم ساق المطر لتَشبَع المرأة وصغارها، وشكر الشكور حيث ساق الحافلة ليَجزي المُنفق على إنفاقه.

وهكذا الدنيا يُقَلِّبها الله بين عباده لِيَختبرهم ويَبلو أخبارهم وينظر كيف يعملون، والعاقبة للمتقين، قال تعالى: : ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يوسف: ٥٧].

فإذا ضاق عليك أمر أو نزل بك مكروه أو اعترتك شدة أو نزلت بك مصيبة فتصدق.

(١) أخرجه: أحمد رقم (١٦٧٤)، والبزار في مسنده رقم (١٠٣٢).

ففي الصدقة تيسير للأمور وراحة للصدور ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٥ – ٧].

يُكتب لك بكل حسنة

هل تعلم أنك إن طلبت المغفرة للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات يكافئك الشكور فيكتب لك بكل واحد منهم حسنة؟!

فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً**»(١).

يا الله تخيلت معي كم من الأجر تحصل عليه إن قلت هذا الدعاء الذي لا يستغرق ذكره ثوان معدودة؟

إنك تتعامل مع الشكور، يا الله ما أكرمك؟! حسنات

---

(١) أخرجه: الطبراني في مسند الشاميين رقم (٢١٥٥).

لا يعرف قدرها إلا الله.

فنعوذ بالله من الحرمان والخذلان، والمحروم من حُرم هذ الفضل، وانشغل بما يضره فضيع أوقاته فيما يضره لا فيما ينفعه.

الموفق والمحروم

أعلمت الموفق من المخذول؟ والذي يحبه الشكور فييسره لليسرى ويوفقه لكل خير والذي يبغضه فييسره للعسرى، والسبب هو ما قدمته أيديهم، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ – ١٠].

أحبهم إليه أنفعهم لخلقه

تُدخل السرور على عباده فيدخل الشكور عليك السرور.

ومن لطفه أنه جعل السرور الذي تدخله على

المسلم من أفضل العبادات التي تتقرب بها إليه سبحانه وتعالى، فإن «**أَحَبّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ- شَهْرًا وَمَنَ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللهُ ﷻ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللهُ ﷻ قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ**»(١)، وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ شَهْرًا فِي مَسْجِدِي هَذَا، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَقْضِيَهَا ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ**»(٢).

---

(١) أخرجه: الطبراني في الكبير رقم (١٣٦٤٦).

(٢) أخرجه: ابن بشران في أماليه رقم (٩٨٩).

ألم أقل لك أنك تتعامل مع الرب الشكور؟

خير البيوت وشرها

يجعل الشكور خير البيوت بيت يُحسَن فيه إلى يتيم، وشر البيوت بيت يساء فيه إلى يتيم، سبحان الرب الشكور، خير البيوت وأفضلها وأزكاها بيت يكرم فيه يتيمًا.

تخيل أنك إن تكفل اليتيم وتحسن إليه تكن مرافقًا للنبي ﷺ في الجنة، «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ**»(١).

فلما فقد اليتيم مصدر الأمن والأمان والرعاية والإكرام والحنان متمثلًا في والده، رغَّب الشكور عباده في القيام مقام والده، ومنح من يقوم مقام آبائهم هذا الثواب الجزيل والعطاء الوفير.

وأي عطاء أفضل من أن ترافق خير البرية في أعلى

(١) أخرجه: البخاري رقم (٥٣٠٤)، والترمذي رقم (١٩١٨).

المنازل في الجنان، والمحروم من حرم هذا الفضل العظيم.

﴿ ولو بالقليل يشكرك ﴾

بل وإن قمت بالإحسان إلى اليتيم ولو بأيسر الأعمال وأقلها كلفة عليك شكرك الشكور عليها، ومنها أن تمسح على رأس اليتيم فإن فعلت فلك بكل شعرة تمر يدك عليها حسنة.

فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا لِلَّهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ، وَقَرَنَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى»(١).

قال البيهقي: «وَأُحِبُّ مَسَحَ رَأْسِ الْيَتِيمِ وَدَهْنِهِ

(١) أخرجه: أحمد رقم (٢٢١٥٣)، والطبراني في الكبير رقم (٧٨٢١).

وَإِكْرَامِهِ، وَأَنْ لَا يُنْهَرَ، وَلَا يُقْهَرَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَوْصَى بِهِ» (١).

من أحسن إليهم أحسن إليه

فمن أحسن إلى اليتامى أحسن الشكور إليه.

ومن جبر خاطرهم جبر الله خاطره.

ومن تكفل بحاجاتهم تكفل الله بحاجاته.

والجزاء من جنس العمل.

اختارهم وشكرهم

فهنيئًا لمن اختاره الله لكفالة الأيتام، وقد شاهدنا من أنشأ الجمعيات التي ترعاهم وأوقف لها الأوقاف، وبنى لهم المساكن التي تأويهم، وجهز لهم الطعام الذي يكفيهم، وساعدهم في التعليم، وفي الزواج، وفي العلاج، وأغناهم عن مد يد الحاجة للناس..

---

(١) أخرجه: البيهقي في معرفة السنن والآثار رقم (٧٧٦٣).

هذا الصنف اختارهم الله وشكرهم الشكور على أعمالهم فحفظ عليهم أموالهم ونماها لهم.

اطلعت منذ شهر تقريبًا على تقرير عن إحدى الجمعيات التي من صميم أعمالها كفالة الأيتام، وقد أنشئت في إحدى البلدان العربية منذ أكثر من مائة عام، فوجدت لها أكثر من أربعة آلاف فرع على مستوى ذلك الوطن، كل فرع يضم مئات الأسر، ويكفل آلاف الأيتام، وما زالت فروعها تمتد في أنحاء هذا الوطن.

ﷺ يغبطون عليها ﷺ

فقلت هنيئًا لصاحب فكرة إنشاء هذه الجمعية، ولمن ساعد في تأسيسها، واستِمرَار عملها، وحفظ أموالها، وتطوير أعمالها، ومحاربة كل من تسول له نفسها المساس بأصولها، أو إهدار أموالها، أو صرف مال في غير ما وضع له.

كل هؤلاء شركاء في الأجر، ولن ينسى لهم الشكور صنيع أعمالهم، وإخلاصهم لربهم، وحملهم هم الأيتام،

وتحمل المسؤولية وكأنهم آباؤهم، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤].

فرحان الخير

رأيت شابًا مسؤولًا عن إحدى فروع جمعية خيرية من أهم أعمالها كفالة الأيتام.

وكان الفرع يضم عددًا من المكاتب في عدة بلدان وقرى تخدم الأيتام وتساعدهم.

وكان هذا الشاب في ريعان شبابه.

وعلى الرغم من كثرة أعماله إلا أن شغله الشاغل وعمله المقدم هو القيام على مصالح الأيتام.

وكان هو المؤسس لهذا الفرع، وصاحب فكرة أن ينشئ مسجدًا تابعًا لهذه الجمعية.

وبالفعل انتهى من بناء المسجد، ثم تم الاتفاق على إنشاء مقر لتحفيظ القرآن فوق المسجد.

وفي يوم من الأيام وهو في مقر التحفيظ، وكان

يحتاج لبعض الإصلاحات قام ليصلحه بنفسه فأصيب فمات، رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة.

ॐ عاش من أجلها ॐ

ألا ترى معي أنه عاش من أجل كفالة الأيتام والسعي في مصالحهم، فختم له الشكور بخاتمة حسنة؟!

ليموت في مقر الجمعية وهو يقوم بعمل بعض الإصلاحات فيها، ليبعث يوم القيامة على هذا العمل.

فمن مات على شيء بعث عليه، رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنان، وحفظ له ذريته وأصلحها وقر عينه بها في الآخرة.

ॐ أعرفت فضله وكرمه؟! ॐ

إنك تتعامل مع الشكور الكريم، إذا أكرمك أدهشك، وإذا أعطاك أذهلك.

وإذا أحبك استعملك في طاعته وألهمك ذكره، ويسر لك سبل الخير.

لسانك يلهج بذكره، وسمعك يأنس بسماع ما يرضيه، وقلبك يتلذذ بطاعته.

وفضلًا عن ذلك يضيق قلبك ولا ترتاح نفسك إذا انصرفت عنه أو فعلت ما يُغضبه.

فأنت في جنة الدنيا، انشراح في الصدر، ورضا عن الرب في كل ما قدر وقضى وإن كان مرًا، وشعور بحلاوة الإيمان في القلب، وإشعاع نور الطاعة في الوجه.

من منَّا لم يكرمه الكريم أو يعطه الجواد، كل النعم والعطايا التي غمرتنا في كل لحظة من حياتنا إنما يرجع الفضل فيها له سبحانه وتعالى. سبحانه من رب شكور.

وصية غالية من محب لك

أسألك فأجبني.

كم من مشروع انتشر خيره وعم نفعه في أرجاء المعمورة، كانت فكرة هذا المشروع ونواته لأناس لا نعلمهم لكن الشكور يعلمهم وسيثيبهم عليها ويجزل لهم العطايا والهبات؟!

هناك مشاريع عِظام من مؤسسات تعليمية، ومنشآت وتجهيزات صحية، ومشاريع تنموية، وجمعيات دعوية وخيرية وإنسانية في مجالات متعددة، خدمت هذه المشاريع الأمة سواء في دينهم أو دنياهم امتدت لآلاف السنين، وستبقى إن شاء الله خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

۞ وما الضير؟ ۞

من أنشأ هذه المشاريع؟ كثير منهم نحن لا نعلمهم ولا يعلمهم كثير من الناس.

وما الضير أنا لا نعلمهم؟! حسبهم أن الله يعلمهم.

فلا يضرهم أن البشر لا يعلمونهم إن كان الشكور يعلمهم.

۞ لا تقلل من دورك ۞

فلا تقلل من شأنك ولا من جهدك، لا يثبطنك الشيطان عن فكرة فيها نفع لدينك وأمتك، فقط استعن

بالله وابدأ وأخلص النية له، وسيكرمك ويرضيك الشكور، وييسر أمرك، ويفتح عليك ويوفقك.

وما تدري لعل بذرة تبذرها لا تُلقي لها بالًا تكون سببًا لخير يعم في أرجاء المعمورة وأنت لا تحسب لذلك حسبانًا؟

۞ مغمور يذاع صيته ۞

صدقني كثير من المشاريع الخيرية بدأت من اقتراح شخص، وتعاون في تنفيذها آخرون، وقلدها آخرون بسبب نجاحها، وانتشرت انتشار النار في الهشيم.

هل تتخيل أن يقوم مكتب مغمور بإنشاء مشروع لطباعة العشر الأخير وتوزيعه.

فيكتب له النجاح ويطبع بستين لغة، ويوزع في العالم أجمع.

يطبع منه ملايين النسخ، بل يُجعل له وقف ليدعمه، لتبقى آثاره إلى ما شاء الله، وما زال هذا المشروع إلى الآن قائمًا وكل يوم في تطور.

بارك الله في القائمين عليه، والمنتفعين به، وتقبل منهم صالح أعمالهم، وزادهم من فضله، وحفظهم من كل مكروه وسوء، ونسأله لنا ولذرياتنا من فضله العظيم.

ما تدري فانهض وابدأ

أنت لا تدري ما الذي ينتظرك في مستقبل عمرك.

فأقدم وانوِ الخير وأخلص النية ولا تتردد ولا تنس أنك تتعامل مع الشكور.

لا أنسى أنه أُنشئت عدة حلقات قرآنية، وتخرج منها مئات الحُفاظ المتقنين وآلاف الطلاب بسبب فكرة شاب متحمس محب لكتاب الله، أخذ بالأسباب، فيسر الله أمره ونفع به، وأنشأت حلقات عدة على منوال تلك الحلقات التي أنشأها هذا الشاب.

فابدأ ولا تتردد وتوكل على مولاك، والشكور لن يتركك وحدك بل سيهديك، ويسخر لك الأسباب، ويهيئ لك الظروف، ويلهمك الصواب والرشد، ويلازمك التوفيق والسداد إن كانت نيتك خالصة لوجهه

الكريم.

۞ أكرر الطلب حبًا لك ۞

انهض وسر في ركاب أصحاب الهمم العالية واسأل ربك التوفيق والسداد فالموفق من وفقه الله لأعمال الخير، وشرح صدره لها.

فاللهم ارزقنا وذرياتنا أعمالًا صالحة وأوقافًا باقية، تكون لنا ذخرًا في حياتنا وبعد مماتنا.

ووفقنا وسددنا لعمل الصالحات، والانشغال بأبواب الخيرات، واجمعنا مع نبينا في فردوسك.



إنه اللّه جل جلاله

الجبـــار

يجبر الكسير

ويشفي المريض

ويغني الفقير

وييسر الأمر العسير

له المشيئة النافذة

كل المخلوقات مقهورة له

خاضعة لعظمته

منقادة لحكمه

ﷻ الجبار ﷻ

في كل صلاة من صلاتك يشرع لك أن تدعوه بهذا الاسم «**الجبار**»، فتقول بين السجدتين «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي، وَاجْبُرْنِي**»(١).

هل استشعرت عظمة هذا الدعاء؟

هل فهمت معناه؟

هل شاهدت آثاره في حياتك وحياة من حولك؟

أغمض عينيك واستحضر قلبك وتذكر كم مرة في حياتك جبرك الجبار؟

هيا تعالى معي لنتذكر سويًا:

ألم تكن صغيرًا ضعيفًا فجبرك ورعاك الجبار حتى صرت شابًا يافعًا نافعًا؟

---

(١) أخرجه: عبد الرزاق رقم (٣٠١٠)، وابن أبي شيبة رقم (٨٨٣٨).

ألم تكن فقيرًا محتاجًا فجبرك الجبار فأغناك بعد فاقة وحاجة؟

ألم تكن مريضًا ترهقك الآلام وتتعبك الأسقام فجبرك الجبار بشفاء عاجل وأذهب أوجاعك وأسقامك؟

ألم تكن ذليلًا فجبرك الجبار ورفعك وأعلى قدرك وشأنك بين أقرانك؟

ألم تكن جاهلًا فجبرك الجبار وعلمك ورفعك بعلمك؟

ألم تكن فردًا فجبرك الجبار بزوجة وذرية وأحفاد؟

ألم تكن مبتلى فجبرك الجبار ورفع عنك الابتلاء الذي أتعبك وكنت تظن أنه لن ينكشف عنك؟

كم مرة تطلعت نفسك للحصول على أمرٍ ما وكنت تظن استحالة وقوعه فجبرك الجبار وحصلت عليه؟

كم مرة انكسرت في موقف أو حاجة فجبرك الجبار وغمرك بفضله وعطاياه، وعوضك خيرًا؟

فسبحان من يجبر قلوب عباده المؤمنين.

فيجبر صغيرهم.

ويزيل همومهم.

ويكشف كربهم.

ويعوضهم بعد صبرهم.

تعالوا معي لنطوف سويًا في قصص شاهدة على أثر اسم الله الجبار في حياتنا.

من ترك شيئا للّه عوضه الجبار خيرًا منه

هل تعلق قلبك بشيء ثم تركته لله فشاهدت عوضه في الدنيا بأم عينيك؟

هل دعوت ربك بعوض عن محبوب تركته من أجله، طالبًا بالترك مرضاته؟

هل عشت مرارة ترك المحبوب والمرغوب من أجل رضا الله؟

هل عاش قلبك تلك الساعات الطويلة التي تشتاق

إلى عوض الله لقلبك المنكسر؟

هل شاهدت جبر الله لقلبك المنكسر؟

كيف عشت فرحة جبر قلبك المنكسر؟

كيف غمرتك السعادة وقتها؟

إنه الله جابر القلوب المنكسرة.

فلا تحزن فالله معنا بعلمه ولطفه ورحمته وحكمته.

كيف تحزن وأنت من أوليائه المؤمنين وأصفيائه الصالحين فلك البشرى في الدنيا والآخرة.

وتذكر دائما قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانُواْ ....﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤].

۞ أبوين متباينين ۞

تترعرع تلك الصغيرة بين أبوين متباينين في كل شيء، لا توافق بينهما في شيء.

الأم تحب التدين وترغب فيه، صوامة قوامة، فالصلاة قرة عينها، والستر ديدنها، ثيابها محتشمة، متفانية في خدمة الآخرين، بر الوالدين والإحسان إليهما مبتغاها، تحسن التبعل لزوجها، والصبر على ما يصيبها من أذية أهله لها، وتحريض الزوج عليها.

تحاول وتحاول

تقابل إساءتهم بالإحسان، ترغبه دائمًا في صلتهم على الرغم من كثرة ما يلحقها من أذى منهم.

تحاول نصحه باستمرار للمحافظة على الصلاة، وترك التدخين.

وتعلم أن الأخذ بيد الزوج إلى طريق الأمان هو عمل عظيم تقوم به الزوجة الصالحة.

لم تنسَ له طيبة قلبه، ومساعدته للمحتاجين، ووضعه الدين عمن يداينهم ممن تعسر فلم يستطع تسديد ما عليه من دين..

تسعى الأم جاهدة لتربي بناتها كأفضل تربية، على

الصدق والستر والحياء والحشمة، على الرغم من الانفتاح الذي كان يعيش فيه أغلب من كان حولها سواء من أهل زوجها أو من جيرانها أو المجتمع الذي تعيش فيه.

الحرب الشعواء

رزقت بأربعة من البنات، مما دفع أهل الزوج أن يشنوا حربًا شعواء عليها وعلى بناتها، ويسعون بكل ما أوتوا من قوة في السعي لتزويج أخيهم من أجل أن ينجب ذكورًا.

ولم يدر بخلدهم أن هذا رزق مقدر، وهبة من الوهاب، ليس للزوج ولا للزوجة فيه شيء. ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗا﴾ [الشورى: ٤٩ – ٥٠] فهي هبة من الله لا دخل لأحد فيها.

وما تدري لعل عدم إنجاب الذكور خير لهم، فربما كانوا سبب لشقائهم في الدنيا والآخرة؟

فكم شاهدنا من أبناء كانوا نقمة على والديهم، ومصدر تعاسة وخيبة أمل لهم؟!

ألم يُؤمر سيدنا الخضر بقتل غلام علم الله بعلمه الأزلي أنه سيكون كافرًا ويرهق والديه المؤمنين طغيانًا وكفرًا، ثم أبدلهما ربهما خيرًا منه زكاة وأكثر رحمًا.

فارض عن الله فيما رزقك تسعد، واعلم أن الله يختار لعبده المؤمن ما هو خير له.

الموت يأتي فجأة

وينتهي الأمر برضا الزوج بزوجته وبناته وأصبحوا هم شغله الشاغل، يسعد في ملاعبتهم والأنس بهم، إلى أن أتى يومٌ وفجأة وبدون مقدمات يفاجئ الموت الزوج ويموت وهو في ريعان شبابه رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة وغفر له ولجميع المسلمين.

وهكذا يجب على كل عاقل أن يستعد للقاء الله وليعلم أن الموت أقرب إليه من شِرَاكِ نعله، وأنه يأتي فجأة، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾

[الأعراف: ٣٤].

تنتهي الحياة في لحظة، وعلى حسب عملك وما قدمته في دنياك يكون مكانك في قبرك، فقبرك إما روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران.

جعل الله قبورنا ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين روضة من رياض الجنان، وأدخلنا الفردوس الأعلى من الجنة من قبل سابقة عذاب أو حساب.

رحلة التغيير والحلم

وهنا تبدأ رحلة التغيير في حياة البنت الثانية، فتقرر أن تقدم شيئًا تنفع به والدها الذي أحبته من كل قلبها، فتتحجب وترتدي نِقَابها، وتتمسك بتعاليم إسلامها، وتستمر على ذلك، وتتصدق عن والدها بأنواع الصدقات، المساهمة في بناء مساجد، وحفر آبار، وسقيا الماء، والمساهمة في تعليم الناس الخير، وغيرها من أبواب الصدقات الكثيرة.

كل حلمها أن يرزقها الله بزوج صالح تسعد به

ويسعد بها، لتعيش هي وهو في حياة آمنة هادئة تحيطها السعادة من كل جانب.

شغلها هذا الحلم، فتضرعت لربها تدعوه ليل نهار بتحقيق حلمها، وكانت تتحرى أوقات الإجابة، في السجود، وبين الأذان والإقامة، وفي الثلث الأخير من الليل، ووقت الإفطار عند صومها.

۞ ويتقدم العريس ۞

ويتقدم لخطبتها شاب وسيم صاحب مكانة اجتماعية مرموقة، ويثني عليه ابن عمتها وترتاح أسرتها له وتتم الخطبة.

وكانت المفاجأة الصادمة لها أنه لم يكن ذاك الشاب المتدين الذي تحلم به، فقد آلمها أنه من المدخنين، وعدم تحمله المسؤولية، وغيرها من بعض الصفات.

ولم تتعجل في أخذ قرار الانفصال عنه، فحاولت نصيحته، فوعدها بتغيير ما يؤلمها، وأقسم بالأيمان المغلظة على ذلك، لكنه لم يوف بعهده الذي قطعه على

نفسه، ودفعه ذلك إلى أن يكذب عليها مرارًا، ولم تعلم بكذبه في أول الأمر ولكن الله ساق لها من يخبرها بأمره.

ॐ القرار الصارم ॐ

وهنا قررت أن تأخذ قررها بالانفصال قبل أن يتم الزواج وهذا الأمر لم يكن بالقرار السهل على والدتها وأخواتها وأهلها، وعلمت أنه لابد من المواجهة والإعلان للجميع عن قرارها ومبرراته، ويقابلها الجميع بالرفض التام لقرارها، وأنها غير صائبة في أخذ قرارها.

ॐ المحاولات المتكررة ॐ

وتحاول الأم بكل ما أوتيت من قوة أن تثني ابنتها عما عزمت عليها وتحاول بالشدة مرة، وباللين مرة، وبالأقارب ثالثة، واجتمع الجميع على الفتاة إلا أنه لم يثنها شيء عما قررته.

وهي موقنة في قرارة نفسها أنها تركته لله وأن الله سيعوضها خيرًا منه، فهي لم تتركه من أجل دنيا طلبتها

ولا شيء آخر، غير أن كل ما ترغب فيه هي تلك الأمنية التي تمنت تحقيقها وهي الزوج الصالح حتى ولو كان فقير الحال، وبعد أن يأس الجميع من عدولها عن قرراها استسلموا ورضوا بالأمر الواقع فليس لهم إلا قبول ذلك.

۞ وانطوت الصفحة المؤلمة ۞

وتطوى صفحة طالما آلمتها، وتنهي دراستها في كلية الطب وتتخرج منها.

ويتقدم لخطبتها آخر حافظٌ لكتاب الله وحاصل على كلية شرعية، وعلمت أنه إمامًا لأكبر مسجد في مدينتها فتطير فرحًا به وتظن أن الله عوضها خيرًا مما أخذ منه، إلا إنه لم تكتمل فرحتها بسبب ما أبدته والدته من حرصها على أن تخلع حجابها في ليلة عرسها، وأن تجلس مع أخو زوجها بدون حجابها، وأنه لا ينبغي لها أن تفرق بين الأخ وأخيه إلى غير ذلك من الأمور.

ولم تنس المسكينة

ولم تنس هذه المسكينة أن الحمو الموت كم أخبر النبي ﷺ، فهناك فرق بين الخلوة والاختلاط بأقارب الزوج، وبين الإحسان إليهم، فالأولى لا تجوز ومحرمة شرعًا، ومن فتح بابها لحقه الشر وخراب البيوت، وتشتتها وفضيحتها، والواقع خير شاهد على ما ذكرت.

وكانت الصدمة

وتتحدث مع الشاب الذي تقدم لخطبتها متعجبة مما ذكرته والدته وأخبرته بخبرها، وهي على ثقة أنه سيرفض هذا رفضًا تامًا، وأنه سينصح أمه ويبين لها خطأ ما ذهبت إليه، لكن كان العكس من ذلك حيث رأت منه عدم المبالاة بمثل هذه الأمور، فقررت ثانية عدم خوض تجربة شبيهة بالتجربة السابقة، لكن أَنَّى لها ذلك وقد أرهقتها أمها في السابق بسبب خطيبها الأول.

وكان الفرج

فلجأت إلى ربها وسلمت أمرها له، وكانت المفاجأة أن الأم في تلك المرة قررت أن هذا الموضوع ليس في صالح ابنتها، بعد أن رأت من أهل الخاطب بنفسها بعض المواقف غير الطيبة.

فلعل هذه المرة أكرمها الله وصرف عنها الشر لعلمه بضعفها، فحمدت ربها.

إنه الكريم الجواد، خالق السماوات الذي يعلم السر والعلانية، يعلم ما ظهر وما بطن، يعلم الخفايا والنيات، ويعلم ضعف الإنسان، فمن فضله أنه لم يكلفه فوق طاقته.

أرأيت حين تعبت تلك الفتاة، وفوضت أمرها لربها، ورفعت يديها الضعيفتين تشكو إلى خالقها حالها، وتتضرع إليه أن يصرف عنها ما يسوؤها؟

فكان سبحانه وتعالى ولازال سميع قريب يجيب دعوة المضطر ويكشف الضر، ويكون لأوليائه المؤمنين

في شدائدهم.

ففي كل أمورك فوض أمرك لله وأعلنها مدوية ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤]، ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، «**حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله إن إلى ربنا راغبون**»..

إنها الأقدار

ولا تمر كثير من الأيام حتى يتقدم لها خطيب آخر، حدث هذا في أحداث عجيبة غريبة، ها هو يذهب إلى الشهر العقاري ليوثق أوراق لبنات خالته، وكان يقوم على شؤونهم بسبب صغرهم وعدم وجود زوج لخالته، ويقدم الأوراق ويُنهيها الموظف ويطلب هوية خالته فيعتذر بعدم وجودها بسبب أن ابنها الأكبر أخذها معه هذا الأسبوع فقد طلبتها منه جامعته.

ويثور الموظف ويغضب، ويحاول الشاب تهدئته وأنه سيفعل له ما يريد، خذ هويتي اتركها عندك إلى أن آتي بهوية خالتي، خذ ما معي من أموال إلى أن آتيك بها،

المهم لا تغضب ولا أريد أن يلحق بك ضرر.

فأنا حريص إن لم أستطع أن أنفعك فلن أضرك، هذا مبدئي في الحياة.

وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم، أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ففي الحديث «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١)، فكل عمل لا ترضى أن يفعله أخوك معك حرام عليك أن تفعله معه، سر على هذا القاعدة تفلح في الدنيا والآخرة.

وهنا يؤذن لصلاة الظهر، فيقول الموظف لذلك الشاب: نصلي الظهر ويقضي الله أمرًا كان مفعولًا، ويذهبا سويًا لمسجد بجوار عمل الموظف.

مقابلة على غير موعد

ويدخل الشاب ليتوضأ وإذا هو يقابل صديق لزوج أخته لم يره من فترة طويلة، ويتجاذبان الحديث، يسأله

(١) أخرجه: البخاري رقم (١٣)، ومسلم رقم (٤٥).

هل تزوجت؟ الشاب ليس بعد.

بادره قائلًا: لي عندك عروسة طيبة وأهلها طيبون، الشاب من أين؟

بجوار هذا المكان الذي تصلي فيه، يبعدنا عن بيتها أمتار معدودة.

الشاب: لا لا، لا يناسبني أن أتزوج من هذا المكان، لماذا؟

قال: جربت من قبل فقد خطبت من هذه المدينة ولم أوفق، فقررت ألا أتزوج من هذه المدينة، فظل الرجل يقنعه ويحاول معه ويحاول، والشاب يقول: حتى وإن قبلت أنا فأهلي سيرفضون ذلك رفضًا تامًا.

ألح وألح

لم ييأس الرجل ويحاول مع الشاب، يقول له: لن تخسر شيئًا استخر واجلس معهم فإن رأيت خيرًا وارتاحت نفسك وإلا فانصرف من حيث أتيت، ولن يكلفك ذلك شيئًا، الشاب ماذا أقول لأهلي؟ الصديق

يقول: لا تسبق الأحداث.

الشاب إذا سآتي وحدي ولن أخبر أهلي بهذا الموضوع في هذا الوقت، الرجل كما تحب.

۞ مؤلف القلوب ۞

يأتي الشاب ويذهب لينظر إلى تلك الفتاة، شابة ليست باهرة الجمال، مقبولة الشكل، يجلس معها وينظر إليها النظرة الشرعية، ويرتاح لها ولوالدتها، وسبحان من ألف بين قلب الشاب والفتاة، فالقبول ليس بالجمال، فقد رأى قبلها أكثر من عشرين فتاة وكثيرات منهن أجمل منها بمراحل، لكنه القبول الذي عبر عنه ربنا بقوله: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

۞ الاستخارة ۞

وبعد استخارة هذا الشاب يرتاح لهذه الفتاة، ويذهب ويقرر أن يخبر والدته، فتوافق، لكنها تقول: لن أستطيع أن أخبر والدك لرفضه التام لخطبتك من هذه المدينة، وتتفق مع ابنتها أن يذهبا سويًا إلى بيت العروس وبعدها تقرر ماذا سيكون، ويذهبون إلى بيت هذه الفتاة، ويشعرون بطيبة الفتاة وأهلها، ويخرجون من عندهم وعندهم ارتياح لهذه البُنَية وأهلها.

۞ مُغير القلوب ۞

لكن ما زالت المشكلة الكبيرة وهي كيف تخبر زوجها بمثل هذا؟

وتقرر الأم أن تفاتحه في الموضوع وسبحان من بيده القلوب، فتتفاجأ بموافقته على الموضوع دون اعتراض من خلال ما ذكرته عن العروس وأهلها، تدينها وخلقها وتواضعها.

وسبحان الله يتقدم للخطبة في شهر شعبان، ويعقد عليها في شهر رمضان، ويتزوجها في أول شهر شوال.

۞ العِوض من الجبار ۞

ترضى هذه الفتاة بهذا الشاب الذي هو أقل منها مالًا، فلا يملك إلا وظيفته، لا تكاد تكفي لحياة كريمة، وأقل منها شهادة، فهي متخرجة من كلية الطب، لكن هدفها أن تتزوج شاب متدين، وبقية الأمور ليست ذات أهمية عندها.

وتتزوج في شقة متواضعة في بيت أهل زوجها، وتعيش مع أهله، وتظل ثلاث سنوات تقوم بخدمة زوجها وأهله، وتشارك مع زوجها في تعليم القرآن لأهل قريتهم الصغيرة التي يعيشون فيها، «**فَخَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»(١).

(١) أخرجه: البخاري رقم (٥٠٢٧).

۞ تتغير الاهتمامات ۞

وتتغير حياتها، فيومها مضغوط من أوله إلى آخره، في الصباح الباكر بعد صلاة الفجر يبدأ يومهم بتعليم القرآن الكريم لمن يأتي من صغار أبناء وفتيات القرية.

ثم الساعة الثامنة صباحًا تنزل إلى والدة زوجها تقوم بكنس بيتها وإعداد طعام الغداء.

ثم بعد الانتهاء تصعد إلى شقتها لتقوم على شؤون بيتها وحاجات زوجها.

ثم في وقت فراغها تساعد زوجها في عمله.

ثم تصلي العصر وتبدأ في حلقة جديدة مع آخرين من أبناء القرية لتعليمهم كتاب الله.

ثم تصلي العشاء وتخلد للنوم بعد رحلة شاقة من التكاليف والأعمال طوال اليوم.

وعلى الرغم من المشقة إلا أنها كانت تغمرها السعادة، تشعر فيها بالرضا، فوقتها جُله في طاعة الله.

وهي تعلم أن النفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك هي بالمعصية.

ولما لا تكون سعيدة وهي تعلم كتاب الله، الذي فيه راحة القلوب وطمأنينة النفوس؟!

ولما لا تكون سعيدة وهي تقوم بمساعدة الآخرين؟!

ولما لا تكون السعادة وهي تساعد زوجها في تحقيق طموحاته وأهدافه؟!

الطموح وعلو الهمة

ويبقى الطموح وتقرر مع زوجها أن يتفوقا في مجال تخصصهما.

وتذهب الزوجة للحصول على دورات في كيفية تعليم الصغار والارتقاء بهم، حيث كان التعليم في هذه المنطقة بدون أسس علمية صحيحة، تقوم على الارتجال، وكذلك تعليم القرآن بدون تجويد مما يؤدي إلى اللحن الجلي والخفي الذي يحدث كثيرًا، ولم تكن

المهمة سهلة تحتاج إلى دعم مادي وتضحية كبيرة، وسبحان الله يسبب الله الأسباب ويهيئ الظروف.

التوفيق والسداد

وبفضل الله وتوفيقه وبعد مدة ليست بالطويلة ينجحان في تحقيق حلمهما، ويشاء الله أن تتغير المنطقة التي يعيشون فيها، وقد يسر الله أن يتكفل بعض أهل الخير بإنشاء مبنى مكون من عدة أدوار، ثم بعد مدة وجيزة أصبح هناك في المنطقة عدة دور للتحفيظ وتعليم الصغار القراءة بنفس طريقتهم..

وبدلًا من معلم يعلم بالتجويد أصبحت جُل الدور في تلك المنطقة تعلم بالتجويد.

وهكذا تخرجت أعداد كبيرة من الحفظة، أصبحوا فيما بعد أعضاء نافعين في مجتمعاتهم فمنهم الطبيب والمهندس والمعلم وغيرهم.

۞ استقرار وتعاون ۞

وبفضل الله تكمل الزوجة وزوجها حياتهما سويًا في رغد من العيش، وفي استقرار أسري، يتعاونان على البر والتقوى، يتواصيان دومًا بصيام السنن، الاثنين والخميس، والأيام الثلاثة البيض من كل شهر، وعلى قيام الليل، وعلى تعلم كتاب الله وتعليمه، وغير ذلك من نوافل العبادات.

ويحرصان على التواصي دائمًا على اجتناب الغيبة والنميمة ومشاهدة ما يغضب الله من آلات اللهو المحرمة، وسماع الغناء، ومشاهدة ما لا يحل مشاهدته من النظر إلى الأفلام الهابطة والمسلسلات الساقطة، والتي تحث على الخنا والفجور وتدعو إليهما.

تأملت معي قصة هذه الفتاة كيف جبرها الجبار؟ وكيف حقق حلمها؟ وكيف أسعدها؟

فكن مع الله يكن الله معك.

وقدم مراد الله على هواك ورغباتك يكن الله لك كما

تحب.

جعلنا الله وذرياتنا من الطائعين الممتثلين لأوامره المبتعدين عن نواهيه.

۞ الجبار يجبر قلبها ۞

فقر محدق

حالها يرثى له.

تركها زوجها ومعها سبعة من الأبناء والبنات لتتكفل بالنفقة عليهم.

دخلها لا يكاد يكفي حاجاتها وحاجات أبنائها الأساسية، ومع ذلك تجدها.

حامدة لربها طائعة له.

فهي التي حافظت على حجابها.

تؤدي الصلوات الخمس في أول وقتها.

لا تترك النوافل المؤكدة وغير المؤكدة.

صيام النوافل الاثنين والخميس والأيام البيض.

مواظبة على قيام الليل.

في الثلث الأخير من الليل تناجي ربها وتتضرع إليه.

يلهج لسانها بذكر الله على الدوام.

صابرة راضية حتى وإن آلمتها الشدائد والمصائب، وضاقت بها الدنيا أحيانًا.

هذا مجمل حالها.

ॐ زيارة خاطفة ॐ

وفي ذات يوم من الأيام تذهب إلى بلدة أهلها لتقابل ابن أختها لتودعه في سفره إلى المملكة العربية السعودية، فقال لها ابن الأخت: العقبى لك يا خالة في زيارة بيت الله لأداء العمرة، فقالت بصوت هادئ وقلب حزين، أنا أذهب إلى هذا المكان؟! هذا المكان ليس لنا..

فقال لها: الله كريم سبحانه وتعالى إذا قال لشيء كن

فيكون.

قولي: يا رب فهو على كل شيء قدير، فقالت: يا رب، وهي لا تصدق ولو لحظة واحدة أنها في يوم من الأيام تأتي لمكة لأداء العمرة فضلًا عن تأدية مناسك الحج.

ॐ وتحدث الكرامة ॐ

وتمر الأيام والسنوات، وما زال هذا الموقف في ذهن ابن أختها، وفجأة وتحديدًا في شهر ذو القعدة إذا باتصال على الخالة من ابن الأخت يقول لها: يا خالة عندك جواز سفر؟

قالت: لا.

قال لها: اذهبي واستخرجي جواز سفر، ونحن نأخذ بالأسباب ولعل الله يكتب لك حج بيته الحرام هذا العام.

طبعًا هذا الموقف لا يكاد يصدقه أحد، بقي على الحج شهر فقط، وأعداد الحجاج حددت من كل دولة،

وأكثر الحجاج قد أنهوا أوراقهم وحددت مواعيد السفر لكل حاج، بل بعضهم قد وصل فعلًا إلى الأراضي المقدسة، فكيف يكون الحج لامرأة ضعيفة ليس معها جواز سفر إلى هذه اللحظة، وتكون ضمن المدعوين إلى بيت الله الحرام لتأدية الحج في هذا العام؟! فضلًا عن تكاليف نفقات الحج.

ॐ المستحيل واقعًا ॐ

هذا من الأمور المستحيلة في عداد البشر، لكن ليست مستحيلة عند من إذا أراد شيئًا أمر بكلمة واحدة كن فيكون.

وفي حدود أسبوع تمتلك جواز السفر، وتقوم بأخذ بعض التطعيمات، وتذهب أوراقها للسفارة، وفي غضون عدة أيام تأتي تأشيرة حجها.

وفي أوائل شهر ذي الحجة وتحديدًا في اليوم الرابع من هذا الشهر وقبل يوم واحد من الانتهاء من نقل آخر أفواج الحج إلى البلاد المقدسة؛ تركب الطائرة لتنقلها

من عاصمة بلدتها لتحط رحالها في جدة، لتصل في نفس اليوم إلى أفضل بقاع الأرض، وتذهب لتؤدي مناسك عمرتها.

وترى بأم عينها ما لم تكن تحلم في يوم من الأيام أن تراه عيانًا، وتعيش عدة أيام وتدخل أعمال الحج وتؤديها مع ابن أختها، وتنتهي منها.

وترجع ثانية إلى بلدتها، معززة مكرمة، في رحلة هي أقرب للخيال منها إلى الحقيقة، لكنها إرادة الله الجبار الذي هو على كل شيء قدير، جبر قلبها وعوض صبرها خيرًا.

۞ فكن جابرًا للخواطر ۞

فكن ممن قيدهم الله لجبر القلوب المنكسرة، خاصة ممن لهم فضل عليك من الأقارب والأحباب، واعلم أن الله لا يضيع أجر المحسنين، وأن الجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحدًا.

وأن ما تنفقه في سعادة الآخرين وجبر قلوبهم

المنكسرة ومساعدة الفقراء وأصحاب الحاجة والفاقة والسعي في مصالح الناس سيعود عليك في الدنيا قبل الآخرة.

حيث بركة في عمرك وصحتك وأهلك، وزيادة في مالك، فقدم الخير تجده خيرًا وأعظم أجرًا، هذا وعد الله الذي لا يخلف الميعاد، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا....﴾ [المزمل: ٢٠].

فهنيئًا لمن كان هذا حاله، وأسال الله لهم مغفرة ذنوبهم، وبركة في أعمارهم، وزيادة في أرزاقهم، وكشف كرباتهم، وتفريج همومهم، وأن يجمعنا معهم في الفردوس الأعلى من الجنة ووالدينا وأهلينا وذرياتنا.

إلى المشتاقين للبلد الحرام وحج بيته وزيارة مسجد نبيه

فإلى كل مشتاق لبيت الله الحرام، للأراضي المقدسة منعه عن الوصول له ضيق اليد، عجزت به نفقته عن تحقيق هدفه، وهَن عظمه فلم يحمله جسده

لترتوي روحه ويهدأ قلبه العاشق، ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَـا﴾ [التوبة: ٤٠].

علق قلبك بربك.

الهج بالدعاء له.. لا تيأس.. واعلم أنَّ الجبار سيجبرك.

فتفاءل وأبشر بالخير.

ظن بربك خيرًا.

فالجبار عند حسن ظن عبده به، فأحسن الظن بربك، وسترزق بما ترجوه إن شاء الله.

ॐ الجبار يحقق أمنيتها ॐ

قصة أشبه بسابقتها

عجوز جاوزت الثمانين.

وهن عظمها.

اشتعل شعر رأسها شيبًا.

ورثت مبلغًا من المال بعد وفاة زوجها، حاولت أن

تحج به، فالمبلغ لا يكفي لأداء تكاليف الحج.

أولادها بارون بها لكن مصاعب الحياة وتكاليفها والنفقات الواجبة عليهم حالت بينهم وبين أن يحققوا أمنية والدتهم.

ॐ تعلق القلب بالله ॐ

لا تكاد تمر ليلة من الليالي إلا وتتضرع لربها في سجودها أن يبلغها هذا المكان المبارك، وأن يحقق تلك الأمنية الغالية التي سيطرت على فكرها ليل نهار، ولكن أنى لها ذلك في هذه الظروف الصعبة، لكنها لم تيأس.

ॐ الأخذ بالأسباب ॐ

استثمرت المبلغ عند بعض المستثمرين، لكن للأسف كان العائد قليلًا في بعض الأعوام، ومنعدمًا في بعضه الآخر، فقررت أن تذهب إلى العمرة بهذا المبلغ بعد أن أصابها اليأس من تحقيق أمنيتها بما معها من المال، وتأتي لأداء العمرة في شهر رجب، ثم تكرر العمرة

بما تبقى معها من المال في نفس العام في شهر رمضان، وترجع إلى بلدتها، وتعيش في كنف أبنائها.

ॐ عدم اليأس ॐ

وفي الحقيقة والواقع المفترض أن تتوقف عن التفكير في الحج، وتنسى تحقيق حلمها، إلا أنها لم تيأس من فضل ربها وكرمه وجوده سبحانه وتعالى، فتحقيق المستحيلات عنده يسير.

وفي الثلث الأخير من الليل لا تكاد تمر ليلة من الليالي إلا وتتضرع لربها وتدعوه راجية منه أن يحقق لها أمنيتها في أداء الحج.

وتمر السنة تلو الأخرى، وهي تدعوه بقلب موقن بالإجابة.

ॐ السلاح المعطل ॐ

إنه الثلث الأخير من الليل، وما أدراك ما الثلث الأخير من الليل؟!

وقت استجابة الدعوات، وتحقيق الأمنيات.

السلاح المعطل الذي غفل عنه كثير من الناس سلاح الدعاء.

فأعجز الناس من عجز عن الدعاء.

يُنادي من بيده خزائن السماوات والأرض في الثلث الأخير من الليل هل من داع فأجيبه؟

هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟

هل من...؟ هل من.... حتى يؤذن للفجر.

۞ تحقق الأمنية ۞

وتستجاب الدعوات وتتحقق الأمنيات.

وفي يوم من الأيام إذا بابن أخيها يتصل بها ويطلب منها أن يذهب ولدها بجواز سفرها إلى السفارة السعودية لاستخراج تأشيرة حج لها.

وما كادت أن تصدق ذلك، كيف يكون ذلك؟

أبعد هذا العمر؟! أبعد هذا الانتظار؟!.

إنها لا تملك ثمن تذكرة الطيران ذهابًا ولا إيابًا فضلًا عن تكاليف الحج التي تتجاوز في هذه الفترة ثمانين ألفًا.

ويذهب ولدها للسفارة، وبعد ثلاثة أيام يذهب ليستلم التأشيرة.

وتخرج من بيتها إلى المطار إلى الأراضي المقدسة وتؤدي العمرة والحج مع ابن أخيها الذي كان لها خير معين في خير بقاع الأرض، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة.

لقد تحقق حلمها واستجاب الله دعاءها، وأقر عينها، مع قلة ذات اليد وضعف البدن.

فسبحان الجبار الذي يجبر القلوب، ويحقق الأمنيات، من بيده الأمر، وهو على كل شيء قدير.

۞ أسعِد تَسعد ۞

وتعود إلى بلدتها وقد غمرتها فرحة وسعادة يصعب وصفها.

وتقابل الجميل بغمر ابن أخيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسيل من الدعوات كلما تذكرته أو حدثته، أو حتى ذكر اسمه أمامها.. لقد أصبح مجرد سماع اسمه مصدر سعادة لها..

فكن أنت من أسباب جبر القلوب، من الذين يسعدون الآخرين..

كن ممن يضمد جروح المجروحين، ويخفف آلام المتوجعين، ويعين المستضعفين، ويدخل السرور على قلوب المنكسرين، وسترى أثر ذلك في حياتك.

۞ جبر الجبار لهما ۞

ليس هناك مُحال مع قدرة الله.

ربما تحلم ويشرد ذهنك إلى عالم الخيال.

لا تتوقع ولو في الحلم أن يحدث ما تحلم به.

وفجأة وبدون مقدمات يحدث ما لم تكن تتخيل وقوعه..

۞ النشأة الصالحة ۞

نشأ هذا الشاب وأخته في أسرة متدينة، من صغرهما.

الأبوين محافظين على الصلاة، آمرين أبنائهم بها.

يصحب الأب الأبناء الذكور منذ صغرهما إلى المسجد حتى في صلاة الفجر والعشاء.

ويوقظ البنات إلى الصلاة.

وتستمر المتابعة المستمرة من والدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا أن لقي ربه.

لقد كانت المتابعة من الأب للأبناء والبنات صغارًا وتستمر حتى لمن كبر من الأبناء الصغار واستقل في بيت مستقل مع زوجته.

فكان من عادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قبل أذان الفجر يتصل على الأبناء والبنات حتى لا تفوتهم صلاة الفجر.

وإن نسي يومًا أن يتصل على أحدهم أو استيقظ على صلاة الفجر فانشغل بنفسه ليدرك الصلاة في جماعة فلم يرَ أحد الأبناء يصلي معه في المسجد، يتصل به، وإن لم يرد على الاتصال لأي سبب من الأسباب ذهب إليه بنفسه ليوقظه للصلاة على الرغم من كبر سنه.

الخوف على الأبناء

فيا له من حرص الأب على الأبناء وحب الخير لهم، ممتثلًا قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا .... ﴾ [التحريم: ٦]، وقوله: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا ﴾ [طه: ١٣٢]، وقول النبي ﷺ:

«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[(١)].

قدوة الآباء للأبناء

أما عن النوافل فحدث ولا حرج، فوالدتهما لا يمر عليها يوم إلا وتصلى الضحى ثمان ركعات، ويندر أن تصليها أربع ركعات فضلًا على صلاتها ركعتين.

وقيام الليل تصليه أحد عشر ركعة لا تتركه أبدًا.

والاثنين والخميس والأيام البيض ثلاثة أيام من كل شهر لا تترك صيامها إلا فيما ندر على الرغم من كبر سنها وتقدمها في العمر.

فضلًا عن المحافظة على أذكار الصباح والمساء.

والاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير والحمد، وقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» كل منها لابد من قولها صباحًا مائة مرة..

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٨٩٣)، ومسلم رقم (١٨٢٩).

وبر الوالدين والإحسان إليهما.

والإحسان إلى أقارب زوجها خاصة، فقد قامت على خدمة أم زوجها كأنها تخدم أمها التي ولدتها، وتسعى دومًا لجبر خاطرها، ولا ترضى لأحد أن يضايقها أو يدخل الحزن عليها حتى ولو كان من أحب الناس إلى قلبها.

هذا باختصار حال الأسرة التي نشأ فيها هذا الأخ وأخته.

التخيلات والأمنيات

يجلس الأخ مع أخته التي تصغره في العمر، ولم يتجاوزا الثلاثين من عمرهما، دخلهما محدود، الأخ موظف دخله يكاد يكفي ضروريات الحياة، وكذلك أخته حالها ليس بأفضل منه كثيرًا، تسامرا بعد أن سمعا خبر اختيار أختهما الأكبر منهما وزوجها بالقرعة لحج عام ١٤٣٨هـ.

على قرب منهما والدتها تسمع حديثهما، فتقول

الأخت الصغرى لأخيها: أختنا وزوجها سيذهبان للحج هذا العام، بارك الله لهما وتقبل منهما، وأغلب إخوتنا وأخواتنا حجوا، أما أنا وأنت فمن المستحيل أن نحج.

كلمات قالاها ولم يعلما أن تلك الكلمات لها أثر لم يتوقعاه، كلمات تكلما وسبحان من بيده الأمر، ومن يحول الأمنيات إلى حقائق.

تتحقق الأمنيات

وتمر الأيام وتجلس أمهما مع أخيهما الأكبر، وقد وسع الله عليه، اللهم زده وبارك له في ماله وذريته وعلمه، ويتجاذبان الحديث وما دار بين الأخوين على سبيل الحكاية، وأن هذا الموقف قد أثر في الأم لدرجة أن كلامهما أحزنها، شفقة لحالهما، فهما الصغيران، والكل يعرف تعلق الأبوين غالبًا بأصغر الأبناء وشفقتهما الدائمة عليهما.

المستحيل على الجبار يسير

لم يكن بخلد أحد أن للصغيرين نصيب مع القدر الذي قدره الله في سابق علمه أن يحجا في نفس العام الذي تسامرا فيه، واستبعدا أن يحجا ولو بعد عشرات السنوات، ولكنها إرادة الله، فيسعى أخيهما الأكبر ويتيسر أمرهما بقدرة الله ويقفا سويا مع تلك الأخت وزوجها على عرفة في ذلك العام.

لو أقسمت عليه لأبر قسمك

فلا تستبعد محالًا، واعلم أن الله على كل شيء قدير.

فالجأ إليه وتضرع بين يديه، وألح في الطلب، ولا تيأس، فما ألهمك الدعاء إلا ليعطيك.

وافعل الطاعات التي تقربك من مولاك، وابتعد عن المعاصي التي تبعدك عنه.

فإن فعلت القربات والطاعات وابتعدت عن

الشهوات والنزوات والبليات، وآثرت مراده على مرادك، وقدمت ما يحبه على ما تحبه، وكنت لله كما يريد كان لك كما تريد، حتى لو أنك أقسمت عليه لأبر قسمك، وأبشر بسعادة الدارين.

۞ يجبرها الجبار في بيته الحرام ۞

تتعلق بأستار الكعبة

في صحن الكعبة تدعو ربها، وتتعلق بأستار الكعبة أن تحج هذا العام، فيجبرها الجبار، ويحقق لها أمنيتها بما لم تكن تتوقعه.

ولم يدر بخلدها بعد تلك الدعوات أن الله استجاب دعواتها، وستقف على عرفة وتبيت بمزدلفة وترمي الجمرات، وتتم بقية المناسك.

۞ اشتياق ۞

أتوقع أنك اشتقت أن تعرف كامل القصة؟

تبدأ قصة هذه المرأة عندما أتت من بلدتها إلى مكة

المكرمة مع زوجها لأداء مناسك العمرة، وبسبب التكلفة الكبيرة لم تستطع أن تأتي للحج، لكنها تتمناه.

۞ إلحاح في الطلب ۞

وفي بلد الله الحرام رفعت يديها إلى من لا يرد سائلًا، ودعته أن يرزقها حج بيته الحرام كما رزقها أداء مناسك العمرة، وتلح في الدعاء، ولم تكن تعلم أن القدر خبأ لها ما تريد، وفي هذا العام الذي دعت فيه ربها.

۞ المفاجأة ۞

وتجلس بجوار امرأة في بيت الله الحرام ويتجاذبان أطراف الحديث، ولم يكن يدور بخلدها أن الله سيحقق حلمها على يد هذه المرأة.

لك أن تتخيل معي تجلس بجوار من لا تعرف ويدور بينهما حديث عفوي، وتخبرها بأمنياتها وما ترجوه في حياتها، وإخبارها ليس لعلمها أنها تستطيع مساعدتها، وإنما هو كلام خرج هكذا بدون ترتيب.

وكانت المفاجأة أن هذه الأخت كانت تعمل مع أصحاب جاه ومال، ووعدتها خيرًا، وتأخذ رقم جوالها في بلدتها، ثم لما رجعت تواصلت معها، وتم استخراج تأشيرة لها ولزوجها.

وكتب الله علي يديها أن تحج هذه المرأة هي وزوجها مرتين لم تتكلف فيهما نفقة الحج، وذلك بعد صداقة وحب في الله جمع بينها وبين تلك الأخت التي التقت بها في الحرم، فحجت في عامها هذا، وفي العام الذي يليه.

فسبحان الجبار الذي يجبر القلوب، ويستجيب الدعوات، ويحقق الأمنيات، من حيث لا تحتسب.

۞ يهيئ الأسباب ۞

من الذي جمعها بهذه الأخت من غير معرفة سابقة ولا موعد سابق؟

من الذي دفعها إلى أن تخبرها بما يدور في رأسها؟

من الذي ألف بين قلبيهما؟

من الذي دفع الأخرى إلى أن تكون سببًا من أسباب تحقيق أمنياتها؟!

تمنت أن تحج مرة، فأكرمها الجبار فحجت عامين متتاليين.

إنها قدرة الله الذي إذا قال للشيء كن فيكون.

۞ وللحاج سعيد قصة ۞

ذكرتني تلك القصص بقصة الحاج سعيد، وكنت قد قرأتها منذ زمن، سأقصها عليك كما ذكرها راويها حيث يذكر تفاصيلها على النحو التالي:

جلس الحاج سعيد في صالة الانتظار بمطار جدة الدولي، بعد أداء مناسك الحج، وبجانبه حاج آخر.

قال الرجل: أنا أعمل مقاولًا، وقد أنعم الله علي بالحج هذا العام للمرة العاشرة.

أومأ سعيد برأسه وقال: حجا مبرورًا، وسعيا مشكورًا، وذنبا مغفورًا.

ابتسم الرجل، وقال: أجمعين.

وأنت هل حججت قبل ذلك؟

أجاب سعيد بعد تردد: والله يا أخي لحجتي هذه قصة طويلة ولا أريد أن أوجع رأسك بها.

ضحك الرجل، وقال: بالله عليك أخبرني، فكما ترى نحن لانفعل شيئًا سوى الانتظار.

ابتسم سعيد وقال: نعم، الانتظار وهو ما تبدأ به قصتي، فقد انتظرت سنين طويلة حتى حججت.

فبعد ثلاثين عامًا من العمل معالج فيزيائي في مستشفى خاص استطعت أن أجمع كلفة الحج.

وفي نفس اليوم الذي ذهبت لأخذ حسابي من المستشفى صادفت إحدى الأمهات التي أعالج ابنها المشلول، وقد كسا وجهها الهم والغم، وقالت لي: أستودعك الله يا أخ سعيد فهذه آخر زيارة لنا لهذه المستشفى.

استغربت كلامها وحسبت أنها غير راضية عن

علاجي لابنها وتفكر في نقله لمكان آخر.

فقالت لي: لا يا أخ سعيد، يشهد الله إنك كنت لابني أحن من الأب وقد ساعده علاجك كثيرًا بعد أن كنا قد فقدنا الأمل به.

ومشت حزينة!!!

استغرب الرجل وقاطع سعيد قائلًا: غريبة، طيب إذا كانت راضية عن أدائك، وابنها يتحسن فلم تركت العلاج؟

أجابه سعيد: هذا ما فكرت به وشغل بالي فذهبت إلى الإدارة وسألت.

فتبين أن والد الصبي فقد وظيفته ولم يعد يتحمل نفقة العلاج.

حزن الرجل وقال: لاحول ولا قوة إلا بالله، مسكينة هذه المرأة.

وكيف تصرفت؟

أجاب سعيد: ذهبت إلى المدير ورجوته أن يستمر

بعلاج الصبي على نفقة المستشفى، ولكنه رفض رفضًا قاطعًا وقال لي: هذه مؤسسة خاصة وليست جمعية خيرية.

خرجت من عند المدير حزينًا مكسور الخاطر على المرأة.

وفجأة وضعت يدي على جيبي الذي فيه نقود الحج فتسمرت في مكاني لحظة ثم رفعت رأسي إلى السماء وخاطبت ربي قائلا: اللهم أنت تعلم بمكنون نفسي وتعلم أنه لا شيء أحب إلى قلبي من حج بيتك، وزيارة مسجد نبيك، وقد سعيت لذلك طوال عمري ولكني آثرت هذه المسكينة وابنها على نفسي فلا تحرمني فضلك.

وذهبت إلى المحاسب ودفعت كل ما معي له، وذلك عن أجرة علاج الصبي لستة أشهر مقدمًا، وتوسلت إليه أن يقول للمرأة: بأن المستشفى لديها ميزانية خاصة للحالات المشابهة.

تأثر الرجل ودمعت عيناه وقال: بارك الله فيك، وفي أمثالك.

ثم قال: إذا كنت قد تبرعت بمالك كله فكيف حججت إذًا؟!

فأجاب: رجعت يومها إلى بيتي حزينًا على ضياع فرصة عمري في الحج، ولكن الفرح ملأ قلبي لأني فرجت كربة المرأة وابنها، فنمت ليلتها ودمعتي على خدي فرأيت في المنام أنني أطوف حول الكعبة، والناس يسلمون علي ويقولون لي: حجًا مبرورًا يا حاج سعيد فقد حججت في السماء قبل أن تحج على الأرض، دعواتك لنا يا حاج سعيد.

فاستيقظت من النوم وأنا أشعر بسعادة غير طبيعية.

فحمدت الله على كل شيء ورضيت بأمره.

وما إن نهضت من النوم حتى رن الهاتف، وإذا بمدير المستشفى الذي قال لي: أنجدني فصاحب المستشفى يريد الذهاب إلى الحج هذا العام وهو لا يذهب دون

معالجه الخاص، لكن زوجة معالجه في أيام حملها الأخيرة ولا يستطيع تركها، فهلا أسديتني خدمة.. ورافقته في حجه.. فسجدت لله شكرًا، وكما ترى.

فقد رزقني الله حج بيته دون أن أدفع شيئًا، والحمد لله وفوق ذلك فقد أصر الرجل على إعطائي مكافأة مجزية لرضاه عن خدمتي له.

وحكيت له عن قصة المرأة المسكينة فأمر بأن يعالج ابنها في المستشفى على نفقته الخاصة.

وأن يكون في المستشفى صندوق خاص لعلاج الفقراء.

وفوق ذلك فقد عين زوجها بوظيفة في إحدى شركاته.

ورجع إلي مالي الذي دفعته.

أرأيت فضلا أعظم من فضل ربي؟!

نهض الرجل وقبل سعيد على جبينه قائلًا: والله لم أشعر في حياتي بالخجل مثلما أشعر الآن فقد كنت أحج

المرة تلو الأخرى وأحسب نفسي قد أنجزت شيئًا عظيمًا، وأن مكانتي عند الله ترتفع بعد كل حجة ولكني أدركت الآن أن حجك بألف حجة من أمثالي؛ فقد ذهبت أنا إلى بيت الله، أما أنت فقد دعاك الله إلى بيته، ومضى وهو يردد تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

أم فيصل ما قصتها؟

هذا شاب أفريقي، نشأ في بيت أهله أهل صلاح وطاعة.

أرسله أهله في طلب العلم خارج دولته، فجد واجتهد في طلبه.

كان من أحرص الطلاب على تحصيل العلم، استنفذ كل طاقته في تعلم العلم، ففي الصباح في حِلق العلم، ووقت العصر تجده في المكتبة يبحث ويراجع ويذاكر ما تعلمه من مشايخه، وبعد المغرب والعشاء تجده في حِلق العلماء في المساجد، متنقلًا بين شيخ وآخر.

فضل ما أعظمه؟!

يعلم هذا الشاب فضل طلب العلم ومنزلة أهله عند الله، فدفعه ذلك إلى أن يغتنم جُل وقته في تحصيله.

فطريق العلم طريق الجنة، ففي الحديث: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»(١)، ومن أخذ العلم أخذ بحظ وافر، فالعلماء ورثة الأنبياء، فعن قيس بن كثير قال: قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَهُوَ بِدِمَشْقَ، فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ، أَيْ أَخِي؟ قَالَ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أَمَا قَدِمْتَ لِتِجَارَةٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: أَمَا قَدِمْتَ لِحَاجَةٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: مَا قَدِمْتَ

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٦٩٩).

إِلَّا فِي طَلَبِ هَذَا الْحَدِيثِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(١).

وخير الناس منزلة عند الله من تعلم العلم وعلمه، فقال ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ العِلم وَعَلَّمَهُ**»(٢).

---

(١) أخرجه: أحمد رقم (٢١٧١٥)، وأبو داود رقم (١٨٢٩).

(٢) أخرجه: البخاري رقم (٥٠٢٧).

ॐ وصية محب ॐ

فيا طالب العلم إنها منزلة عظيمة فلا تتوانى في طلبها، ومزاحمة أهلها.

وإياك أن تنشغل عن العلم بزخارف الدنيا وملذاتها وشهواتها.

واعلم أنه لا يُنال المطلوب إلا ببذل المجهود، ومن طلب العلا سهر الليالي، ومن جدَّ وجد، ومن زرع حصد.

ومن لم يزرع وقت الزرع لن يحصد وقت الحصاد.

ومن ترك رفاقه في السفر فنام أول الليل وهم واصلوا وجدوا في السير وقطعوا الطريق، فلن يصل مع الركب ممن تابع السير..

والكسل واللعب وتضييع الوقت والركون إلى الدعة والراحة يتنافى مع الوصول للهدف المنشود.

والموفق من وفِقَ لتعلم العلم وتعليمه والاستفادة

من عُمره.

واعلم أنه ما وصل أصحاب الأهداف العالية والغايات الشريفة إلا بسهر الليالي واغتنام الأوقات، وملازمة العلماء، والجلوس في البيوت لمذاكرة الدروس، ومطالعة العلوم ومدارستها ومراجعتها، وترك مخالطة أصحاب الضياع ممن لا هدف ولا غاية لهم إلا اللعب واللهو.

ومن جد واجتهد وتعب في مقتبل عمره حصلَّ الخير الوفير بقية حياته، وعلا وارتفع شأنه..

نسأل الله لنا ولذرياتنا من واسع فضله.

وصَيفُه يقضيه

وكان هذا الشاب إذا رجع إلى بلدته في الصيف يقوم بتعليم ما تعلمه لمن حوله من طلاب العلم، وكان شُعلة نشاط في تعليم العلم والدعوة إلى الله، ما شاء الله تبارك الله، اللهم زده.

وهو يعلم أنه يجب عليه أن يُعلِم ما تعلمه، فقد أخذ

الله الميثاق على أهل العلم أن يعلموا أقوامهم إذا رجعوا إليهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

ويعلم أن للعلم زكاة وزكاته هو تعليمه.

ويعلم أن من دل الناس على الخير كان له مثل أجر من اهتدى منهم وعمل بالخير الذي دلهم عليه، ففي الحديث: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ...**»(١)، قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فكما أن على العبد أن يقومَ بتوحيد الله فعليه أن يدعوَ العباد إلى الله بالتي هي أحسن، وكل من اهتدى على يديه فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم**

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٦٧٤).

شيء».

وللإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام نفيس في معرض حديثه عن فضل العلم يجدر ذكره هنا لشحذ الهمم، وهو يدفع كل عاقل إلا السعي ليكون من هذا الصنف، حيث قال: «وقد ذكرنا مائتي دليل على فضل العلم وأهله في كتاب مفرد.

فيا لها من مرتبة ما أعلاها، ومنقبة ما أجلها وأسناها، أن يكون المرء في حياته مشغولًا ببعض أشغاله، أو في قبره وقد صار أشلاء متمزقة وأوصالًا متفرقة وصحف حسناته متزايدة، تملى فيها الحسنات كل وقت، وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب.

تلك والله المكارم والغنائم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وعليه يغبط الغابطون.

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وحقيق بمرتبة هذا شأنها أن تنفق نفائس الأنفاس

عليها، ويتسابق السابقون إليها، وتوفر إليها الأوقات، وتتوجه نحوها الهمم.

فنسأل الله الذي بيده مفاتيح كل خير أن يفتح علينا خزائن رحمته، ويجعلنا من أهل هذه الصفة بمنِّه وكرمه.

وأصحاب هذه المرتبة يدعون عظماء في ملكوت السماء كما قال بعض السلف من عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ فذلك يدعى عظيمًا في ملكوت السماء».

فأي فضل أعظم من هذا الفضل؟! وأي منزلة أعلى من تلك المنزلة؟! وأي شرف أعلى من ذلك الشرف؟!

فعلام التقاعس يا محب في نيل هذه المرتبة التي لا يصل إليها إلا المصطفون الأخيار.

إخبار وإجابة

وفي يوم من الأيام التقى بأحد مشايخه وكان يدرسه فنًا من فنون العلوم الشرعية، وقد لفت انتباه المعلم حذاقة هذا الطالب وحسن خلقه، وجده واجتهاده، فأولاه جانبًا من الاهتمام والرعاية.

وأراد هذا المعلم أن يساعده في بعض شؤون حياته، وعلم أن في تعليم هذا الطالب صدقة جارية فربما يكون له شأن في الأمة.

وصارت علاقة بين المعلم والطالب، وفي إحدى الأيام وبدون مقدمات يتحاوران في موضوع معين وإذا بالطالب يخبر معلمه بأن والده من أهل العلم والفتيا، وأن له والدة تشتاق إلى حج بيت الله تعالى، وقد جلست العائلة أعوامًا عديدة وأزمنة مديدة يدخرون لها تكاليف الحج التي تعادل أربعة آلاف دولار، وقد قاربوا على جمعها، إلا إنه بقي لهم ربع المبلغ، وهو ما يعادل ألف دولار، وهو يحاول أن يعمل ليجمع هذا المبلغ ليحقق أمنية والدته.

وسبحان الله يرق المعلم لحالهم، ويخبر ولدها بأنه سيتكلف ببقية المبلغ، وبالفعل يعطيه المبلغ المتبقي لتكاليف حجها.

ويخبر الولد البار والدته، فتكبر وتحمد ربها وتذرف

دموع عينها فرحًا، وتسجد شكرًا لخالقها، وتلهج بالدعاء لمعلمه الذي ساعدها في تحقيق أمنيتها.

فجزى الله المعلم خير الجزاء، وأكثر من أمثاله، وتقبل من الجميع صالح العمل.

وتحج تلك الوالدة بعد عدة شهور برفقة ولدها، وقد ظلت ولسنوات عديدة تشتاق لهذا المكان، ويلهج لسانها بالدعاء للوصول لهذا المكان المبارك، وتدخر المال لتحقيق هذا الهدف، وعندها حسن ظن بربها أنه لن يخيب رجاءها ويرد دعاءها ويسهل أمرها.

۞ ألا تتعجب معي!! ۞

من الذي قيض هذا الأستاذ الذي لا يعرفه الطالب إلا قبل شهر لمساعدتهم في تحقيق أمنية تمنتها هذه الأم الغالية؟! على غير موعد، وبدون ترتيب.

كيف جمعت الأقدار بينهما؟!

من الذي رقق قلبه ليقوم بهذا العمل الجليل لامرأة

لا يعرفها؟!

ﮋ لا تيأس ﮊ

فلا تقل مستحيل واعلم أن الله على كل شيء قدير.

مهما كانت طموحاتك وأحلامك، مهما كانت رغباتك وأهدافك..

فلا تيأس من أمر محال تحقيقه في الواقع.

وعلق قلبك بربك الذي بيده ملكوت كل شيء.

والهج بالدعاء له، ولا تستعجل.. ولا تقول دعوت فلم يستجب لي.

فما تدري لعل في تأخير إجابة دعوتك خير لك؛ لتصل إلى ما هو أعظم منها.

لعلك تصل إلى معرفة الله ومحبته والتنعم بذكره ودعائه، فيسوقك بالحاجات الدنيوية إلى المقاصد العلية الدينية.

وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الدعاء بمعنى العبادة، أو الدعاء بمعنى المسألة، وإن كان كل منهما يستلزم الآخر، لكن العبد قد تنزل به النازلة فيكون مقصوده طلب حاجته، وتفريج كرباته، فيسعى في ذلك بالسؤال والتضرع، وإن كان ذلك من العبادة والطاعة، ثم يكون في أول الأمر قصده حصول ذلك المطلوب: من الرزق والنصر والعافية مطلقًا، ثم الدعاء والتضرع، يفتح له من أبواب الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ ومعرفته ومحبته، والتنعم بذكره ودعائه، ما يكون هو أحب إليه وأعظم قدرًا عنده من تلك الحاجة التي همته. وهذا من رحمة الله بعباده، يسوقهم بالحاجات الدنيوية إلى المقاصد العلية الدينية».

واعلم أن من ألهمك الدعاء قادر على أن يحقق لك ما تتمناه إن كان فيه الخير لك.

فاصبر واستمر وإن تأخرت الإجابة، فكله خير لك.

فاللهم اجبرنا وارزقنا واهدنا وأصلحنا ووفقنا وذرياتنا والمسلمين لكل خير.

إنه اللّه جل جلاله

الكريم

كثير الخير عظيم المن والعطاء، يعطي ما يشاء
لمن يشاء وكيفما يشاء بسؤال وغير سؤال.

الأكرم

البالغ في الكرم غايته، فلا مثيل له في ذلك
أبدًا
فالخير كله منه، يجازي المؤمنين بفضله.

المعطي

يعطي من شاء من خلقه ما شاء من خزائنه
ولأوليائه النصيب الأوفر من عطائه
وهو الذي أعطى كل شيء خلقه وصورته.

المحسن

الذي له كمال الحسن في ذاته وفي أسمائه وصفاته
وأفعاله
وأحسن كل شيء خلقه
وأحسن إلى خلقه.

المنان

كثير العطاء، عظيم الإنعام، وافر الإحسان على
خلقه

إنه اللّه جل جلاله

الجواد

كثير العطايا والتفضل على خلقه
وللمؤمنين به من جوده وفضله النصيب الأكبر

البر

الواسع في إحسانه لخلقه
يعطي فلا يستطيع أحد عد نعمته أو إحصاءها
الصادق في وعده
الذي يتجاوز عن عبده وينصره ويحميه
ويقبل القليل منه وينميه.

القادر القدير

الذي لا يعجزه فعل شيء في الأرض ولا في السماء
المقدر لكل شيء.

القوي

الذي له القدرة المطلقة مع كمال المشيئة.

ما ذكرته غيض من فيض عن بعض معاني هذه الأسماء.

هل عرفت معاني هذا الأسماء والتي هي من أسماء الله الحسنى؟

هل استحضرها قلبك؟

هل شاهدت آثارها؟

إنها أسماء من أسماء الله سبحانه وتعالى.

حرك شفتيك بها، رددها بلسانك، استحضرها بقلبك، تذكر شواهدها في حياتك.

كم مرة حدثت في حياتك وقائع كنت تستبعد وقوعها، بل تعدها من المستحيلات ووقعت؟

أتذكرت يومها قدرة الله وقوته، وبره بك، وإحسانه إليك؟

كم مرة أخبروك بأن هذا من المستحيل حدوثه ويحدث؟

اعتقد أنه مر بك ومر بي مثل هذا، وسأقص عليك

شيئًا مما مر علي في حياتي في الصفحات التالية.

فاستحضر قلبك وأعرني سمعك قبل أن أقص عليك ما في جعبتي من قصص تُظهر لك بعض آثار أسماء الله الحسنى.

وتبدأ الحكاية

شابة نشأت في طاعة الله

إذا نظرت إليها وجدت نورًا يشع من وجهها.. إنه نور الطاعة.

تشعر بارتياح عند الحديث معها.

حالها مع ربها

تعودت على المحافظة على صلواتها الفرض والنفل.

اشتهر عنها أنها لا تقع في عرض أحد من الناس.

ولا تسمح لنفسها أن يذكر أحد أمامها بسوء، فهي إما أن تقول خيرًا أو أن تسمع خيرًا أو أن تصمت.

تحاول الإصلاح بين أهل بيتها وتحمل الكلام على محامله الحسنة.

حفظت القرآن في صغرها، وهي تراجعه باستمرار، وتعلمه للصغار والنساء.

ॐ وهنا البداية ॐ

يتهافت الشباب على الزواج منها، ويكثر خُطابها.

وبالفعل تتزوج هذه البنية التي حملت كتاب الله في قلبها من شاب خلوق.

وفي أول عام من زواجها تحمل بذكر، وتبتهج ويبتهج زوجها وأهلها.

ॐ مرحلة الابتلاء ॐ

وفي الشهر السادس ينزل الجنين ميتًا بعد أن تَخَلَّق وقد قارب دخول الشهر السابع.

وترضى لقضاء ربها، وتحمده، مع ألم قد صاحبها، لكن لا تقول إلا ما يرضى ربها.

فالقلب من طبيعته يحزن لفراق المحبوب، والعين تدمع، لكن لسان المؤمن لا يقول إلا ما يرضى ربه.

وتمر الأيام والشهور وتحمل حملًا آخر وتُسَرّ به ويُسرّ زوجها وأهلها، معتقدين عوض الله للصابرين، وتذهب لتتابع حملها مع طبيبة متخصصة، خشية أن يصيب هذا الجنين ما أصاب الجنين السابق، وتطمئنها الطبيبة.

وفي نفس الوقت من العام سالف الذكر، إذا بالجنين ينزل من بطن أمه في شهره السابع، بعد عملية قيصرية للأم لإنقاذ حياة الطفلة، وتخرج الطفلة على قيد الحياة، وتوضع في الحضانة.

وبعد عدة أيام تموت الطفلة، ويصل الخبر للأم كالصاعقة التي نزلت عليها.

ॐ الإيمان يظهر وقت الشدائد فيكون الرضى ॐ

لكنه الإيمان الذي رسخ في قلبها.

ولطف الله الذي رافقها وصاحبها في شدائدها.

قلبها كاد ينقلع من شدة الحزن خاصة بعد أن عيرتها بعض النسوة بأنه لن يعيش لها طفل، سمعتها من بعيد وهي تقول: يا رب.. يا رب... يا رب.

وكأنها تقول يا رب:

اجبرني في مصابي

عوضني خيرًا مما أُخذ مني

أتتركني في شدتي إلى نفسي الأمارة بالسوء

الطف بحالي

كن معي في شدتي

هون على كربتي

آمني في وحدتي

لم أكن يومًا بدعائك ربي شقية

وإذا بلطف الله يغمرها، وتخرج من مصيبتها أقوى، وتزداد قربًا من ربها، ولم تيأس من كرمه وجوده وفضله، الذي إذا أعطى غمر، وإذا جبر أذهل في عطاياه.

ﷺ كرم الكريم الأكرم ﷺ

ولا تكاد تمر عدة شهور إلا وقد أكرمها الكريم بجنين آخر، فتسعد ويتعلق قلبها أكثر بربها وتخاف أن تصاب بما أصيبت به في السابق، فيلهج لسانها بدعاء ربها، وتزداد تعلقًا بكرمه وجوده، وتأخذ بالأسباب البشرية.

وتتوصل الطبيبة إلى سبب سقوط الجنينين السابقين، فتقرر إجراء عملية ربط للرحم، الذي من طبيعة خلقته في تلك المرأة ضعيف، فلا يكاد يتحمل الجنين في شهوره المتقدمة، فينزل في الشهر السادس والسابع.

وتنجح العملية بعد فضل الله، وتتم شهور مولودها الأول على خير وتلده في شهره التاسع، وتسميه محمدًا، تيمنًا باسم سيدنا ونبينا ورسولنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

﷽ إذا أعطى أدهش ﷽

إنه عطاء المعطي المنان وعِوضه.

فيشب الولد كأفضل ما يشب الصبيان في كنف أسرة محافظة متدينة.

فما تشاهده إلا تذكر ربك، وتلحقه بالكُتاب الذي كان منتشرًا في هذه الفترة في القرى، ويَفُوق أقرانه، ويحفظ كتاب الله قبل أن يتجاوز العاشرة من عمره.

ولم يقف فضل الكريم عند هذا بل غمرها بثلاثة من الأطفال غيره، اثنان منهم قد حفظا كتاب الله قبل العاشرة من عمرهما، والصغيرة الآن لم تتجاوز الثالثة من عمرها، حفظهم الله لها، وأقر عينها بصلاحهم، وبارك فيهم، ونفع بهم الإسلام والمسلمين.

﷽ تفضل المحسن ﷽

وكانت من المنح بعد المحن أن يسر لها تعليم أبناء قريتها كتاب الله، ففاقت أقرانها، وأصبحت من أميز

وأفضل المحفظات لا أقول في قريتها بل في منطقتها، ولا أكون مبالغًا إن قلت في بلدها الذي يسكنه الملايين من البشر هذا فيما أعلم، والعلم عند ربي.

وتخرج على يدي هذه الأم الصبورة عشرات الطالبات والصغار من حفظة كتاب الله تعالى، فقد عاشت للقرآن وتفرغت له، فهي تقضي معه جُل وقتها، من صلاة الظهر إلى بعد صلاة العشاء بأكثر من ساعة.

فيا له من فضل وأي فضل أن يكون المرء من خير الناس، ممن تعلم القرآن وعلمه؟!

أن يكون من أهل الله وخاصته، الذين هم أهل القرآن.

إنه كرم أكرم الأكرمين.

إنه إحسان الرب الكريم.

إنها عطايا الرب الرحيم.

فكن لله كما يريد يكن لك كما تريد.

كن له كما يريد تحيطك الرحمات والبركات

والخيرات من رب كريم واسع الأُعطيات.

ﮗ إلى كل مكلومة ﮗ

فإلى كل من فقدت صغيرها فلذة كبدها نور عينيها.

فتألم قلبها.. وذرفت عينها.. وضاقت نفسها... لكنها راضية بقضاء الله وقدره.

لا تحزني وتذكري دائمًا قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا﴾ [الشرح: ٥ – ٦].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

وقوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥

- ١٥٧].

تحقق المستحيل

هل بلغ اليأس منك مبلغه؟

هل عجز الأطباء عن تقديم دواء يكون سببًا في علاج عقم لك أو لزوجتك؟

وهن عظمك؟

اشتعل رأس شعرك شيبًا؟

عقيم زوجتك لا تلد؟

هل اشتقت للذرية؟

لا تحزن، وضع هذه الآية نصب عينيك ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]

وتذكر قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]

البداية

شاب كبقية الشباب ينشأ ويترعرع ويفكر في الزواج.

ويبحث عن الزوجة المناسبة، ويقع الاختيار على زوجة اتصفت بالجمال.

ويطير فرحًا بقبول تلك الفتاة الزواج منه، وتتم الخطبة والزواج.

سعد بها وسعدت به

وبعد فترة ليست بالطويلة تبدأ رحلة التدين للزوجة والزوج ويسعد بها وتسعد به.

فالالتزام بتعاليم الإسلام يغمر القلب بسعادة لا يعلمها إلا من جربها.

ويضفى على البيوت الراحة والسكينة والأمن والأمان.

ويلازم أهله التوفيق والسداد، وتتيسر أمورهم، وتقضى حاجاتهم.

فهم أولياء الله، وهنيئًا لمن كان وليه ربه، فيكون معه الناصر الذي لا يُهزم، والقوي الذي لا يُغلب، والغني الذي يُعطي.

من كان الله معه كان له ناصرًا ومعينًا ومسددًا وموفقًا، سبحانه من كريم جواد.

۞ السعي للدنيا وللدين ۞

ويبدأ الزوج والزوجة رحلة البحث عن سبل تحسين دخلهما والبحث عن الذرية، وييسر الله لهما الأول، فيوسع عليهما، ويغدق عليهما من واسع فضله، ويستخدما جزءًا من مالهما في بناء مسجدين، مسجد للزوجة ومسجد للزوج، ويقومان على شؤونهما، وينفقان في أبواب الخير الكثيرة:

كفالة أيتام.

ومساعدة محتاجين..

وإطعام فقراء.

وإغاثة ملهوفين.

أداء مناسك الحج والعمرة باستمرار.

إلى غير ذلك من أعمال الخير الكثيرة المتنوعة والمتعددة.

المفاجأة

ولم يكن يخلد في ذهنهما أنهما سيجلسان أكثر من نصف قرن بدون ذرية، وتبدأ رحلة البحث عن الذرية إلا أن الله لم يقدر لهما ذلك.

أما الزوجة فقد تمسكت بزوجها لحسن خلقه ورقة طبعه، ولطف معاملته.

فقررت أن تكمل مسيرتها معه وإن ظلت بدون أطفال طيلة حياتها..

الرضى طريق السعادة

ورضيت بما قدره الله لها وقررت بعد توفيق الله لها أن تعيش حياتها منشغلة بطاعة الله.

فكانت عابدة لربها، جُل وقتها تقضيه في الطاعة والعبادة.

ساعات الليل الطويلة تقضيها في قيام الليل ومراجعة كتاب الله والاستغفار والدعاء.

وساعات النهار بين صلاة وصيام وقراءة القرآن الكريم وذكر لله تعالى.

وظلت على ذلك طيلة حياتها إلى أن وافتها المنية بعد أن ابتليت بعدة أمراض ألزمتها الفراش، ومع ذلك لم تنقطع عن مداومتها على وردها الذي التزمت به في حياتها سواء في ليلها أو نهارها إلى أن لقيت ربها ـ رحمها الله وأسكنها الفردوس الأعلى من الجنة وأهلينا ومن نحب ـ بعد حياة مليئة بالطاعة.

وظل زوجها واقفًا بجوارها إلى أن وافتها المنية، وكان لها في مرضها نعم الزوج المحب الْمُشفِق عليها.

تعلق القلب

أما الزوج وإن كان قد رضي بما قدره الله له،

وانشغل بالسعي على طلب الرزق إلا أن قلبه كان متعلقًا بالذرية الصالحة، لكن بالتفكير المنطقي أنَّى له ذلك وقد أخبره الأطباء أن حالته ميؤوس منها، وأنه لن ينجب طيلة حياته فلا يتعب نفسه بالبحث عن الإنجاب.

ويتعلق قلبه بربه، ويتضرع له، ويلح عليه في الدعاء خاصة أوقات تحري الإجابة، في السجود، وفي الثلث الأخير من الليل، وعند فطره في الصيام، وفي السفر.

وهو يعلم أن قرار الإنجاب ليس بيد الأطباء إنما بيد الوهاب، الذي يهب لمن يشاء وقت ما يشاء إذا شاء سبحانه وتعالى.

الأخوة الحقيقية

شخصيته محبوبة للجميع، دفعت المقربين منه للدعاء له، يقول أحد أصدقائه: «وأنا أطوف بالكعبة أتذكر هذا الشخص فيلهج لساني له بالدعاء متذللًا لمولاي».

وتعرفون أن من الدعوات المستجابة دعوة الأخ

لأخيه بظهر الغيب.

ثم يقول: وهل من الممكن أن ينجب بعد طول الانتظار لسنوات طويلة، كبر سنه، تقدم عمره، انتهت فترة شبابه.

۞ تذكر السابقين ۞

يقول: ثم يكاد اليأس يدخل قلبي، ثم أتذكر نبي الله إبراهيم ودعاءه ربه ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٠ – ١٠١] فقد استجاب الله ورزقه الذرية الصالحة، بعد أن تقدم عمره..

بل إنه رزقه الإنجاب من عجوز عقيم، ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا .....﴾ [هود: ٧٢].

كان بعد المحنة المنحة.

بعد العسر اليسر.

بعد الشدة الفرج.

بعد الضيق السعة.

رزق بذرية صالحة من الأنبياء، فرزق من الأبناء نبي الله إسماعيل وإسحاق، ومن إسحاق رزق نبي الله يعقوب، ومن يعقوب رزق نبي الله يوسف، عليهم أفضل الصلاة والسلام.

يقول: ثم يعاود اليأس نفسي ويستحوذ علي فأجدد الدعاء بعد أن تعاودني قصة نبي الله زكريا، وقد وهن عظمه واشتعل رأسه شيبًا، لكن حسن الظن بربه حاضر في قلبه.

فقد لجأ إلى خالقه الرزاق الوهاب المعطي، الذي لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾ [الشورى: ٤٩ – ٥٠].

فدعا ربه الوهاب بعد أن ذكر له حاله، وهو سبحانه أعلم به، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ

شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٤ – ٦].

وكانت المعجزة أن يرزق بالولد الصالح والنبي المرسل، وممن؟ من هذا الشيخ الكبير والعجوز العقيم ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ ﴿٣﴾...﴾ [مريم: ٧].

ॐ اليقين والتعلق ॐ

يقول صاحبنا: ثم يتعلق قلبي بربي فأدعوه، وأدعوه وألح عليه في الدعاء.

كم من مرة قد دعوت، كم من مرة قد تذللت لربي.

وأصبح عندي اليقين أن الله سيرزقني بالذرية ولو بعد حين، لكن له في تأخيرها حكمة يعلمها سبحانه وربما تكون قد خفيت علينا.

۞ العودة والاستقرار ۞

وبعد طول غربة قضاها في العمل خارج وطنه، وبسبب مرض زوجته قرر الاستقرار في بلده، وبدأت رحلة العلاج لزوجته، وقام على خدمتها، يقوم على شؤونها، يلازمها ليلًا ونهارًا، لا يفارقها إلا لقضاء ضرورات الحياة، وظل الأمر على ذلك إلى أن قضت نحبها رحمها الله ورحم جميع المسلمين، وصعدت روحها لخالقها.

۞ الفراق والحزن ۞

ويحزن على فراقها، ويشتد حزنه عليها، فقد عاشت معه قرابة النصف قرن، وقد تعلق قلبه بها، لكنها إرادة الله.

القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وهذه هي حقيقة الدنيا، «**عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ،**

وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مَفَارِقُهُ»(١).

ولن يأخذ إنسان من الدنيا إلا ما قدمه من الأعمال الصالحة التي تنفعه عند ربه في ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٨ – ٨٩].

اليوم الموعود

وتمر الأيام عليه بطيئة فقد أصبح وحيدًا، وقته يقضيه في بيته وفي مسجده الذي بناه تحت منزله، وبين أقاربه يصلهم، إلى أن جاء اليوم الموعود، وعرض عليه بعض الأقارب أن يتزوج من امرأة جارة لهم، يعرفون خلقها، وطيبتها، وأنها ستعوضه هذا الفقد وتلك الوحشة والوحدة التي يعيشها..

يتأمل هذا العرض، ويمر بمخيلته شريط حياته، ونهاية عمره، كيف يتزوج وعمره في أواخر السبعين، كيف يتزوج بتلك المرأة الصغيرة التي قد طُلقت ومعها

(١) أخرجه: الحاكم رقم (٧٩٢١).

طفلة صغيرة؟!

فرغبوه بها، وقالوا كم تمنيت أن يكون لك ذرية؟ تزوج هذه المرأة واتخذ ابنتها طفلة لك، تؤجر على تربيتها، وظلوا به إلى أن أقنعوه، وتزوجها.

وحدث ما لم يكن متوقعًا

وكانت المفاجأة التي لم يتخيلها أحد، بعد أن سعد بهذه الزوجة وعاش معها كأفضل ما يعيش زوج مع زوجة، على الرغم من تباعد العمر بينهما، إلا أنها أحبته لطيبته وكرمه وحسن معاملته، بعد أن قارنت بين سوء خلق الزوج الأول وكثرة المشاكل التي ما كانت تنتهي، وكيف انتهى بها المقام إلى تشويه صورتها وأذيتها جسديًا ونفسيًا، فكان الانفصال هو الحل الوحيد.

المقارنة والقرار

قارنت بين رجل صالح يخاف الله ويراقبه، محافظ على الصلوات في جماعة خاصة صلاة الفجر والعشاء

التي هي أثقل صلاة على المنافقين.

محافظ على السنن الرواتب للصلوات المكتوبة، اثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة، والتي من حافظ عليها يبني الله له بيتا في الجنة كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ، أربع قبل الظهر، واثنين بعدها، وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر.

لا تفوته أذكار الصباح والمساء، وقيام الليل إحدى عشرة ركعة، كما كان حال النبي ﷺ في قيام الليل.

ولا تفوته صلة الرحم والإحسان إلى الجيران، وزيارة الأصدقاء، والسعي في قضاء حوائج الناس..

لا يفارقه المصحف في أوقات فراغه.

زيادة على ذلك حسن خُلقه مع زوجته، متأسيًا بالنبي في حسن معاملة أهله، متمسكا بوصية النبي بالاستيصاء بالنساء خيرًا، «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا**

خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[(١)].

هذا الزوج كيف لا يُحب وهذا حاله؟!

العِوض وتحقيق الحُلم

وعاش مع هذه الزوجة في سعادة وهناء، ورأى منها خيرًا، وعلم أنه الله عوضه خيرًا، وأكرمه بها، ولم يتمنَ من الدنيا بعد ذلك شيئًا.

وظل معها إلى أن جاء اليوم الموعود، وشاء الله أن يحقق حلم حياته الذي لم يعد يشغله، أو قد نسيه، فقد دخل في الثمانين من عمره، وتحمل زوجته وتلد له ثلاثة من الأبناء، ولدان وبنت، وتغمر الفرحة قلبه، ويحقق الله ما تمناه.

ويقضي ما تبقى له من عُمر في سعادة وهناء إلى أن أتته المنية، ولقي ربه رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة.

سبحان الوهاب المعطي، إن هذا لشيء عجاب.

---

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (١٩٧٧).

ﮁ رسالة إلى كل عقيم ﮁ

أبعد ما قصصته عليك من قصة هذا الشيخ العجوز العقيم ما زلت يائسًا من الإنجاب؟!

لا تيأس وإن أخبرك الأطباء بأن حالتك ميؤوس منها.

علق قلبك بالوهاب، وتضرع إليه في السراء والضراء، وأحسن الظن به، فهو عند حسن ظن عبده به.

وخذ بالأسباب واترك نتائجها على مسببها، وارضَّ عن ربك فيما قضاه وقدره، فالخيرة فيما اختاره الله لك، وضع نصب عينيك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].



إنه اللّه جل جلاله

الشافي

يشفي القلوب والأبدان من أمراضها

وليس في يد العباد إلا ما يسره لهم الشافي من الدواء

الشفاء انفرد به وحده.



﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾

هل آلمك المرض؟

هل أخذت الدواء الذي كتبه لك الأطباء ولم يؤت تأثيره؟

هل أجهدك التعب من آلام لم تتوقف إلا بمسكنات؟

هل قرر الأطباء إجراء عميلة جراحية وأنت لا ترغب في إجرائها لخوفك من عواقبها؟

هل قرر كل من عرضت عليه من الأطباء ضرورة إجراء عملية جراحية ولم يشذ منهم أحد فلجأت إلى الله فشفاك بدون إجراء عملية، ووقف الجميع مندهشًا؟

لا عجب من ذلك إنه الله الشافي، إنها قدرة الله.

وصدق نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين قال: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠].

إنه الدعاء والتذلل والتضرع بين يدي الله.

الثقة، وحسن الظن به.

التفاؤل بكرمه وجوده وفضله.

انكسار القلب له.

كل هذا من أسباب رفع ما أصابك من ابتلاء..

كنت أحد شهودها

في يوم من الأيام يخرج الأب مع ابنه الذي لم يتجاوز الرابعة عشر من عمره بسيارته ويتجاذب أطراف الحديث، فيخبر الابن أباه بأنه يشعر بعدم راحة بسبب شعوره بألم في بطنه لكنه غير شديد، فيقول له الأب إذًا أذهب بك إلى المركز الطبي إن كنت محتاجًا لذلك، قال الابن: لا أرى أن الأمر يستدعي ذلك.

شفقة الآباء

لكن الوالد بشفقة الآباء رأى أن يذهب للاطمئنان على ولده.

ويذهب إلى الطبيب فيكشف الطبيب على الابن،

وكانت المفاجأة الغير متوقعة بإخبار الطبيب أن هذه أعراض الزائدة الدودية، وعليه لابد من تحويلكم إلى مستشفى لإجراء عملية جراحية حالًا.

ॐ ذهول الأب ॐ

ويقف الأب مذهولًا من قول الطبيب، كيف ذلك؟!

والذي يظهر أن هذه ليست أعراض الزائدة، المعروف عنها أنها تأتي بألم شديد تجعل المريض يتألم بشدة.

وينظر الأب إلى الطبيب ولم يرتح إلى كلامه، بسبب عدم وجود آلام شديدة للابن، مع صغر سن الطبيب الذي دفع الوالد إلى مزيد من الريبة تجاه ما أخبر به.

ويخرج الأب من عند الطبيب، وهو في حيرة من أمره، هل يذهب إلى المستشفى التي حوله الطبيب إليها أم لا يلقي إلى كلامه بالًا فالأعراض ليست أعراض الزائدة؟!

لكنه يقرر أن يذهب إلى المستشفى فلن يخسر شيئًا وليطمئن على ولده.

ويذهب الأب للمستشفى ويقوم الأطباء بفحوصات أولية ويخبروا الأب بوجود اشتباه في الزائدة، ولابد من حجزه بالمشفى وعليه سيقومون بعمل أشعة فوق الصوتية للتأكد.

وبالفعل تخرج الأشعة بوجود نفس ما قرره الأطباء في الفحوصات الأولية.

وهنا تقوم المستشفى بتحويله إلى مستشفى آخر، ويذهب الأب وابنه للمستشفى ويقوم الأطباء بإجراء فحوصات أولية ويقرون بوجود اشتباه في الزائدة، ويقومون بعمل أشعة مغناطيسية فيقررون إجراء عملية جراحية في الحال.

حزن وبكاء

ويحجز الابن في المستشفى ويرافقه والده، ويبكي الابن بكاء مريرًا، ويصيح ويقول: لا أريد إجراء تلك

العملية، أنا خائف.

ويشفق الأب لحال ولده، ويقوم بتهدئته، ويقول له عليك بالدعاء واللجوء إلى ربك، إن شاء الله لن تجري أي عملية، وسيشفيك الله، فقط عليك بالإكثار من الدعاء واللجوء إلى ربك.

التداوي بالصدقة

ويرجع الوالد إلى بيته ليتزود ببعض الأغراض الضرورية التي يحتاجها في المستشفى.

ويبحث عن مكروب ومهموم ليتصدق عليه.

وفي اعتقاده أن من فرج هم مهموم ومكروب يفرج الله عنه كربه وما أهمه، وأن من خفف آلام مجروح عامله الله بأفضل مما قدم، فالجزاء من جنس العمل، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي**

عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ »[١].

يفعل ذلك وهو موقن يقينًا جازمًا بأن ولده لن يحتاج إلى عملية، محسنًا ظنه بربه، «**والله عند حسن ظن عبده به**».

فأحسن الظن دومًا بربك، وتفاءل بالخير تعطه.

إنها الشفقة

ويعود الأب إلى ابنه فيجد صوت جلبة، فيدخل الغرفة التي حجز فيها الابن.

فيجد الممرضة والولد يرفع صوته ويصيح، فسألهما ما الأمر؟ فقالت: إنه لا يتعاون معي ويرفض رفضًا تامًا أن أقوم بسحب عينة الدم منه، وهذا من الضرورات التي لابد منها قبل دخول غرفة العمليات لإجراء العملية.

فاعتذر الأب للممرضة عما بدر من الابن، وطيب

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٦٩٩).

خاطرها، وقال لها: لو تكرمتي اتركينا قليلًا وأنا سأناديك بعد قليل لتسحبي منه عينة الدم.

ويُهَدِّئ الأب من روع ولده ويطمئنه بأن الله سيشفيه بدون إجراء عملية، ويطلب منه الدعاء والتضرع لله.

وأخذ يرقيه بالفاتحة والمعوذتين، ويقرأ آية الكرسي، وينفث على ولده ويعوذه.

وقد أخذ أثر أحد الجيران ممن كان يتكلم على ولده كثيرًا، وقد ظن الرجل أن ما أصاب الولد عين، قد حُسِدَ من أحد الجيران، فأخذ أثره بأن مسح باب الشقة التي يقطنها بماء وأحضر هذا الماء ومسح به وجهه ورأسه، وقرأ عليه بعض آيات القرآن الكريم.

التداوي بالرقية الشرعية

ومن السنن التي هجرها بعض الناس الرقية الشرعية، وقد كان حال النبي ﷺ إذا مَرِضَ أو مَرِض أحد أصحابه أن يرقيه، ففي الحديث عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ، أنها قالت: كَانَ إِذَا

اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ رَقَاهُ جِبْرِيلُ، قَالَ: «بِاسْمِ اللهِ يُبْرِيكَ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ»(١). وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ، يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ البَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا»(٢).

أثر الحاسد

ويؤيد أخذ الأثر من الحاسد إذا شك الإنسان أن شخصًا حسده، ما أخرجه ابن ماجة في سننه: أنه مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بِسَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ: لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ، وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبِطَ بِهِ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: أَدْرِكْ سَهْلًا صَرِيعًا، قَالَ: «مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ» قَالُوا عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ، قَالَ: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، إِذَا

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢١٨٥).
(٢) أخرجه: البخاري رقم (٥٧٤٣).

رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ، فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ» ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ، فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَصُبَّ عَلَيْهِ، قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ: وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْفَأَ الْإِنَاءَ مِنْ خَلْفِهِ[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وصف وضوء العين عند العلماء أن يؤتى بقدح ماء. ولا يوضع القدح على الأرض. فيأخذ العائن غرفته فيتمضمض. ثم يمجها في القدح. ثم يأخذ منه ماء يغسل وجهه ثم يأخذ بشماله ماء يغسل به كفه اليمنى ثم بيمينه ماء يغسل به مرفقه الأيسر. ولا يغسل ما بين المرفقين والكعبين. ثم يغسل قدمه اليمنى ثم اليسرى على الصفة المتقدمة. وكل ذلك في القدح. ثم داخله إزارة وهو الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن. فإذا استكمل هذا صبه من خلفه على رأسه، وهذا المعنى لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه.

---

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٣٥٠٩).

وليس في قوة العقل الاطلاع على أسرار جميع المعلومات. فلا يدفع هذا بأن لا يعقل معناه).

والأيسر منها

والطريقة التي ذكرها النووي إن حال بين القيام بها بعض الأمور فإنه يأخذ أي أثر ممن ظن أنه أصابته العين منه، ثم يضعها في دلو ويغتسل منها، أو يغسل وجهه ورأسه بها، مع رقية نفسه أو مريضه.

ولعل هذا أيسر وأسهل من الأولى.

ومما ينبغي أيضًا التنبيه عليه أن المسلم لا يظن بالناس ظن السوء، هو يأخذ بالأسباب فقط، وحتى وإن شفى الله مريضه فإنه لا يعتقد أن هذا هو الذي حسده أو هذا.

فأصل التعامل بين المسلمين أن يظن بعضهم ببعض خيرًا، وهذه قاعدة قرآنية جليلة، قال تعالى: ﴿ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: ١٢].

ﷺ وكانت المفاجأة ﷺ

وكان ما لم يكن متوقعًا، فبعد أن غَسَلَ الأب وجه الابن ومسح على رأسه بالماء الذي أحضره له إذا بوجه الصغير يُشرق ويظهر أثر الحُمرة عليه، ويطلب من الممرضة المجيء لتأخذ عينة الدم، وناما جميعًا بعد أن صلى الوالد قيام الليل وأوتر إذ كان هذا ديدن الأب.

ﷺ حال نبيك فالزمه ﷺ

وهذا كان حال حبيبك محمدٍ ﷺ كان يحافظ على قيام الليل إحدى عشرة ركعة يواظب عليها في رمضان وفي غيره، وقد صحت الأحاديث في هذا، فلا تترك سنة نبيك إن أردت أن تكون معه في الجنة وتدخل في عباد الله الصالحين وأصفيائه المخلصين.

ﷺ الشافي الله ﷺ

وسبحان الله الشافي تُظهر نتيجة التحليل أن نسبة خلايا كرات الدم البيضاء أقل من النسبة التي أخذوها

عصرًا، والأصل أنها تزيد أو على الأقل أن تبقى كما هي.

وهذا دفع جميع الطاقم الطبي إلى الوقوف متعجبين حائرين ماذا نصنع؟ هذا مما لا يمكن وقوعه.

ويقرر كبير الاستشاريين عدم العجلة في إجراء العملية والانتظار بعض الوقت حتى يتأكد أنه قد أخذ القرار الصائب.

فقال له الأب: وأنا أؤيد هذا.

ويتفقون على أن يأكل الابن طعامًا ـ بعد أن منعوه من الطعام في بادئ الأمر ـ ويبقى تحت المتابعة، وبالفعل يتناول طعام الإفطار والغداء والعشاء، وبعد يوم كامل يأتي الاستشاري ويسأل عن أعراض الزائدة فلا يجد أعراضها، ويجد الأمور تسير بشكل طبيعي.

اندهاش الجميع

ويأتي طاقم الأطباء كاملًا ليناظروا الحالة ويأخذوا فيها القرار الصحيح.

وبعد أن شرح الطبيب المتابع لهم حالة الصغير وما مرت به من تطورات.. يقف الجميع في ذهول.

وهنا يقررون خروج الصغير من المستشفى وإن ظهرت عليه بعض الأعراض فليأت مسرعًا لإجراء العملية.

ويخرج الصغير وقد مر على هذه الواقعة قرابة العامين وإلى يومنا هذا وصاحبنا هذا بفضل الله في صحة وعافية.

أسأل الله أن يديم عليه وعلى أهله وعلينا وعلى جميع المسلمين دوام الصحة والعافية، وأن يحفظنا وإياكم وذرياتنا من كل مكروه وسوء.

إنها قدرة اللّه

لولا يقيني بقدرة الله واعتقادي أنه هو الشافي بأسباب ومسببات وبدونهما.

ولولا أنني كنت أحد شهود هذه الواقعة لقلت هذا من نسج الخيال..

لا تنس دائمًا إذا مرضت أن الشافي هو الله فتضرع إليه أن يشفيك.

وارق نفسك بما جاءت به الأحاديث النبوية اقتداء بنبيك ﷺ.

وتصدق بجزء من مالك بنية الشفاء.

وأحسن الظن بربك، وهو عند حسن ظن عبده به، وظن بربك خيرًا، ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٧].

فظن بربك أنه سيشفيك ويعافيك ويعوض صبرك خيرًا وستجد ما يسُرك.

ولا تحزن ولا تيأس.

واعلم أن كل ما قدره الله فهو خير لك، ففوض أمرك له، وارضَّ عن الله يرضيك ويحفظك ويسعدك ويشفيك.

ૐ يظنها النهاية ૐ

التضرع بالدعاء

يقرر الأطباء عملية جراحية فيخاف ويظن أن هذه نهايته.

فيلجأ إلى مولاه يدعوه يستغيث به يتذلل إليه يناديه يا رب يا رب..

فكانت النتيجة الشفاء بدون عملية وكأن شيئًا لم يكن.

ૐ مع الحكاية ૐ

ها هو أحد الدكاترة يحكي أعجب موقف مر عليه في حياته، فيقول: في يوم جاءني ألم بشع في ظهري، لدرجة أني كنت أصرخ من الوجع، ذهبت للدكتور.

الدكتور قال لي: عندك حصوة ضخمة في الكلى، وطبعًا لا ينفع معها الموسعات، ولم يكن اخترعوا بعد تفتيت الحصوات بالأمواج التصادمية ولا الليزر، فكان

وجوب التدخل الجراحي من أجل أن يشقوا كليتي ويخرجوا الحصوة الضخمة اللي فيها.

لكن أنا لم أكن أقدر على العملية دي ولا جسمي يتحمل خطورتها... ذهبت وأنا بتألم وأخذت الدواء المُسكن لكن لا فايدة.. جاءني رعب وفزع شديد وشعرت أن هذه نهايتي.

ॐ الصلاة المفتاح ॐ

يقول: قمت توضأت وصليت وبكيت وبدأت أدعو (يا رب أنا لا أقدر على العملية هذه، يا رب ساعدني وانجدني) حسيت بذوبان كامل مع الدعاء، شعرت أن كل خلية في جسمي بتستنجد بربنا وتدعو بكل يقين.

ॐ تفويض الأمر ॐ

سلمت أمري لربنا تمامًا وبعدها بنص ساعة جريت على الحمام نزل مني تقريبـًا لتر كامل حاجة زي الطحينة بالضبط، لون الطحينة نفسه.

الحصوة اتفتت وتحولت لبودرة، وواضح إن حجمها كان ضخم جداً فنزل مني كمية كبيرة تقريبًا لتر.

خشوع وتضرع

وبعد نص ساعة من الدعاء والخشوع استجاب ربنا لدرجة أذهلتني، وشربت ماء وانتهى الموضوع وكأن مفيش أي شيء حصل..

وقتها افتكرت كلمة لدكتورة فرنسية أسلمت لما كنا في المغرب: «**إن لديكم يا مسلمين جوهرة لا تعرفون قيمتها، قلت: ما هي؟ قالت: الدعاء**» إن الله لا يخذل عبداً بكى... عبداً شكا... عبداً حَنى رأسه ثُم دعا.

سبحان الشافي المعافي، استحضرها بقلبك ورددها بلسانك عند مرضك، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، وليتيقن قلبك بأنه سيشفيك، وأبشر بما يسرك.

شفاه الشافي

ثري من أثرياء إحدى دول الخليج شفاه الشافي بعد أن أقدم على عمل جليل يسطر بماء الذهب.

فقد أشفق على صبية فقيرة.

رحم ضعفها وفاقتها وانكسارها.

فكافأه الشافي الشكور بشفاء عاجل، هذا في الدنيا أما الجزاء الأوفى ففي الآخرة.

آثر هذا الشيخ الكبير الفتاة الصغيرة على نفسه وتنازل لها عما تفاوض أبناؤه مع أسرتها عليه.

ترك لها كليتها التي قررت أن تبيعها من أجل الحاجة ومساعدة أسرتها الفقيرة، وتصدق عليها بالمائة ألف الثمن المتفق عليه، ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

تأمل حالها، فتاة صغيرة تبيع جزءًا من جسدها لأجل الطعام والشراب وضرورات الحياة.

ثم احمد ربك على ما تفضل به عليك من نِعم لا تعد ولا تحصى، واشكره عليها بلسانك وقلبك وأعضائك.

ما القصة؟

أحد الأثرياء يسافر إلى إحدى الدول العربية لزراعة كلية بعد أن أتعبه غسل الكلى الذي لابد منه أسبوعيًا.

فقد كان مصابًا بالفشل الكلوي، الذي يدفعه إلى أن يذهب عدة مرات أسبوعيًا إلى المستشفى للغسيل.

ويقرر هو وأبناؤه أن يذهبوا إلى إحدى الدول العربية ليقوم بزراعة كلية.

ويتفق الأبناء مع أهل أسرة فتاة فقيرة على بيع إحدى كُليَتَي ابنتهم مقابل مائة ألف.

يدخل الثري المستشفى، وتجرى التحاليل، ويستعد لدخول غرفة العمليات.

وقبيل الدخول إلى غرفة العمليات يطلب أن يقابل

تلك الفتاة التي قررت أن تعطيه جزءًا من جسدها.

تدخل الفتاة وهي منكسرة خجولة يظهر عليها آثار الحاجة والفاقة.

يسألها الشيخ الكبير عن سبب بيعها لكليتها وهي فتاة ما زالت صغيرة في مقتبل العُمر؟!

فتجيبه: الحاجة والفاقة، يَجِب علي أن أساعد أسرتي الفقيرة.

فيرق لحالها، ويشفق عليها، ويرحم ضعفها وانكسارها.

ويقرر أن يترك لها المبلغ المتفق عليه مقابل بيعها كليتها وأن يعود إلى بلدته.

ويخبر أبناءه بما قرره تجاه تلك الفتاة.

يثور بعضهم، ويقاومه البعض الآخر للعدول عن قراره.

لكن أنَّ لهم من قلب رحيم؟! فيذعنوا ويرضخوا لرغبته ويعودوا من حيث أتوا.

وتكون المفاجأة بعد عودته إلى وطنه وذهابه إلى المستشفى وفي الفحص الدوري تخرج نتائجه أن الكلى لا تحتاج إلى غسيل فقد عادت للعمل بكامل قوتها.

أرهقنا فلجأنا إليه

وأنا أكتب هذا الكتاب أرهقنا أحد أفراد أسرتنا بتعب ألم به، مرض شديد لازمه عدة سنوات وعلى فترات يعود، وقد راجعنا الأطباء مرات ومرات، وفي النهاية فوضنا الأمر لله، ورضينا بقضاء الله وقدره.

وفي أحد الأيام ظهرت بوادر الألم، فبدأ صاحبنا في الخوف والاضطراب لشدة الألم الذي ربما لا ينفع معه حتى المسكنات.

ومن عجيب الأمر أنه كان إذا اشتد به الألم بدأ في الرقية الشرعية والإكثار من الصلاة على النبي ﷺ وبعد فترة يسكن الألم وينام.

ذهاب الألم بكثرة الصلاة عليه

بل كثير من المرات التي يأتيه الألم الشديد لا ينام إلا بعد أن يكثر من الصلاة على النبي ﷺ.

وربما بعضنا يتعجب من هذا، فيسأل وما العلاقة بين الصلاة على النبي وذهاب الألم؟!

والإجابة تكمن في هذا الحديث، حين سأل الصحابي الجليل أبي بن كعب النبي ﷺ قائلًا: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «**إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**»(١).

تفريج وإجابة

واعلم يا محب أن الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ فيها غفران الزلات وتكفير السيئات، وإجابة الدعوات وقضاء الحاجات، وتفريج المهمات والكربات، وحلول

(١) أخرجه: الترمذي رقم (٢٤٥٧).

الخيرات والبركات، ورضا رب الأرض والسماوات، وهي نور لصاحبها في قبره منجية من الشرور والآفات، وفيها القيام ببعض حقه وتنمية محبته في القلب التي هي من أشرف القربات، وهي من أسباب الهداية إلى صراط مستقيم، وهي دعاء وسؤال للرب الرحيم.

فما مِن عبد مسلم أكثر الصلاة على محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا نوَّر الله قلبه وغفر ذنبه وشرح صدره، ويسَّر أمره، فأكثروا من الصلاة؛ لعل الله يجعلكم من أهل مِلَّته، ويستعملكم بسُنته، ويجعله رفيقنا جميعًا في جنته.

فإن كان للصلاة على النبي ﷺ هذا الفضل فالموفق من وفق لكثرة الصلاة عليه، والمحروم من حُرم هذا الفضل الكبير.

فاللهم صلِّ على نبينا محمد عدد ما خلقت، وصلِّ اللهم علي نبينا محمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد.

ﷺ نصيحة فيها الشفاء ﷺ

ولما ظهرت بوادر الألم خبرته بأن يلجأ إلى الله بالدعاء ويتصدق بمبلغ بنية الشفاء.

فلجأ إلى الله متضرعًا متذللًا له بأن ينجيه مما يخافه، وبدأت الأسرة جلها تتضرع إلى الله بالدعاء بأن يشفيه، وتصدق بمبلغ من المال.

والذي رفع السماء بدون عمد وأنا شاهد على ذلك لم يأته الألم الذي ظهرت بوادره، وإلى هذه اللحظة كأنَّ شيئًا لم يكن، والحمد لله رب العالمين.

نسأل الله أن يمنَّ علينا وعلى أهلينا بشفاء عاجل غير آجل وأن يمتعهم بالصحة والعافية وجميع المسلمين.

ﷺ وصية للمريض ﷺ

داوي نفسك ومرضاك بالصدقات، والجأ إلى ربك متضرعًا منكسرًا سائله الشفاء.

وأحسن الظن بربك وأبشر بالشفاء.

واعلم أنه إذا فرَّغ العبد قلبه من غير الله ثم دعا مولاه بأي اسم أجاب دعواه.

فالمرض رسالة لتلجأ إليه، وتتذلل له، وتسجد بين يديه.

وليتيقن قلبك أنه هو الشافي، ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠].

فاللهم اشفنا واشف أمراضنا وأمراض المسلمين.

ومُنَّ على كل من أرهقه المرض بشفاء عاجل غير آجل يا شافي الأمراض.



إنه اللّه جل جلاله

الوكيل

الذي توكل بالعالمين وتولاهم خلقًا وتدبيرًا، وإيجادًا وإمدادًا.
وهو وكيل المؤمنين الذين فوضوا إليه الأمر قبل سعيهم، واستعانوا به حال كسبهم وحمدوه بالشكر بعد توفيقهم، ورضوا بالمقسوم بعد ابتلائهم.

الحسيب

هو الكافي لعباده جميع ما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم
وللمؤمنين به النصيب الأكبر من كفايته
وهو سبحانه المحاسب لهم على ما عملوه في الدنيا.

اللطيف

العالم بدقائق الأمور، فلا تخفى عليه خافية
يوصل الخير والنفع إلى عباده من وجوه خفية من حيث لم يحتسبوا.

﴿ باسم الله توكلت على الله ﴾

هل تعرف أثر هذا الذكر عليك إذا دعوت به وأنت خارج من بيتك؟

هل تعلم ما يقال لك بعدما تقول تلك الكلمات؟

يقال لك: هديت ووقيت وكفيت.

ففي الحديث: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟**»[(١)].

هل استشعرت معاني تلك الكلمات؟

كم مرة قلتها وأنت خارج من بيتك فكانت سببًا لنجاتك؟

كم مرة تلفظت بتلك الكلمات فكانت سببًا في دفع

---

(١) أخرجه: أبو داود رقم (٥٠٩٥).

مصيبة محققة كانت ستلحق بك؟

ॐ أُقرر فكان ॐ

أخرج في صباح يوم باكر للذهاب بابني للاختبار.

قد تأخر الولد عن الاختبار لظرف ما، فكنت عجلًا، فأخذت الولد وخرجت مسرعًا.

ومن عادتي غالبًا أنني إذا خرجت من البيت أقول: بسم الله توكلت على الله..

وأركب السيارة وأقوم بتشغيلها فإذا بي أسمع صوتًا غريبًا لم أعهده من قبل.

فأتعجب وأنزل وأنظر في ماتور السيارة وسيورها وماكينتها فأجد كل شيء طبيعي.

فأقرر أن أذهب وما إن قلت بسم الله توكلت على الله فإذا بنفس الصوت العالي ينبعث من السيارة.

فأنزل مرة أخرى وأنظر في سيور السيارة وماكينتها فأجد كل شيء طبيعي.

وهنا أقرر أن أذهب بالسيارة حتى ولو كان الصوت عاليًا، وأتوكل على الله وأسم الله.

وبعد قرابة كيلومتر إذا بي أسمع صوتًا عاليًا بطريقة مزعجة، فأنزل من السيارة وأكرر ما فعلته سابقًا وكانت نفس النتيجة.

وبسبب اختبار الولد انطلقت في طريقي وما أن بدأت أسلك الطريق السريع إذا بصوت السيارة يرجع إلى طبيعته، وبعد مسافة ليست بالطويلة وجدت حادثًا كان بين أكثر من سيارة في الطريق.

فقلت سبحان الله هذا الصوت الغريب الذي سمعته منبعثًا من السيارة كان وراء تأخري عدة دقائق، ولعل الله صرف عني شرًا، وحمدت ربي على ما تفضل به علي.

فكل تأخيرة فيها خيرة فلا تنزعج كثيرًا، وكن راضيا على الدوام، واعلم أن كل شيء مقدر.

فسلم أمرك لمولاك، واعلم أن ما اختاره الله لك أفضل مما اخترته أنت لنفسك.

الله يعلم ونحن لا نعلم

وتذكر دائمًا وضع نصب عينيك قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

نعم والله يعلم ما لا نعلمه، فيعلم ما خفي من منافع الأشياء ومضارها.

فلا تجزع ولا تحزن لأمر كنت ترغب فيه ولم يتيسر لك، لعل في الظاهر لك أنه خير وفي باطنه من الشر الذي لا تعلمه أنت، لكن الله يعلمه، فصرفه عنك.

هل استشعرت معي اسم الله الحفيظ والوكيل والحسيب؟

هل تدبرت معي اسم الله اللطيف؟

فوض أمره لمولاه

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤].

هذا الدعاء له أثر كبير على تغيير مجريات الأحداث والأمور.

فتمسك بهذا الذكر إذا تعسرت عليك الأمور.

وإذا تكاثرت عليك الكربات.

وإذا تكالب عليك الأعداء.

وإذا تخلى عنك الأصحاب.

وإذا أخافوك من مكروه يصيبك.

فالزم هذا الدعاء وستجد أثره في حياتك.

ستجد به يسرًا بعد عسر.

وفرحًا بعد حزن.

وانشراحًا في صدرك بعد ضيق ألم بك.

وفرجًا بعد شدة.

ॐ في موقف السيارات ॐ

يحكي هذا الدكتور فيقص قصة عجيبة حدثت له.

يقول: في يوم من الأيام، حدث هذا قبل عدة سنوات، ذهبت إلى مقر العمل في الجامعة، ودخلت بسيارتي وأوقفتها في مواقف السيارات، وكنت على عجلة من أمري، فنزلت مسرعًا من أجل أن آخذ غرضًا من مكتبي، وأعود إلى بيتي.

فصعدت إلى أعلى وحصلت على الغرض الذي أتيت من أجله، ونزلت إلى مواقف السيارات وما إن وصلت إلى سيارتي وجدت أن سيارة قد سدت علي الطريق الذي أخرج منه، فقد أوقفها صاحبها خلف سيارتي مباشرة، وهذا بالطبع سيضطرني إلى الانتظار حتى يأتي صاحب السيارة.

ॐ لعله خير ॐ

فقلت لعله مثل حالتي جاء مسرعًا سيأخذ غرضًا من الكلية ثم ينزل، وانتظرت طويًلا قرابة ساعة ونصف وأنا

في مواقف السيارات أنتظر صاحب السيارة.

وكنت أظن أنها دقائق ويأتي صاحب السيارة إلا أن صاحبها -كما علمت فيما بعد- عنده محاضرة تمتد إلى قرابة الساعة ونصف.

وبالفعل انتظرت ساعة ونصف حتى وصل صاحب السيارة التي أغلقت علي الطريق، وما أن وصل صاحبها إلا وجدته صديقًا حبيبًا وكان مسؤولًا في هذه الفترة في الجامعة، فتبدل الغضب الذي كان بداخلي إلى ابتسامة عريضة لهذا الزميل.

فقلت: ما دام أن هذه سيارتك دكتور فالأمر سهل، وسلمت عليه وعانقته، وتبادلنا أطراف الحديث.

ॐ بدون موعد ॐ

وسألني دكتور: هل تمت ترقيتك؟ وكنت قد قدمت على الترقية إلى رتبة أستاذ مشارك قبل قرابة ثمانية أشهر، وهذه الرتبة حتى تحصل عليها تمر بعدة مراحل، وفي نهاية المطاف تخضع أبحاثك التي قدمتها للتحكيم

من قبل متخصصين، فإذا حصلت على درجة معينة تحصل على الدرجة العلمية.

فقلت للدكتور: إلى الآن لم أحصل عليها. فقال متعجبًا: لقد تأخرت كثيرًا؟ فقلت: صحيح، وقد ذهبت وسألت المسؤول ولم يفدني بشيء.

فقال: إن شاء الله أتابعها وأخبرك، فقلت جزاك الله خيرًا، وسلمت عليه وودعته.

تأثر من الموقف

وكأن الدكتور تأثر كثيرًا بسبب انتظاري له في موقف السيارات فأراد أن يفعل خدمة لي يطيب بها خاطري، خوفًا من أن يكون في نفسي شيءٌ منه، وهذا استنتاجي.

والذي في قرارة نفسي أن الله قدر هذا الموقف ليقضي أمرًا كان مفعولًا.

وكأنه ساقني لهذا المكان وساقه لنفس المكان لانقضاء حاجة على يديه ربما كانت ستتأخر كثيرًا.

ॐ البُشرى ॐ

وسبحان الله في غضون أسبوع يتصل بي الدكتور، ويقول دكتور مبروك انتهت معاملتك وإن شاء الله أسبوع ويصدر قرار ترقيتك، وأحب أن أخبرك بشيء وهو أنني ذهبت وسألت عن أوراقك، وأخبروني بأن محكمين من ثلاثة محكمين انتهوا منها، ووافقوا على استحقاقك الدرجة، وأن المحكم الثالث لم يرسل الأوراق إلى هذه اللحظة، وهي عنده منذ عدة شهور وكلما تواصلوا معه أخبرهم بأنه قريبًا سينتهي منها.

وهذا المسكين المحكم الثالث زميل لي، مع أن علاقتي جيدة بجميع الزملاء، وليس بيني وبين أحد منهم شيء حتى يدفعه إلى إلحاق الضرر بي، وتعجبت من صنع هذا الزميل، وأشفقت عليه.

ॐ طبائع البشر ॐ

واعلم أن طبائع الناس متباينة..

فهناك أشخاص قلوبهم لا تحب الخير للناس..

وهناك من يتلذذ بأذية الناس.

ومنهم من يستخدم بعض صلاحياته ومنصبه في أذية الناس، فيسيء استخدام السلطة.

وهذا الصنف أظن أنه قليل مقابل الكثير الذي لا يرضى بهذه الأخلاق السيئة الذميمة التي لا تليق بمسلم أن يتحلى بها والحمد لله.

وهناك على النقيض من الصنف سالف الذكر من يسعد بقضاء حوائج الناس على يديه، ويسعى دومًا لذلك.

والموفق من وفقه الله للسعي في فعل الخير..

الحذر من الظلم

فاحذر أن تكون من هؤلاء وتعوذ بالله أن تتصف بصفاتهم، وإن رأيت من اتصف بتلك الصفات، فاحمد ربك أن عافاك، وقل: « **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلى بِهِ كَثِير مِنْ خَلْقِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ**

تَفْضِيلًا»[(١)]، وقم بنصيحته لعلَّ الله أن يهديه ويقلع عن هذا الخلق السيء.

واعلم أخي الحبيب أن أذية المسلم محرمة ومتوعد صاحبها بالعذاب فترفع بنفسك أن تدخل تحت هذا الصنف، وأن تلحقك آثام وأوزار ولعنات أنت في غنى عنها.

وتذكر دائمًا وضع نصب عينيك قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

إن من الخطورة أخي المسلم أن تتعمد إضرار أحد من الناس، أو أن تشق عليهم، فيلحقك الإثم وتستحق العذاب، ويشق الله عليك في دنياك وآخرتك.

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٣٨٩٢)، وابن أبي شيبة رقم (٢٩٧٣٦).

ما الفائدة التي ستعود عليك من ظلم الآخرين؟!

إذا تأملت حال هذا الزميل أصلحه الله الذي تعمد أن يلحق الضرر بزميله.

ما الذي دفعه إلى الإقدام على هذا الفعل؟!

ما الثمرة التي سيجنيها من وراء ما أقدم عليه؟!

ما الفائدة التي تعود عليه؟!

ما الضرر الذي سيلحق به إن أنهى معاملات الناس، أو يُحيلها إلى غيره إن كان مشغولًا؟!

لا شيء مما سبق ذِكره سيلحق به إلا والله أعلم أنه غير موفق فيما أقدم عليه.

من جراء ما فعل لحقته آثام ومظالم للآخرين سيحاسب عليها يوم القيامة ويقتص منه إن كان ظالمًا وقصد إلحاق الضرر بغيره.

﴿ الخوف من الله يمنعك ﴾

ألا يخاف الظالم أن يدعو عليه المظلوم فيستجاب له؟!

فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، يقول الله: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»[(١)].

ألم يعلم أنه عند الله تجتمع الخصوم، فيرتدع عن ظلم العباد؟!

فاحذر من الظلم وتدبر قوله تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩].

وعلى النقيض تمامًا إن كان الموظف ممن يرفقون بالناس ويسهلون عليهم أمورهم، وليس معنى هذا أن يمنحون من لا حق له شيئًا لا يستحقه، فهذا وهذا لا يجوز، بل معناه أن تعطي كل ذي حق حقه وتنجزه له.

---

(١) أخرجه: الطبراني في الكبير رقم (٣٧١٨).

فائدة التيسير

وتذكر دائمًا إن كنت صاحب منصب أو مكانة أنه من ولي من أمر المسلمين شيئًا فسهل عليهم إلا سهل الله عليه، ومن شق عليهم شق الله عليه.

فاختر لنفسك مع أي الصنفين تحب أن تكون.

وللقصة بقية

يقول: فقلت للمسؤول عدة شهور ولم تنتهِ معاملة الدكتور هذا فيه نوع من الظلم، لماذا يحجزها عنده المحكم الثالث كل هذه الشهور، مع العلم أن الدكتور يستحق الدرجة سواء قرر هذا المحكم استحقاقه للدرجة أو عدم استحقاقه، فقال له صحيح، إلا إنه يترتب عليها إما أن يحصل عليها بإجماع الأراء أو بالأغلبية، قال له صحيح، إلا أن هذا قد تأخر كثيرًا.

وعليه أرى أن تسحبها منه بسبب تأخيره، شهور عديدة متتالية والمعاملة عنده ولم ينتهِ منها ثم أرسلها إلى محكم ثالث.

يقول: وبالفعل يستجيب المسؤول ويرسلها لمحكم آخر.

وفي خلال عدة أيام يرسل المحكم الثالث تحكيمه باجتياز الدكتور واستحقاقه الدرجة العلمية، ويصدر قرار المجلس العلمي بحصولي على الرتبة العلمية بإجماع أراء الفاحصين.

۞ الضرر والنفع أمرهما لله فلا تحزن ولا تقلق ۞

لن تستطيع ضرر أحد من المخلوقات إن أراد الله له النفع.

فلا تتعب نفسك يا صاحب القلب المريض.

وحاول إصلاح قلبك، وأحب للناس ما تحب لنفسك.

فمهما حاولت بكل ما أوتيت من قوة حتى وإن اجتمعت مع أهل الأرض على أن تضر أحدًا بشيء لم يكتبه الله عليه فلن تضره إلا بشيء قد كتبه الله عليه.

فلا تعقد النية على أذية مخلوق فأنت الخاسر في

الدارين..

وتذكر قول النبي ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَنْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**»(١).

وعليه فلا تخف إلا من مولاك، ولا تحزن على نفوس مريضة تحب أذية الناس، واحمد ربك أن عافاك من أن تكون مثلهم، وسل الله لهم الهداية، وأن يسلمك من شر من يريد بك شرًا.



(١) أخرجه: أحمد رقم (٢٦٦٩)، والترمذي رقم (٢٥١٦).

إنه اللّه جل جلاله

النصير

الذي يؤيد بنصره من يشاء فلا غالب لمن نصره ولا ناصر لمن خذله.

الوَلِيّ

القائم على أمور خلقه وتدبير ملكه وهو النصير والظهير لأوليائه.

المَولَى

الرب والملك والسيد والناصر والمعين لأوليائه.

القاهر القهار

الغالب الذي خضعت له الرقاب وعنت له الوجوه
المذل لعباده، والمستعبد خلقه، والعالي عليهم والقهار مبالغة من القاهر

ॐ قهر الرجال ॐ

اللهم إن هذا أراني قوته فأرني فيه قوتك.

اللهم إنه استقوى بعشيرته وأنا عبدك الضعيف فانصرني عليه.

اللهم أقذف الرعب في قلبه حتى يرد إلي ما أخذه مني.

بتلك الدعوات وغيرها لازمها هذا المكلوم.

فكانت النتيجة العجيبة التي ستعرفها في نهاية قصته.

ॐ بدأت القصة ॐ

يحكي فيقول: في إحدى الأيام يتصل بي أحد من المعارف، وكانت معرفتي له قريبة لم تتجاوز عدة شهور، فيطلب مني مبلغ عشرين ألفًا لمدة شهر، وذكر أنه مدين بهذا المبلغ وإن لم يدفعه لصاحبه سيلحقه ضرر، وأن هذا جميل لن ينساه، وأن أصدقاءه الأثرياء اتصل بهم ولم يعطه أحد وتخلوا عنه، وأنه يملك

أضعاف هذا المبلغ وسيأتيه آخر الشهر، إلى غير ذلك من المبررات التي ذكرها.

۞ قلب طيب ۞

ويرق هذا الطيب لحاله، ويرأف به، ويفكر مليًا هل يعطيه هذا المبلغ أم لا؟ أنا لم أعرفه من قبل، لم أقابله إلا مرتين، كيف أعطيه وأصدقاؤه على حد كلامه لم يعطوه، وبالفعل يقرر بعد تفكير أن يعطيه هذا المبلغ بشرط أن يأخذ عليه سند بنكي يحدد فيه الموعد، على أن يذهب يصرفه من البنك في المدة المحددة في السند، ويعطيه المبلغ، ويتشكر له وهو يقول: جميلك في رقبتي ولن أنساه لك طيلة حياتي، وإن شاء الله في الموعد سأسدد لك المبلغ.

وتمر الأيام ويأتي ويتفق بعد ذلك مع هذا الرجل أن يدخلا في شراكة، ويبين له مزايا المشروع ودخله وأنه سيكون طريق الثراء وهذا جزاء الجميل الذي صنعته معي.

﴿ نكران للجميل ﴾

وكان هذا الطيب يتعامل مع الناس بحسن نية فيقرر بعد الاستخارة أن يدخل معه في مشروعه ويعطيه المبلغ الذي اتفقا عليه في الشراكة.

ثم بعد ذلك يجد أن كل ما ذكره الرجل لم يكن صحيحًا، وأنه غرر به.

وعلم أن شريكه دخل مع غيره في شَركَات أخرى في نفس المجال ولم يخبره.

وبدأ في التلاعب وعدم الصدق.

فيطلب منه أن يخرج من الشراكة ويختص هو بالمشروع، وأنه سيأخذ أصل المبلغ الذي دفعه، وأنه قد وقف بجواره في مشروعه إحسانًا منه، ويتفقان على أنه سيرد له المبلغ في فترة معينة حددها هو.

وكانت الطامة أنه ماطله في سداد المبلغ وقابل الإحسان بالإساءة، وظن أنه قوي والآخر ضعيف، وأنه لن يستطيع فعل شيء له.

ويتقهر القلب

نعوذ بالله من قهر الرجال، وينقهر قلب صاحب المال على ما فعله به هذا الرجل، وصدق النبي ﷺ حين تعوذ بالله من قهر الرجال لما له من الآثار النفسية على الرجل، أخذ المال وغدر وقابل الإحسان بإساءة منقطعة النظير، ويحاول معه بشتى الطرق ليسترد أمواله.

وبالفعل بعد عناء يتفقان على كره من صاحبنا بأنه سيسدده كل شهر عشرين ألفا، وأنه لا يستطيع أكثر من ذلك، ويضطر صاحب المال أن يقبل بهذا الشرط الجائر لكن ليس أمامه حيلة، وبالفعل يسدد أول شهر بعد ضغط عليه من أصدقائه وبعد عدة محاولات متكررة، ويتهرب من الأقساط الأخرى ويماطل في سدادها.

وهنا يلجأ صاحب المال وهو في بيت الله الحرام بالدعاء ويلزم «**حسبي الله ونعم الوكيل**» وهو ساجد وهو في الطواف وبعد الصلوات وكلما تذكر.

ॐ سبب القهر ॐ

لم يكن المبلغ هو سبب الدعاء بل سوء تصرف هذا الرجل وقُبح فعله، ويأتي الشهر الثاني ويأبى أن يسدد بقية المبلغ ويتحجج بحجج واهية وتمر عدة شهور، وهنا يلزم صاحب المبلغ الدعاء عليه وكان من دعائه: «**اللهم اقذف الرعب والهلع والخوف في قلبه، اللهم إنه استقوى على بعشيرته فانصرني عليه ورد مالي الذي أخذه**» إلى غير ذلك من الدعوات.

ॐ إلقاء الرعب في القلب ॐ

وسبحان الله ولسبب من الأسباب لم تتخيله، يستجيب الله دعواته ويأتي مرعوبًا رأيته بأم عيني وكنت شاهدًا على قصته، رد المبلغ كاملًا إلى الرجل بعد أن جاء مستعطفًا منكسرًا خائفًا ذليلًا، بعد الغطرسة واللامبالاة والاستهتار الذي سلكه قديمًا، فقد تغير حالة إلى ذلة وضعف ورعب.

وسبحان مَن مِن أسلحته إلقاء الرعب في القلوب، وهذا سلاح من الأسلحة التي ينصر بها المظلومين.

۞ سلاح نصر الله به أولياءه ۞

أَتَذكُر أن هذا السلاح الذي نصر الله به رسول الله ﷺ في غزوة الخندق، وفي غزوة بني النضير، وفي غزوة بني قريظة، بل كان هذا من أسباب نصرة محمد على أعدائه، ألم يقل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**»(١).

وما أدري ما الذي حدث له بعد ذلك؟ حيث انقطعت عني أخباره، لكن أنا على يقين أنه لن يبارك له في ماله بسبب عدم وفائه وخيانته وغدره وسوء خُلقه.

فاحذر من دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب.

احذر أن يدعو عليك ضعيف لا يملك أن يدفع عن

---

(١) أخرجه: أحمد رقم (٢٧٤٢).

نفسه مظلمة أنت سببها.

فربما كانت تلك الدعوة سببًا في شقاوتك في الدارين، أو تكون سببًا من أسباب خسارتك في الدنيا وفي الآخرة.

ॐ ظلم أجيرًا ॐ
دعا عليه

هذا الرجل يحكي عن نفسه يقول كنت جبارًا غليظ القلب لا أهتم إن ظلمت أحدًا.

وظللت على ذلك حتى أتى علي يوم واستأجرت أجيرًا ليعمل لي بعض الإصلاحات في البيت، وانتهى من عمله، وبعد الانتهاء طلب حقه فرفضت، فكرر طلبه بإعطائه حقه.

فقلت له: لن أعطيك واذهب وافعل ما شئت، قال: سأشكوك: قال له: أفعل ما تستطيع فلن أعطيك شيئًا، قال: سأشكوك إلى أحكم الحاكمين إلى رب العالمين. قال: فلم أهتم، وقلت له افعل ما بدا لك.

۞ سرطان في الرأس ۞

يقول ولا يمر علي أسبوع إلا وألم شديد قد أصاب رأسي، وذهبت للطبيب، ويخبرني بأن ورما أصاب رأسي وعليه لابد من إجراء عملية جراحية لاستئصاله قبل أن ينتشر في جميع جسدي، وبالفعل أخضع للعملية، وأخرج منها وإذا بالورم ينتقل إلى مكان مجاور للمكان الأول الذي أصابه السرطان، ويقرر الأطباء استئصال الورم وأخضع لعملية أخرى، وبعد ثلاثة أشهر يتكرر الورم وتجري العملية للمرة الثالثة.

۞ عهد قطعه ۞

وهنا أتذكر ما فعلته مع هذا الأجير الذي قال: سأشكوك إلى الله، وأرسل أهلي للبحث عنه، ويأتي وأعطيه حقه، وأتذلل له أن يسامحني وأخبره بقصتي وبالابتلاءات التي لحقت بي بسببه، ويأخذ حقه، ويبكي ويسامحني.

يقول: وبعد ذلك انتهى الورم والحمد لله، لكن

بقيت بعض آثاره، لكن لن أظلم بعد اليوم أحدًا، وأخذت على نفسي عهدًا أن أحدث بقصتي حتى تؤخذ منها العبرة، فيعتبر منها كل ظالم أو كل من يفكر في الظلم حتى لا يُصاب بمثل ما أصابني.

الصياد والسمكة

وهنا تحضرني قصة صاحب السمكة ذكرها الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب الكبائر حيث قال: «وَمِمَّا حُكيَ قَالَ بَعضهم رَأَيْت رجلاً مَقْطُوع الْيَد من الْكَتف وَهُوَ يُنَادي من رَآنِي فَلَا يظلمن أحداً فتقدمت إِلَيْهِ فَقلت لَهُ يَا أخي مَا قصتك قَالَ يَا أخي قصَّة عَجِيبَة وَذَلِكَ أَنِّي كنت من أعوان الظلمَة فَرَأَيْت يَوْمًا صياداً وَقد اصطاد سَمَكَة كَبِيرَة فأعجبتني فَجئْت إِلَيْهِ فَقلت أَعْطِنِي هَذِه السَّمَكَة فَقَالَ لَا أعطيكها أَنا آخذ بِثمنِهَا قوتًا لِعِيَالِي فضربته وأخذتها مِنْهُ قهراً ومضيت بهَا قَالَ فَبينا أَنا أَمْشِي بهَا حاملها إِذْ عضت على إبهامي عضة قَوِيَّة فَلَمَّا جِئْت بهَا إِلَى بَيْتِي وألقيتها من يَدي ضربت على إبهامي وآلمتني

ألمـًا شَدِيدا حَتَّى لم أنم من شدَّة الْوَجع والألم وورمت يَدي فَلَمَّا أَصبَحت أتيت الطَّبِيب وشكوت إِلَيْهِ الْأَلَم فَقَالَ هَذِه بَدْء الآكلة أقطعها وَإِلَّا تقطع يدك فَقطعت إبهامي ثمَّ ضربت على يَدي فَلم أطق النوم وَلَا الْقَرار من شدَّة الْأَلَم فَقيل لي: اقطع كفك فقطعته وانتشر الْأَلَم إِلَى الساعد وآلمني ألمـًا شَدِيدا وَلم أطق الْقَرار وَجعلت أستغيث من شدَّة الْأَلَم فَقيل لي اقطعها إِلَى الْمرْفق فقطعتها، فانتشر الْأَلَم إِلَى الْعَضُد وَضربت على عضدي أَشد من الْأَلَم الأول فَقيل: اقْطَعْ يدك من كتفك وَإِلَّا سرى إِلَى جسدك كُله فقطعتها فَقَالَ لي بعض النَّاس مَا سَبَب ألمك فَذكرت قصَّة السَّمَكَة فَقَالَ لي لَو كنت رجعت فِي أول مَا أَصَابَك الْأَلَم إِلَى صَاحب السَّمَكَة واستحللت مِنْهُ وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضوا فَاذْهَبْ الْآن إِلَيْهِ واطلب رِضَاهُ قبل أَن يصل الْأَلَم إِلَى بدنك قَالَ فَلم أزل أطلبه فِي الْبَلَد حَتَّى وجدته فَوَقَعت على رجلَيْهِ أقبلها وأبكي وَقلت لَهُ يَا سَيِّدي سَأَلتك بِاللَّه إِلَّا عَفَوْت عني فَقَالَ لي وَمن أَنْت قلت أَنا الَّذِي أخذت

مِنْك السَّمَكَة غصبًا وَذكرت مَا جرى وأريته يَدي فَبكى حِين رَآهَا ثمَّ قَالَ يَا أخي قد أحللتك مِنْهَا لما قد رَأَيْته بك من هَذَا الْبلَاء فَقلت يَا سَيِّدي بِاللَّه هَل كنت قد دَعَوْت عَليّ لما أَخَذتهَا قَالَ نعم قلت اللَّهُمَّ إِن هَذَا تقوى عَليّ بقوته على ضعْفي على مَا رزقتني ظلما فأرني قدرتك فِيهِ فَقلت يَا سَيِّدي قد أَرَاك الله قدرته فِي وَأَنا تائب إِلَى الله ﷻ عَمَّا كنت عَلَيْهِ من خدمَة الظلمَة وَلَا عدت أَقف لَهُم على بَاب وَلَا أكون من أعوانهم مَا دمت حَيا إِن شَاءَ الله»(١).

۞ دعوة المظلوم احذرها ۞

إنها دعوة المظلوم لا ترد أبدًا.

ليس بينها وبين الله حجاب.

تفتح لها أبواب السماء.

يقال لها: «**وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ**

---

(١) انظر: الكبائر للذهبي (ص: ١١٣، ١١٤).

حِينٍ»[١].

فإياك والظلم فإن عاقبته وخيمة.

ظلم زوجته وقهرها

يظلم زوجته فترفع يدها وتدعو عليه فتصدمه سيارة فتكون نهايته.

كنت يومًا في إحدى الكليات ذاهبًا لألقي محاضرة، وقابلت أحد الوكلاء ودار حوار بيني وبينه، وكان له علاقة بمكاتب دعوة الجاليات، وأخبرني بقصة عجيبة، يقول أسلمت إحدى الممرضات من إحدى الجنسيات الآسيوية، يقول وتقدم لها رجل ليتزوجها، وتم الزواج بينهما، وأنجب منها طفلًا، وبعد مدة صار خلاف بينهما، تدخلنا من أجل الإصلاح إلا أن الرجل أصر على عدم النفقة على زوجته، وكان يطمع في راتبها، في النهاية طلقها ولم يكن هناك حل غير الانفصال، حيث

(١) أخرجه: الطبراني في الكبير رقم (٣٧١٨).

أغلقت كل أبواب الصلح.

وكان هو في هذه الفترة يستعد للرجوع إلى وطنه، وكان هو من إحدى البلدان العربية، وهنا تفاوض الرجل مع زوجته على صغيرهما، وأراد أن يأخذ الولد منها، فأبت الأم، ولم يكن هدفه أخذ الولد بل يريد مبلغًا من المال، ولم يتركها إلا بعد أن أخذ منها مبلغًا من المال يقدر بخمسة عشرة ألفًا، ثم ذهب للسفارة وأعطاها تنازلًا عن ابنه.

وتنصدم الأم وكادت أن ترتد عن الإسلام بسبب قبح فعله، إلا أن الله ثبتها، وواساها بعض من حولها من أهل الاستقامة والصلاح.

ومن المعلوم أن هذه ليست أخلاق الإسلام، بل هي أفعال مذمومة حرمتها الشريعة الإسلامية، وتوعدت فاعلها بالعذاب الأخروي..

أنصفها ورفعها

لقد جاء الإسلام فأوجب النفقة للزوجة والأولاد، وأمر بالإحسان إلى الزوجة والقيام على حاجاتها، وحذر من ظلمها وامتهان كرامتها، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية كثيرة معلومة معروفة.

تفاوض ونهاية

ويأخذ المبلغ الذي تفاوضا عليه، ويعطيها تنازلًا عن ولده، ثم يرجع إلى بلده.

يقول الدكتور الذي يقص علي قصته وتأتينا أخباره بعد ذلك، فقد رجع واشترى سيارة وبعد أسبوع واحد من عودته إلى بلده يحدث له حادث بسيارته فيموت.

خسارة الدارين

سبحان الله بماذا دعت عليه هذه المرأة؟!

ظلمها، قهرها، فكانت النتيجة أنه خسر دنياه.

والله أعلم ماذا ينتظره في آخرته؟!

لم يهنأ بالمال الذي أخذه ظلمًا منها، بل كان نقمة عليه في الدنيا.

فاحذر ظلم الآخرين.

ويشتد الظلم ويزداد قبحًا إذا كان ظلمًا للأقارب.

وكلما كان الظلم للأقرب منزلة وصلة كلما كان أقبح وأشد خطورة.

ظلم الضعيف فنصره الناصر

هذا معلم استقوى عليه وكيله في المدرسة التي يعمل بها.

وكان ذلك الوكيل له علاقة قوية بأصحاب تلك المدارس.

وتقرر الإدارة أن تنهي عقد هذا المعلم، فيلجأ المعلم إلى ربه ويدعوه، ثم يرفع السماعة ويخبر والده بما حدث، فقال له والده وهو واثق بالله محسن الظن

بمولاه: لا تخف ولا تقلق، سأصيبه بصاروخ أرض جو فينتهي أمره فانتظر حتى يكون الثلث الأخير من الليل.

ويقصد بذلك أنه سيرفع أمر ولده إلى خالقه ويدعو على من ظلمه في الثلث الأخير من الليل، فقد اختار والده وقتًا من الأوقات التي يستجاب فيها الدعوات.

ومع ذلك هناك أيضًا سبب آخر وهو ظلم الوكيل لولده.

وكذلك الدعوة من الوالد لولده، وهي من الدعوات المستجابات.

فاجتمعت ثلاثة أسباب من أسباب إجابة الدعوات، ويحدث ما لم يتوقعه هذا المعلم، فلا يمر أسبوع إلا وقد تم نقل الوكيل إلى مدرسة أخرى، ويبقى المعلم في نفس المدرسة.

فإياك والاستقواء على الضعفاء بمنصبك أو بمالك، وأنت لا تعلم ماذا بينهم وبين الله، ربما يكون بين من تظلمهم من لو أقسم على الله لأبر قسمه، فلا تحقرن

أحدًا، ولا تظلمن أحدًا، فربما دعا المظلوم عليك دعوة كانت سببًا من أسباب شقاوتك وخيبتك في الدارين.



﷽ فهرس الموضوعات ﷽



إنه جل جلاله

سياحة في الأرض لمشاهدة آثار أسماء الله الحسنى على عباده

الجزء الثاني

تأليف

أ.د. محمود عبد الهادي العزاوي

الأستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ⓒدار المأثور للنشر و التوزيع ، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العزواي ، محمود عبدالهادي
إنه الله جل جلاله. / محمود عبدالهادي العزواي - ط١. .- الرياض ، ١٤٤٢هـ

٢مج.

ردمك: ٧-٢١-٨٣٢٨-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ١-٢٣-٨٣٢٨-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

١- الاسماء و الصفات أ.العنوان

ديوي ٢٤١ ١٤٤٢/٨٩٥٩

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٨٩٥٩
ردمك: ٧-٢١-٨٣٢٨-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ١-٢٣-٨٣٢٨-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

(ملاحظة): لا يتم طباعة الجزء الأسفل مع بطاقة الفهرسة

تأمل مكتبة الملك فهد الوطنية تطبيق ما ورد في نظام الإيداع بشكل معياري موحد ، و من هنا يتطلب تصوير الجزء الاعلى بالأبعاد المقننة نفسها خلف صفحة العنوان الداخلية للكتاب ، كما يجب طباعة الرقم الدولي المعياري ردمك مره أخرى على الجزء السفلي الأيسر من الغلاف الخلفي الخارجي .
و ضرورة إيداع نسختين من العمل في مكتبة الملك فهد الوطنية فور الانتهاء من طباعته، بالإضافة إلى إيداع نسخة الكترونية من العمل مخزنة على قرص مدمج (CD) وشكرا ،،،

بسم الله الرحمن الرحيم

إنه اللّه جل جلاله

الرَّازِق

يرزق سبحانه وتعالى جميع خلقه،

وقد ر أرزاقهم قبل خلقهم،

وتكفل سبحانه وحده بأرزاق العباد،

ولم يوكل الرزق لأحد من خلقه ليعطي من يشاء ويمنع من يشاء،

بل هذا الأمر انفرد به اللّه وحده.

الرَّزَّاق

كثير الرزق لخلقه، يرزقهم قبل أن يسألوه،

بل ويرزقهم حتى مع معصيتهم له.

الرفيق

كثير الرفق في أفعاله

فهو سبحانه يتأنى ويتدرج في خلقه وأمره، ويعامل عباده بالرفق واللين فلا يكلفهم ما لا يطيقون.

ويحب الرفيق بعباده.

الفتاح

الذي يفتح من خزائن ملكه ورحمته ورزقه ما يشاء على ما اقتضته حكمته وعلمه.



۞ أنواع الرزق ۞

الرزق أنواع فانتبه

يتجلى اسم الله الرزاق في وقائع مشاهدة، ربما تشاهدها كثيرًا وأنت لم تعرها انتباهًا.

من رزقك بوظيفة، أو بعمل؟

من رزقك بزوجة أتت بك الأقدار لتتعرف على أهلها لتقوم بخطبتها؟

من رزقك بدواء يسير من طبيب مغمور فكان سببًا لشفائك بعد أن ذهبت لكثير من الأطباء، وقد يئسوا من حالتك، وأمروك بكتابة وصيتك، والاستعداد للرحيل من الدنيا؟

من رزقك بذرية وأحفاد بعد طول انتظار وبحث وعناء؟

من رزقك بصحة وعافية بعد أن كنت هيكلًا عظميًا؟

كيف كانت الظروف القاسية التي عاشتها أسرتك سببًا في الرزق والرغد في العيش بعد أن اجتهدت في

التعلم ففقت أقرانك، ووصلت إلى وظيفة اجتماعية مرموقة؟

كيف كان الابتلاء الذي أصابك أو أحد أبنائك سببًا في أفضل رزق ألا وهو تعلم القرآن أو تعلم العلم، فكان من أسباب رفعتك في الدارين؟

وغير ذلك الكثير من أنواع الرزق، لكن سأتناول فقط جانبًا واحدًا من جوانب الرزق، وهو الرزق الذي إذا أطلق عرفه الناس، وهو الكسب والعمل والمال.

لمن كان له قلب

فأعرني قلبك لتشاهد آثار اسم الله الرزاق في حياة عباده، مما يجعلك مطمئن النفس هادئ الطبع، لا يدفعك استبطاء رزقك أن تطلبه من حرام.

فقد كتب رزقك وأنت في بطن أمك وهو مقدر لك، ففي الحديث: «**ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ، فَيَأْمُرُ بِكَتبِ أَرْبَع**

كَلِمَاتٍ: رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ»[(١)].

ولتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ويوقن قلبك بقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

تشاهده يوميًا

بعضنا كل يوم يخرج في الصباح للبحث عن العمل، والرزاق كل يوم يرزقه من حيث لا يحتسب.

وإذا تأملت أمر الرزق تجد عجبًا في أمره.

أذكر كم مرة ضللت الطريق من أجل أن أدخل مكانًا

(١) أخرجه: البخاري رقم (٣٢٠٨)، ومسلم رقم (٢٦٤٣).

أشتري منه بعض الأغراض، أو أجد من يبيع على حافات الطريق فأشتري منه وأعود مرة أخرى للبحث عن الطريق الذي ضللته.

ॐ عطل في منزلك ॐ

كم مرة وأنت جالس بدون مقدمات تجد عطلًا في سيارتك أو في الكهرباء أو السباكة فتحضر من يصلحها؟

أذكر قبل عدة أيام وأنا أكتب في هذا الكتاب إذا بالصغير يناديني انظر أبي هناك حرق في أسلاك الموتور، فأتعجب من ذلك، وأغلق مفتاح الكهرباء الموصل إليه، ثم أقوم بالاتصال على الكهربائي فيحضر ويقوم بتصليحها، فيسألني أهلي ما الذي حدث؟ بدون مقدمات حدث هذا؟

قلت لهم: إن لهذا الرجل رزق، فتعطل هذا الموتور من أجل أن يأتي ليصلحه ويأخذ رزقه الذي كتبه له الرزاق.

وتعطلت السيارة

أذهب ذات مرة إلى مكة بالسيارة أنا وأسرتي، وبعد وصولي إذا بإحدى إطارات السيارة قد قل الهواء فيها، فذهبت لإصلاحه، فأخبرني من يصلحه ضرورة أن أغير إطارات السيارة الأربعة، هذا أفضل لأن فيها تنسيم، وربما هذا يكون من أسباب وجود بعض المشاكل في الطريق وأنت راجع إلى مدينتك.

وهنا قررت أن أغير إطارات السيارة الأربعة لأني سأرجع قرابة الألف كيلومتر، وخفت أن يحدث شيء مثل الذي حدث مرة ثانية فأتعطل.

من الذي جاء بي من منطقة أخرى أكثر من تسعمائة كيلومتر وجعل هواء الإطارات يقل؟ إنه الرزاق، لأن صاحب هذه الورشة التي أبعد عنها ألف كيلومتر له رزق مكتوب سيأخذه مني كتبه له الرزاق.

ॐ فيروس كورونا ॐ

أُنهيت عقود بعض الموظفين في بعض المؤسسات الحكومية وتجهزوا للرحيل وأعدوا العدة، وفجأة وبدون سابق إنذار ينتشر فيروس كورونا فتجددت عقودهم للحاجة إليهم. إنه الرزق الذي تكفل الله به وضمنه لعباده.

ॐ رزقك مكتوب فلا تقلق ॐ

رزقك ستأخذه وإن اجتمع أهل الأرض على منعك منه فلا تقترف حرامًا وتغضب ربك لتهديد ووعيد من مسؤول.

فالأرزاق بيد الله فابتعد عن أكل الحرام، ولا تخف من مديرك إن هددك إن لم تطعه في الباطل وإلا فصلك، أو وشى بك.

واعلم أنه ضعيف لأنه خالف الشرع، وخالف النظام.

وأنت على العكس من ذلك لا تخاف من شيء فأنت لم تخالف شرعًا، ولم تخالف نظامًا، ولست مهددًا في أي وقت بإظهار ما أخفاه هو، والواقع الآن شاهد على ذلك.

ॐ جمع فأوعى والنهاية ॐ

كم من مسؤول طغى وجمع ملايين بل بعضهم جمع مليارات وفي النهاية فضيحة له ولأهل بيته وعشيرته، وعقوبة دنيوية، خلاف ما ينتظره إن لم يتب عليه التواب.

فما أقبح أن يكون آكل الحرام منبوذًا بعد الفضيحة بين الناس، بل يصير معرة يتبرأ منه كل أهله وأصحابه؟!

ॐ إنها الخيانة ॐ

هذا مدير يعمل في مؤسسة طبية آثر الحياة الدنيا على الآخرة، وخان أمانته الموكلة إليه، فجمع مالًا كثيرًا من الحرام، وتعاون معه بعض الأطباء في تنفيذ مخططاته

الشيطانية، وامتنع بعضهم عن التعاون معه في هذا الفساد المالي، لأن هذا تعاون منهي عنه شرعًا لأنه من التعاون على الإثم والعدوان.

ॐ قرر فمنعه القادر ॐ

وهنا يقرر هذا المدير أن ينهي عقود اثنين رأى أنهم خطرٌ عليه، وبالفعل كتب خطاب إنهاء عقودهم، وكان بجواره في هذه اللحظة أحد من يتعاون معه في هذا الفساد فقد اشتركا معا كثيرا في الاعتداء على المال العام، وقاما بتسوية الأوراق التي تدين الفاسدين أمام الهيئات الرقابية.

وبالفعل يجلس ويستشير هذا الرجل الفاسد مثله، ويسأله: هذا نجدد له عقده أم لا؟

فإن قال: نعم كتب خطاب التجديد، وإن قال: لا. كتب خطاب الاستبعاد من العمل في تلك المؤسسة، في جلسة كانت كلها استخفاف وسخرية من الآخرين.

۞ يمهل ولا يُهمل ۞

وسبحان من بيده الأمر، من يمهل ولا يهمل، إذا أخذ الظالم أخذه أخذ عزيز مقتدر.

يقول السكرتير: وبعد أن انتهى هذا المدير من كتابة الخطابات كاملة وقبل أن يوقعها، وفي آخر ساعة من الدوام، إذا باتصال يأتيه من أحد المسؤولين ويدور حوار بينهما، فاصفر وجهه، وشحب لونه، وعقد جبينه، واغرورقت عيناه.

وعلمت فيما بعد أنه انكشف أمره، وفضح الله فساده، وأن المسؤول قد طلب منه أن يترك مكتبه وأن يقدم استقالته.

وبالفعل يقدم استقالته من عمله، ويستبعد هو ومن يعاونه من المفسدين.

يقول السكرتير: ثم دخلت المكتب ووجدت الخطابات التي كتبها ولم تكن قد وُقعت، وكان قد أنهى عقود شرفاء لم تتلطخ أيديهم ولا جيوبهم بمال حرام

ولم يساعدوا هذا الفاسد المفسد المبدد للمال العام، السارق له، فأقوم بوضع تلك الخطابات في فرامة الأوراق، وأترك الأمر للمدير الجديد الذي سيتولى بعده؛ ليقرر الصواب والأفضل فيمن يجدد له العقد ومن لا يجدد له.

ثم علمت بأن هؤلاء الشرفاء بقوا في عملهم بعد هذه الحادثة أكثر من عشرة سنوات، ومن تعاونوا معه في الفساد أنهيت عقودهم في نفس العام.

﴿ ينصر المظلومين ﴾

فسبحان من يظهر الحق، وينصر المظلوم، ويتكفل بأرزاق عباده، ويقيض لك بعض البشر الذين ربما لا يخطرون على بالك ليقوموا بفعل ما فيه مصلحتك وأنت لا تشعر بذلك.

فكن وليًا لله، وابتعد عن فعل ما نهى عنه يكن الله معك في كل وقت وحين، يوفقك وينصرك، ويدافع عنك.

واحذر من معاداة أولياء الرحمن، فمن عادى أولياءه عاداه الله، ومن عاداه الله خسر الدارين، وفي الحديث: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ»[(١)].

قرر إبعادهم فاستُبعد

يقرر استبعاد مجموعة من العمل فيستبعد هو من منصبه

أتتعجب من ذلك؟ قصة حقيقية وقفت على أحداثها.

يأخذ صاحب منصب قرارًا باستبعاد عدد كبير من الأساتذة من أعمالهم، فيعفى هو من منصبه قبل أن يطبق هذ القرار.

فهذا مدير في إحدى الجامعات يقرر أن ينهي عقد مجموعة كبيرة من المتخصصين المتعاقدين في مجالات متعددة، يرى أن المصلحة تقتضي ذلك، فيأخذ قراره،

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٦٥٠٢).

ويخبر عمداء الكليات بما قد تم تجاه هذه المجموعة، ويراجعه بعضهم في القرار لما يراه أنه جانب الصواب، إلا أنه يُصر على قراره وأنه لا نقاش فيه، ولا مناص منه، أو رجوع عنه، فقد قُضي الأمر.

وقبل انتهاء العام الدراسي بشهرين يُعفى هذا المدير، ويُعين مدير آخر فينظر في المصلحة ويكون أول قرار له بعد استشارة مستشاريه والعمداء أن يجدد عقود هؤلاء لخبرتهم، ولتفاني الكثير منهم في العمل، ولعدم وجود البديل حاليًا، إلى آخر ذلك من المبررات.

فسبحان الرزاق، من يقول للشيء كن فيكون.

القرار الفصل

يأخذ القرار ويصل إلى المعنيين من المختصين ويتهيأ كل منهم لترك العمل، وإذا للرزاق أمر آخر ببقاء رزق هؤلاء في هذا المكان، فيبقون حتى وإن قرر بعض البشر استبعادهم، لأن القرار النهائي هو لمن بيده الرزق فقد كتب لهم ذلك وهم في بطون أمهاتهم.

۞ لا تجامل أحدًا في مخالفة الشرع ۞

أبَعدَما سمعت هذه القصص تداهن أحدًا في فعل مخالفة شرعية من أجل خوفك أن يضرك أو يفصلك من عملك؟!

فكن مع الله ولا تبالي، ولا تخف من أحد أيًا كان منصبه، فاطمئن فالأرزاق كفلها الرزاق.

۞ فرجٌ برقم ۞

شدة وفرجها رقم جوال ما القصة؟

يدخل ذات يوم على زميله في مكتبه، فيرى كتابًا لفت انتباهه جملة كتبها مؤلفه في أعلى الكتاب وهي «**فريد من نوعه في هذا المجال**» أو نحو ذلك، وهنا يأخذ يتصفح الكتاب متعجبًا من هذا العنوان، لأن هذا الموضوع قد كُتب فيه كثيرا.

وهو يتصفح الكتاب إذا في نهاية الكتاب اسم الدار التي صفت الكتاب وأرقام التواصل معها، ويأخذ رقم الجوال ويتواصل مع المسؤول عنها، ويتواعدان

بالمقابلة، ويتقابلان، وبعد المقابلة يتفقان على طباعة بعض الكتب.

وبعد مدة قصيرة إذا بهما يتفقان على التعاون في عمل بعض الموسوعات العلمية، ويمول صاحبنا - الذي أخذ جوال الدار من على الكتاب - الموسوعات بعد أن علم أن الدار لا تستطيع تمويل هذه الموسوعات.

وعلم فيما بعد أن مسؤول الدار وصاحبها منذ فترة قد أغلقوا جوالاتهم، وأن الوضع المادي صعب على الدار بعد أن مرت بهم عدة أزمات مالية متتالية، وكانت هذه المعرفة من أسباب استمرار الدار في تأدية مهمتها، والإبقاء على موظفيها.

وتتعجب إن علمت أن صاحب الكتاب الذي صفته الدار قد عرف هذه الدار قدرًا، وبعد أن اتفقا على طباعة الكتاب، اعتذر مؤلفه وأخبرهم بأن هناك جهة معينة ستقوم بطباعته لأسباب ذكرها لهم، ويطلب منهم أن

يعطيهم أجر صف الكتاب، فيرفض مندوب الدار أخذ شيء من المال مقابل الصف.

والعجيب في القصة كيف كانت طريقة التعارف، وبسبب ماذا؟

وكيف كان اللقاء؟ وكيف صار التعاون؟

إنه الرزاق يهيئ الأسباب والمسببات.

تأمل يأتي الرزق من حيث لا يحتسب صاحبه.

فكن على ثقة بأن رزقك لن يأخذه غيرك، وسيأتيك من حيث تحتسب أو من حيث لا تحتسب.

࿀ تتشابه القصص ࿀

وقصة أخرى أشبه بسابقتها.

استأجَرَ شقة في مكة وجاء من مدينته ليسكن فيها هو وأسرته مدة الإجازة الصيفية، وفي هذه الفترة يتعرف على رجل كبير في العمر في المسجد الذي كانا يصليان فيه معًا، فقد تعارفا وتحاورا بسبب بقائهما سويًا يوميًا

بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس، ولم يكن في المسجد غيرهما أغلب الأوقات، وفي أثناء الحوار أخبره أن له ولدًا يدرس في إحدى الدول العربية وقد تزوج منها ومقيم هناك، وهي بلد أخواله.

ॐ زيارة خاطفة ॐ

وبعد شهر تقريبًا يأتي ابن هذا الرجل زيارة خاطفة لأبيه، وبالقدر يُعَرِفه والده على هذا الرجل الذي استأجر وسكن في الحي، ثم يتحدثان أمام المسجد ويدور حوار بينهما، ويخبره بأن أحد شركائه يعمل في مجال العقارات وهو قد دخل في مشروع ويحتاج إلى شريك رابع حيث إن المشروع كبير لا يستطيع هو وشركاؤه الدخول فيه وحدهم، ثم يكلم شريكه، ويدخل معهم صديق والده في المشروع، وكان هذا الرجل قد ضاقت الأرض به ذرعًا ويبحث عن شريك وإلا لن يستطيع أن يأخذ المشروع أو يكمله، وأخذ يبحث هنا وهناك، إلى أن جاء هذا القدر وهذا التعارف الذي كان سببًا من

أسباب إتمام المشروع، وسبحان مقدر الأقدار، ورازق العباد من حيث لم يحتسبوا، ثم تتطور العلاقة والتعاون بينهما بعد ذلك في أكثر من مشروع.

۞ تعجب يُدهش ۞

ألم تتعجب معي فتقول: سبحان الله، من الذي ساق هذا ليستأجر في هذا المكان، وهذا في مكان وهذا في مكان.

كيف كان التعارف بينهما وأين؟

ثم كيف كان اللقاء الأول بين الابن وصديق والده؟

الشركاء لا يعرفون هذا الرجل، هو يعيش في وطن وهم يعيشون في وطن آخر، بينهما قرابة ألفي كيلو، لم يعرفوا بعض من قبل.

من الذي ساق هذا؟ ولولا وجوده ما تم المشروع، لقد كان وجوده سببًا في رزق الجميع.

ألم تقل بقلبك وتردد بلسانك، سبحان ربي العظيم،

سبحان ربي الرزاق، سبحان ربي الحكيم، سبحان ربي القادر والقدير.

وصدق الله حين قال: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

يعرفه قديمًا

صداقة مفاجئة

يعرفه منذ زمن طويل، ثم يلتقيان ويصير بينهما نوعٌ من الصداقة تتوطد، وكان كلاهما يدرس في نهاية مرحلة الدكتوراة كل في قسم مختلف، ثم يُحدث أحدهما الآخر عن الطموحات التي يطمح إليها بعد الحصول على الدكتوراة، وهو السفر للخارج، ويبادره الآخر بأنه لا يفكر في هذا الأمر ولا يطمح فيه، فيرغبه ويبين له منافعه، وهذه فرصة لا ينبغي أن يتركها، وهنا يتحمس الصديق الذي لم يشغله ما انشغل به صاحبه بل لم يكن يفكر في هذا الأمر ولم يطرأ على باله.

۞ يتمناها فتتحقق لصديقه ۞

وتتحقق أمنيته التي كان يتمناها صديقه لنفسه، وبالفعل ينتهي من مناقشة رسالة الدكتوراة، ويحصل على الدرجة العلمية، ويسأل عن طريقة العمل في الجامعات خارج البلاد، ويقدم في الملحقية الثقافية لإحدى دول الخليج، وبعد ثلاثة أشهر من حصوله على الدكتوراة يحصل على فرصة عمل في جامعة مرموقة، ويعمل فيها أكثر من عشرة أعوام، وتكون من أسباب تفرغه للبحث العلمي، وتحسن وضعه المادي، ومكانته العلمية بين أهل العلم.

أما الصديق الذي رغبه في الفكرة والذي كان يطمح في السفر طلبًا للرزق، وكانت هذه أمنية حياته، فلم يُيَسر له السفر ولا العمل خارج البلاد بل ظل كما هو، سبحانك ربنا الرزاق.

ألا تتعجب معي مما سمعت من قصة الصديقين؟

سبحان الرزاق، يهيئ الأسباب، ويرزق من يشاء بغير

سابق موعد أو ربما حتى بلا استعداد.

۞ رزق في صلاة ۞

صلاة سبب لرزق ساقه الله إليه.

وهذا مسجد من المساجد كان يعمل فيه إمام تابع لوزارة الشؤون الإسلامية ولسبب من الأسباب ترك الإمام المسجد، وظلت جماعة المسجد تبحث عن إمام، وكلما جاء إمام لم يحدث توافق لسبب أو لآخر، وظل الأمر على ذلك قرابة السنة.

وفي يوم من الأيام تقدم شاب للصلاة بالناس، وكان يصلي بهم أحيانًا عند تغيب الإمام، وحتى بعد ترك الإمام للمسجد، وتحديدًا كان ذلك في صلاة الفجر وإذا بأحد المصلين من جماعة المسجد يقذف الله حلاوة قراءة الإمام في قلبه، فيستشعر عذوبة الصوت وحلاوة التلاوة، مع ضبطه الحاذق لأحكام التجويد، ويعيش في جو آخر من الخشوع، ثم يسلم الإمام وينصرف.

يلبي بعد رفض

وفي صلاة الظهر يأتي هذا الشاب للصلاة فيكلمه ذلك الرجل أن يكون إمامًا للمسجد، فيعتذر ويذكر مبررات دفعته لعدم قبول الإمامة، ويظل معه حتى أقنعه أن يكون إمامًا لهذا المسجد، حيث بين له المنافع الدينية والدنيوية التي تعود عليه من قبوله هذا العمل.

وبالفعل يقبل الإمام هذا العمل، ويعود عليه بدخل شهري، كان رزقًا ساقه الله له دون تخطيط منه أو سعي للحصول عليه.

هذا الشاب يصلي في هذا المسجد منذ زمن، وقد كلمه قبل هذا الذي أقنعه أكثر من شخص ليعمل إمامًا في هذا المسجد إلا أنه كان يرفض لأسباب وقناعات داخله فقد كان يرى أن الأفضل له ألا يعمل حاليًا في هذه الوظيفة، على الرغم من حاجته للعمل والوظيفة.

۞ إنه الرَّزاق ۞

سبحان الرزاق الذي قذف حلاوة تلاوته في قلب من أقنعه، ثم أقتنع هو بكلامه، وعمل في هذه الوظيفة ليرزق بعمل يعود عليه بدخل دنيوي ينتفع به في حياته، وإن شاء الله يكون رزقًا أخرويا يعود عليه بالنفع في الدار الآخرة.

۞ الدراسة والتعثر ۞

يتعثر في دراسته ويقرر.

وهذا شاب يدرس في إحدى الكليات ويتعثر في دراسته، ويقرر أن يترك الدراسة ويعمل في المجال الذي برع فيه وهو التجارة، ويأخذ القرار، وفجأة إذا بزميل له يقص عليه قصة رآها، فيخبره بأنه رأى كأنه هو وذلك الصديق يسيران في طريق، ثم وصلا إلى نفس الكلية، ثم صعد المتعثر في دراسته على سلالم الكلية وترك صاحبه أسفل، وصعد هو إلى أعلى الكلية حتى وصل إلى سطح الكلية من أعلى وصديقه الذي يقص عليه الرؤيا ما زال في مكانه.

ॐ يحصل على أعلى الدرجات ॐ

فتغير الرؤيا تفكير هذا الشاب، ويكمل دراسته ويتفوق، ويحصل على الدكتوراه ثم يصل إلى أعلى الدرجات العلمية في مجال تخصصه بعد أن قرر أن يترك إكمال دراسته، ويبرع في مجال عمله، فيعود عليه برزق يكون سببًا في تغيير وضعه المادي له ولأسرته، بل ومساعدة المحتاجين من أهله.

فسبحانك ربنا تسبب الأسباب، وترزق من تشاء بغير حساب.

ॐ فلتطمئن وإياك ॐ

رزقك سيأتيك من حيث لا تدري فلتطمئن نفسك وليسكن قلبك، ولتغض طرفك عن التطلع لمن حولك، ولتمنع يدك أن تمتد إلى كسب حرام، فشغفك بالمال لن يزيد في رزقك، وحرصك لن يكثر مالك، والرزق ليس بذكاء المرء ولا بحرصه عليه.

فكم من ذكي ومع ذلك يعيش في فقر مدقع؟!

وكم ممن هم أقل منك ذكاء أصبحوا أكثر مالًا؟!

فاحرص على الكسب الحلال ولا تمتد يدك لمال حرام، وخذ بالأسباب، واترك النتائج على مسببها، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأسعدهم.

ॐ خسر ماله ॐ

ترك آخر مبلغًا معه لأولاده وفجأة.

رجل أعمال يخسر في إحدى السنوات خمسين في المائة من أمواله التي يتاجر فيها، وفي العام الذي يليه يدخل في صفقة فيخسر ثلاثة ملايين ونصف تقريبًا، ويخرج مدينًا، والمشكلة أن في تجاراته التي يعمل فيها أموالًا لبعض المساهمين، وكانت الطامة أنه باع هذه الصفقة الكبيرة بهذا المبلغ الكبير لشخص واحد كان أول مرة يتعامل معه، فأخذ هذه البضاعة وباعها بأقل من ثمنها، وخسر جميع ماله هو الآخر.

ॐ دعاء يجبرك ॐ

لكنه قال ما يقال عند المصيبة، دعا بدعاء علمنا إياه رسولنا الكريم، وهو يقال عند وقوع المصيبة.. ألا وهو قول: اللهم أجرنا في مصيبتنا وأخلفنا خيرًا منها.

وهذا الدعاء ما هو إلا استسلام لله الذي يستحق الحمد في السراء والضراء، فله في كل شيء حكمة، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

وهذه المقولة من قالها عند وقع المصيبة وهو محسن الظن بربه، راض بقضائه، متوكل على خالقه؛ عوضه الله خيرًا مما أخذ منه.

فأم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا تفقد زوجها ثم تقول هذا الدعاء فأبدلها الله خيرًا من أبي سلمة، وهو رسول الله ﷺ، وغيرها الكثير والكثير.

يفقد زوجته وبعض أبنائه في حادث، فتكون المصيبة كبيرة، إلا أنه يتذكر فيقول هذا الدعاء، ويعلم ما أعده

الله للصابرين الراضين، فيحمد ربه ويرضى بقضائه فيعوضه خيرًا مما أخذ منه، يبدله بزوجة وعشرة من الأبناء كلهم يحفظون القرآن، وكلهم من أهل التدين والورع.

فسبحان من يعوض الصابرين، الراضين بقضائه، الصابرين في الضراء والشدة والعسر، المفوضين أمرهم لربهم، المحسنين الظن به، الذين لا يسخطون على مصيبة وقعت، ولا يقولون هجرًا من القول، ولا يشقون ثوبًا، ولا يلطمون خدًا، بل قلوبهم راضية، وألسنتهم شاكرة، وجوارحهم طائعة.

الرجوع لأهل العلم

وهنا يسأل رجل الأعمال المشايخ عن أحداث الصفقة التي تمت من قبله ومبرراته، فيخبرونه بأنه لا يتحمل الخسارة في حالة إذا لم يكن مفرطًا، وهو في هذه الحالة قد فرط، كيف يعطي هذه البضاعة والتي تقدر بهذا المبلغ الكبير لشخص لم يعرفه أو يتعامل معه من

قبل ولم يأخذ الضمانات اللازمة؟ أو يرجع للمساهمين في مثل هذه الحالة فيستشيرهم حتى لا يكون هو ضامنًا لهذه الصفقة وحده.

۞ التراضي والتسامح ۞

ثم يحاول أن يتراضى مع المساهمين على أن يعطيهم نصف أموالهم، ويسامحونه في المبلغ، ويرضى أغلبهم، والبعض الآخر رضي على استحياء أو على مضض، ويعدهم بإعطائهم أصل ما دفعه كل منهم إذا تحسن حاله.

۞ صدق اللّه فصدقه اللّه ۞

ثم تمر به الأيام، يقول: وآخر مبلغ معي أعطيته لأولادي وخرجت أطلب رزقي، ونويت بيني وبين خالقي أنني إن عوضني ربي عما أخذ مني لن أحمل أحدًا من المساهمين الخسارة حتى وإن كان قد تم التراضي على أن يتحملوا نصف الخسارة، يقول:

وعاهدت الله على ذلك.

وفجأة وبدون مقدمات يرجع إلى عمله وإذا باتصال يأتيه من صديق له يعرفه ويطلب منه أن يدخل معهم في صفقة مقابل أن يأخذ ثلث الأرباح من الصفقة، فهم يحتاجونه معهم لخبرته العالية في هذا المجال، ولن يدير هذه الصفقة شخص أفضل منه.

فسبحان الرزاق ليس معه الآن مالٌ حتى يشاركهم في هذه الصفقة، فيحتاجون إليه بخبرته فقط، وهم يتحملون رأس مال الصفقة، وكانت الصفقة بأكثر من ثلاثين مليونًا، وبالفعل يدخل معهم في الصفقة، وبعد بيعها يكون صافي ربحها ثلاثة ملايين ونصف في أقل من شهر، ألم أقل لك إنه الرزاق، فيدخل له فوق المليون في أقل من شهر، ثم تتوالى الصفقات، ويأخذ أرباحه منها.

مجاهدة وانتصار

وهنا تأتي مجاهدة النفس وتزيين الشيطان، هناك عهد عاهد به ربه أن يسدد المساهمين الذين خسروا

نصف أموالهم، وبعد مجاهدة شديدة ينتصر على نفسه ويقوم بتسديد أكثر من ثلاثة ملايين من هذه الأرباح على فترات، وهل انتهى الأمر عند هذا الحد؟ لا.

ॐ وتأتي العطايا تتدفق ॐ

في هذه الفترة والتي عمل في الصفقات بخبرته دون أن يدفع شيئًا من المال، إذا بأصهار له يعملون في شركة تعمل في مجال الانترنت، وقد ماطلهم صاحب العمل في أخذ مستحقاتهم، وهم كانوا يعرفون خبايا العمل، ومداخله ومخارجه من جميع النواحي، ولم يكن ينقصهم إلا المال، وهنا يعرضون عليه أن يؤسس شركة وهم سيديرونها له وفيها من الأرباح الشيء الكثير.

ॐ استخارة قبل القرار الفصل ॐ

وهنا بدأ يفكر في الموضوع، ويستخير ربه، والاستخارة من السنن التي هجرها بعض المسلمين، وهي سنة يستحب القيام بها إذا هممت على فعل أمر،

فتلجأ إلى ربك أن يختار لك ما فيه الخير والصلاح والرشاد، وأنت في هذه الاستخارة تُوكل الأمر لصاحب الأمر الذي يعلم ما في الأمور من خير أو شر، فهو سبحانه يعلم خير الأعمال وشرها، ومنافعها ومضارها، ويعلم الغيب وما خفي.

وإذا فعلت ذلك تكون قد سلمت الأمر وفوضته له سبحانه وتعالى، وهو لن يختار لك إلا ما فيه الخير لك، فإن تيسر الأمر الذي استخرته فيه وانشرح صدرك فأقدم وتوكل على الله واعلم أن الخير فيه، وإن انقبض صدرك وتعسرت الأمور فأحجم ولا يكون في خاطرك شيء، واعلم أن الخير فيما اختاره الله لك، وضع نصب عينيك: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

كنت شاهدها

أذكر أنه اتصل بي أحد الزملاء لأدخل معه في مشروع من المشاريع، وبين مزاياه وفوائده، والمبلغ

الذي يحتاجه في هذا المشروع، وبالفعل أذهب وأستشير الأهل، ويُسرون سرورًا كبيرًا من المشروع، وكان المبلغ الذي يحتاجه متوفرًا معنا في هذا الوقت ونحن لسنا في حاجة إليه.

لكن اتفقنا أن نستخير قبل أن نقدم على هذا المشروع، وبالفعل نستخير، وإذا بزوجتي تجد انقباضًا في صدرها تجاه هذا المشروع، فتعجبت من شعورها، وذكرتها بتحمسها الذي كان قبل صلاة الاستخارة، وبينت لها أيضًا بعض المنافع، وخبرة الرجل الكبيرة في هذا المجال، وكذلك أمانته وحسن أخلاقه، إلا أنها أصرت على قرارها من عدم المشاركة بسبب انقباض صدرها تجاه هذا المشروع، وكذلك الضيق الشديد الذي تشعر به.

الخيرة فيما اختاره لك

وسبحان الحكيم المدبر للأمور، الذي يختار الخيرة لمن استخاره وفوض له الأمر كله، بعد أقل من شهر

واحد تأتي أزمة كورونا، ويتوقف العمل في هذا المجال بالكلية، ويخسر كل من دخل في هذا المجال كل أمواله، فلو دخلنا معه في الشراكة لخسرنا جميع المبلغ وما تبقى لنا شيء منه.

إنه الحكيم الخبير، المدبر، سبحانك ربنا ما قدرناك حق قدرك، ولا عبدناك حق عبادتك، كثير منا يسخط أن منع الله عنه أمرًا هو يحبه، أو نزل به ابتلاء، فيتكدر خاطره ويتضايق، ولا يعلم أن هذا هو الخير له ما دام أن الله هو الذي اختاره لعبده المسلم، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وفي المجلس

بل الأعجب من القصة سالفة الذكر أنني أجلس مع زملاء لي في العمل ذات مرة، وفي موقف عجيب غريب يتلفظ أحد الزملاء بكلام يستفزني ويخطئ بحقي مع أنني ليس بيني وبينه شيء أو مواقف سابقة، بل كانت

العلاقة على أفضل ما يكون، فضاق صدري واستأذنت أن أخرج من المجلس إلا أن الرئيس رفض واعتذر لي وأخذ يهدئ من غضبي.

ثم طُلب مني أن أكتب شكوى في الزميل وأقدمها لأنه اعتدى علي أثناء العمل وتلفظ علي، فرفضت وقلت: أنا لا أحب أن أكون سببًا في أذية أحد أو ترويع أحد، وهو صديق عزيز حتى وإن نزغ الشيطان بيني وبينه.

ومرت الأيام وعلمت فيما بعد أنه قد جاء تقييم من قبل الجهات العليا للجهة التي أعمل فيها، وقد ظن المسؤولون أن هذا جاء بناء على شكوى تقدم بها هذا الزميل الذي صار بيني وبينه موقف سابق.

وهذا دفعهم إلى كتابة تقرير عني لا يكتب إلا في العلماء الأجلاء والمشايخ الفضلاء وأنا طبعًا دون ذلك، وهم يعتقدون أنه لابد من الوقوف بجواري ضد هذا الزميل حتى لا ينتصر علي.

ॐ ولو لم يحدث لكان ॐ

وسبحان الله ربما لو لم يحدث هذا الموقف لكان لهم في رأي آخر، فربما لما كتبوا هذا التقرير بهذا الشكل، والسبب أن في هذه الفترة لم تكن العلاقة بيني وبين المسؤولين على ما يُرام بسبب اختلاف في وجهات النظر في موضوع معين.

فالعلم عند الله لم يفعلوا ذلك إلا وقوفًا في وجه هذا الزميل، وقالها لي أحدهم صراحة: إننا لابد أن نقف في ظهرك، وأن هذا قد قام بشكواك لظنه أنك معنا وفي صفنا، ونحن لن نتركك أبدًا.

ونصرتهم لي والعلم عند الله بسبب أن بينهم وبين هذا الزميل بعض المناوشات والقضايا.

ॐ ظن سيء ॐ

والذي ظهر لي بعدها أن هذا الزميل لم يقدم شكوى أو يفعل شيئًا، وكل ما ذكروه عارٍ من الصحة تمامًا، لأن هذا التقييم أرسل لجميع الجهات الأخرى المماثلة

لجهة عملي التي أعمل فيها.

وبعدها تعجبت مما حدث وقلت: سبحان ربنا الحكيم، سبحان ربنا المدبر، سَخَّرَ هذا الزميل ليحدث معي هذا الموقف لتكون نتيجة التقرير الذي قدمه المسؤولون على هذا النحو الذي رُفِع للجهات العليا، وربما لو لم يحدث مثل هذا الموقف لكان لكتابة التقرير شكل آخر بسبب اختلاف وجهات النظر بيني وبينهم.

إنه الحكيم المدبر

ألم أقل لك إنك تتعامل مع رب حكيم، مدبر الأمور، ففوض أمرك لمولاك، وردد دائمًا:

«**اللهم اختر لي فإني لا أحسن الاختيار، ودبر لي فإني لا أحسن التدبير**».

﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤].

﴿ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ

ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩].

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة:٥٩]

وارض عن الله في كل ما قضاه وقدره، واعلم أن اختيار الله لك أفضل من اختيارك لنفسك، فاختياره قائم على علمه الأزلي بما فيه المنفعة والمضرة.

فهو أعلم بما يُصلحك وما فيه الخير والسعادة لك فارض عنه يرضيك، وتذكر دائمًا قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

صب الخير صبًا

ونرجع إلى قصة صاحبنا رجل الأعمال.

فبعد الاستخارة وسؤال أهل الخبرة في هذا المجال، قرر أن يدخل هذا الميدان، ويؤسس شركة ويعمل معه أكثر من مائة عامل، ويشاء الله أن يبدأ في ممارسة نشاطه

في أرض الواقع قبل فيروس كورونا بقليل، ولما كان مجال عمله في الانترنت، وكانت هذه الفترة الذهبية لهذا المجال، حيث اشتدت حاجة الناس للإنترنت، حيث كانت أغلب الوزارات والهيئات والمؤسسات والشركات تقوم بعملها من خلاله، وكذلك تتعاقد الشركة التي يملكها في مشاريع عملاقة، ويأتيه الرزق رغدًا، ويصب عليه الرزاق من واسع فضله.

ॐ الرزاق يعطي فيدهش ॐ

وسبحان من إذا أعطى أدهش.

وسبحان من يعوض الصابرين خيرًا، ويبدلهم خيرًا مما أخذ منهم.

وسبحان من إذا صدق العبد معه صدقه ربه.

وسبحان الكريم الذي يكرم من يكرم عباده، ويعطي من يعطي عباده، ويسعد من يسعد عباده، ويغدق على من أنفق في وجوه الخير.

ماذا تنتظر؟!

انو الخير وافعل الخير ولن تجد إلا الخير، واعلم أنك تتعامل مع الكريم الجواد.

فاقد البصر صاحب البصيرة

شيخ لنا تعلمنا على يديه كتاب الله، وكان قد ولد فاقد البصر، وبعد أن نشأ وترعرع إذا بوالدته تدفع به إلى شيخ ليعلمه القرآن الكريم، ويعتني به شيخه أشد الاعتناء، ويحرص على تعليمه، وقد أغلظ عليه في بعض المرات فأتت والدته تشتكي صنعه مع ولدها، فأخبرها بأن غير ولدها إن لم يبرع في هذا المجال لكان عنده عدة خيارات يعمل فيها إذا صار شابًا.

أما ولدها فهذا أفضل مصدر لدخله إذا كبر، وهو يُعِدُه لأن يكون هذا مصدر رزقه الذي يجمع له خيري الدنيا والآخرة، وبالفعل يبرع هذا الطفل الضرير ويفوق أقرانه، وينتهي من حفظ القرآن الكريم في مدة وجيزة.

وتتحقق نبوءة شيخه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيكون مصدر رزقه الذي يعول به نفسه وأهل بيته هو تعليم كتاب الله

للأولاد.

ورأيت هذا الشيخ غفر الله له من أحرص الناس على الطلاب في تعليمهم كتاب الله، وقد انتفع بسببه خلق كثير من بلدته والبلدان المجاورة لها، وتخرج على يديه كثير ممن نفع الله بهم من أساتذة الجامعات والأطباء والمهندسين والمعلمين وغيرهم.

سبحانه من رزاق

وسبحان الرزاق، من الذي جعل شيخه يعتني به ليحذق في هذا المجال الذي يكون سببًا من أسباب رزقه فيما بعد؟!

فلم يكن شيخنا الضرير عالة على غيره، حيث إنه لم يحتج إلى من يقوم بنفقاته، بل سخر الله له هذا الشيخ ووالدته ليعلموه ويهتموا به ليتعفف عما في أيدي الناس.

وسبحان من جعله يبرع في تعليم الصغار والكبار مع أنه ضرير لكن رزقه الله البصيرة، ووفقه في هذا المجال، وكان يدر عليه الخير الوفير.

وكان ممن علمهم الشيخ من طلابه بعدما تقدم في العمر يحرصون على رعايته، فالطبيب يقوم بتطبيبه ومتابعته في إجراءات أخذ الدواء بانتظام، وغيره يحرص على زيارته وإهدائه ومساعدته عند الحاجة.

ॐ أغدق عليه الرزاق مع ضعفه ॐ

ويحدثني صديق لي أن من يعلم أولاده الصغار كتاب الله من أصحاب الحاجات الخاصة، مصاب بشلل أطفال، يقول فيدفع به والده إلى تعلم كتاب الله والتعليم، وكان يحرص على تعليمه أشد الحرص على خلاف إخوانه، ويقول هذا مسكين من سيقوم بالنفقة عليه حال كبره، وسبحان من جعل الشفقة في قلوب الآباء والحرص على عمل ما ينفع الأبناء ليكون ذلك من أسباب استقامة حياتهم في مستقبل أيامهم.

وبالفعل يجتهد الولد ويتعلم كتاب الله ويتقنه ويقوم بالعمل في وظيفة مدرس قرآن، ويعلم أبناء قريته القرآن، يقول صديقي: وقريته كثير من أهلها أصحاب مناصب،

ولطبيعة عمله يكرمونه ماديًا، ويكون هذا الضعيف الذي كان يحرص والده على تعليمه ويشفق عليه هو الذي يقوم بمصالح إخوانه، وإذا احتاجوا شفاعات يشفع لهم عند أصحاب الجاه ممن تربطه بهم علاقات قوية بسبب تعليمه أبنائهم القرآن.

وقد أغدق الله عليه في باب الرزق، فلم يحوجه إلى غيره من الناس، ولم يمد يده بسبب مرضه إلى أحد من البشر، بل كان يساعد إخوانه وأخواته ويقوم على شؤونهم الخاصة عند حاجتهم لذلك، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

ॐ ففوض الأمر له وارض بما قدره ॐ

فسلم الأمر لسيدك.

ارض عن خالقك في كل ما قدره لك.

ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس.

وفوض الأمر لله يرضيك ويكفيك ويغنيك ويرفعك.

واعلم أنه سبحانه لا يقدر لأوليائه إلا ما فيه الخير والسعادة لهم في الدارين.

وقل: سبحانك من رب كريم.

۞ ألح عليه أن يرجع ۞

جلست ذات يوم مع صديقين حميمين صالحين، حيث تذكرا قصة عجيبة حدثت لهما قبل أكثر من خمسة وعشرين عامًا، فاستمعت وأنا مندهش مما ذكرا من أبواب فصولها.

فقلت: سبحان ربنا الرزاق، الذي يرزق من حيث لا تحسب، ويسوق لك الرزق وأنت لا يخطر ببالك أن يكون لك هذا الرزق من هذا الباب.

يأتي رئيس جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة رَحِمَهُ ٱللَّهُ للتعاقد مع مجموعة معلمين للعمل في حلقات التحفيظ، ويعلن عن حاجة الجمعية لعدد من المعلمين وأن المقابلة الشخصية ستكون في المكان الفلاني، في يوم الجمعة، الموافق كذا وكذا، فذهب

صاحبنا للمقابلة من الصباح الباكر، فوجد كمًا هائلًا من المنتظرين لإجراء المقابلة، وجلس ينتظر دوره إلى منتصف العصر، وإذا به يشعر بالجوع، ثم رأى هذا الكم الهائل من الأعداد فقال: ومن أنا حتى أقبل من هؤلاء الأعداد، ثم يترك المكان والمقابلة ويرجع إلى بيته، ويتغدى، ويذهب لصلاة المغرب فيقابل صديقه العزيز عليه، ويسأله صديقه عن المقابلة والذي دار فيها فيقص عليه ما دار.

فيلومه صديقه ويطلب منه الرجوع إلى المقابلة وعليه أن يأخذ بالأسباب، لكنه رفض وبين له أنه من المحال أن يقبل مع هذا العدد الكبير، فيطلب منه أن يذهب لا من أجل المقابلة وإنما من أجل خاطر صديقه، فيرجع للمقابلة فقط لأجل طلب صديقه، وهو يعلم في قرارة نفسه أن ذهابه لن يجدي، إذ الأعداد كبيرة.

يقول: دخلت المسجد فإذا بصلاة العشاء قد دخل وقتها، وإذا بالمسجد مملوء بجموع غفيرة، وبمجرد

دخولي المسجد إذا برئيس الجمعية يخرج لتجديد الوضوء، وفي خروجه أكون أنا في وجهه فيأخذ بيدي ويقول: هذا الأخ سأجري له المقابلة بعد صلاة العشاء مع هذا الأخ الآخر ويمسك بيد آخر من بين الحاضرين، والباقي إن رغب في المقابلة يأتي في المحافظة الفلانية يوم الثلاثاء عصرًا، وجزاكم الله خيرًا.

ॐ ويقابله ॐ

ويدخل صاحبنا للمقابلة الشخصية بعد صلاة العشاء ويسأله رئيس الجمعية أنت حافظ ومراجع لحفظك أم مثلك مثل بعض الأخوة غير مستعد، ولم تعلم بالموعد، أو علمت بالموعد من قريب؟ فقال: إن شاء الله مستعد يا شيخ.

وكان من عادته أن المصحف لا يفارقه في أوقات فراغه، فقبل الصلوات وبعدها وفي سفره، وفي قيام الليل، بل وفي كل أوقاته يراجع كتاب الله.

وصية فتمسك بها

والسعيد من وفقه الله لمداومة النظر في كتابه.. من لا يفارق قراءة القرآن في كل أوقات فراغه.

واعلم أن الذي يحبه الله هو من ألهمه ذكره، وعلق قلبه بآياته، واشغله بتلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار.

وقد رأيت أشخاصًا في زماننا الحاضر لا يفارقون قراءة القرآن، ففي كل أوقات فراغهم تجدهم يقرؤون القرآن، والأعجب من ذلك أن بعض من أعرف وكان ملازمًا لكتاب الله مات وهو يقرأ القرآن، فمن عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه.

فكن من هؤلاء الأخيار، واعلم أن الختمة الواحدة يقابلها من الحسنات أكثر من ثلاثة ملايين حسنة، والمحروم من حرم هذا الفضل، والسعيد من شغل نفسه بكتاب الله تلاوة وتدبرًا وعملًا، جعلنا الله وذرياتنا من أهل القرآن التالين له آناء الليل وأطراف النهار، الذين

هم أهلك وخاصتك.

﴿ ويجاور الرسول ﷺ ﴾

ويسأله الشيخ، ويُعجب به، ويتعاقد معه ويسافر ليعيش ويعمل في المدينة أكثر من عشرين عامًا، تنقل في عدة حلقات حتى انتهى به المطاف ليدرس في مسجد رسول الله ﷺ، وكان جُل وقته يقضيه في المسجد النبوي يعلم كتاب الله.

والذي خلق السماوات بغير عمد إن الرزق ليطلب صاحبه كما يطلبه الموت.

رجع هذا الشيخ، وما سبب رجوعه؟

ومن أجل من رجع ثانية للمقابلة؟

ثم ماذا كانت النتيجة؟

ألم أقل لك سبحان ربنا الرزاق.

فليطمئن قلبك وليتيقن بهذا القسم والوعد الذي ذكره الرزاق في كتابه الكريم حيث قال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ

نَطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢ – ٢٣].

۞ حاله مع ربه ۞

وكان هذا الشيخ من أفاضل من عرفت من الأخيار، محافظًا على التبكير للصلوات في جماعة المسجد، بل ويحافظ على قيام الليل، رأيته ذات ليلة وأنا في زيارة له، بعد أن قضى يومًا شاقًا، إذا به يرجع فيصلى أحد عشرة ركعة، يصليها ويقرأ فيها بجزء من القرآن، هذا في غير شهر رمضان.

والتقيت به يوم الجمعة فوجدته يكثر من الصلاة على رسول الله، وعلمت أنه يصلى على النبي ألف مرة، هذه عادته.

ومن عادته صيام يوم الاثنين والخميس وصيام الأيام البيض، وغيرها من السنن.

وله سفرة في المسجد هو وبعض أصحابه يُفطر فيها الصائمين طيلة العام.

هذا غير أنه يعلم كتاب الله، ومن أحسن الناس خلقًا، يكرم الضيف، ويحسن للناس، ويسعى في قضاء حوائجهم، يصل رحمه، ولا يقول للناس إلا حسنًا، جمعنا الله به وبأهلينا في الفردوس الأعلى من الجنة.

سيدي ومولاي

اللهم أغدق علينا من واسع فضلك الكريم، وصب علينا الخير صبًا، ولا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا، وعاملنا بما أنت أهله ولا تعاملنا بما نحن أهله، فأنت أهل الجود والكرم والعفو.



إنه اللّه جل جلاله

الحفيظ

الذي يحفظ ويصون عباده المؤمنين وأعمالهم بفضله
ويرعى ويحفظ المخلوقات كلها بقدرته.

الوكيل

الذي توكل بالعالمين وتولاهم خلقا وتدبيرًا
المتوكل بخلقه إيجادًا وإمدادًا
وكيل المؤمنين الذين فوضوا إليه الأمر قبل سعيهم، واستعانوا به حال كسبهم
وحمدوه بالشكر بعد توفيقهم،
ورضوا بالمقسوم بعد ابتلائهم.

الحكيم

الذي يضع الأشياء في موضعها ولا يدخل تدبيره خلل ولا زلل.

الطيب

الطاهر والسالم من كل عيب ونقص
الذي له الحسن والكمال المطلق
كثير الخير على خلقه.

ﷺإنه اللّه الحفيظ والوكيل والحكيم الطيبﷺ

هل استشعرت الآن معي اسم الله الحفيظ والوكيل والحكيم والطيب؟

فتوكل على الله ووكل أمرك له.

وكن عبدًا طائعًا لله، امتثل أوامره واجتنب نواهيه.

ولا تبالي بعد ذلك بمخلوق ما دام معك خالقهم، فمعك القوة والنصرة والمنعة.

كن له كما يريد يكن لك كما تريد.

توكل عليه يتولاك ويدبر أمرك، ويجعلك في كنفه وحفظه، وييسر لك عباده، ويسيق لك الخير من حيث لا تحتسب.

الحفيظ يحفظه

مسؤول وموظف

يهدده ويتوعده فيحفظه الحفيظ من أذيته ويدافع عنه.

فمن أعجب القصص أن أحد المسؤولين في مؤسسة تعليمية أراد من أحد الموظفين الذين يترأسهم أن يقوم بمجاملة أحد معارفه، لكن هذا الأستاذ رفض رفضًا تامًا، وقال: هذه خيانة للأمانة التي وكلت إلي، إن أردتم فعل المخالفة افعلوها بعيدًا عني وأنتم ستحاسبون عليها أمام الله، أو أعطيني مبررًا أجيب به ربي إن دخلت قبري، ماذا سأقول لربي إن سألني.

ॐ هدد وتوعد ॐ

فهدده بأسلوب غير مباشر، حيث لوح له بإمكانية إنهاء عقده، فقال له الأستاذ: الأرزاق بيد الله إن كتب الله لي رزق سآخذه، وإلا فالأمر بيد الله، فافعل ما بدا لك.

فأخر رفع التقرير السنوي لهذا الاستاذ وبعض أوراقه من أجل أن يخيفه فينصاع لرغباته.

فلم يبالِ الأستاذ، كأن شيئًا لم يكن.

وبعد أن علم أن الأستاذ لم يهتم بما فعل رفع أوراقه وتم تجديد عقده.

ﮎ لن يضروك ﮎ

ألم أقل لك أن الرزق ليس بيد أحد، هذا المسؤول من صلاحياته أن يكتب تقريرًا يشير فيه لحاجته لهذا المتعاقد أو عدم حاجته، وإن كتب أن العمل ليس بحاجة لخدماته سينُهي عقده.

لكن من الذي جعله يكتب أن العمل بحاجة له على الرغم من عدم انصياع الأستاذ لما طلبه منه؟!

إنه الرزاق الذي قدر وكتب لهذا الأستاذ رزقه، وأنه باق في هذا المكان.

فاطمئن فلن يستطيع أحد منعك من رزق كتبه الله لك، حتى وإن اجتمع أهل الأرض وتعاضدوا على ذلك ما حالوا بينك وبين ما قدره الله لك.

ﮎ يحاول أذيته ﮎ

ثم يحاول المسؤول إلحاق الضرر بالأستاذ فلم يكن له ما أراد.

وتبدأ رحلة مضايقة هذا الأستاذ فيحاول المسؤول بكل ما أوتي من قوة أذيته ويطلب من بعض معارفه إلحاق الضرر به بحجج واهية يظن أنه يحسن صنعًا.

ॐ المقايضة الباطلة ॐ

ويحاول إيجاد أي ثغرة في أبحاثه التي قدمها للترقية لرتبة علمية من أجل الضغط عليه للانصياع لفعل ما طلبه منه، وقصده مقايضته وكأنه يقول له: إن أردت أن تنتهي معاملتك وترفع وتأخذ مجراها الصحيح فقم بما طلب منك، بل قال ذلك له صراحة فلم يهتم الدكتور.

ॐ ظن خاطئ ॐ

وظن هذا المسكين أنه إن فعل ذلك سيأتي له الدكتور ممتثلًا لطلبه، لكن الدكتور لم يأبه بفعله، وهدد باتخاذ الإجراءات النظامية إن لم ترفع أوراقه من عند هذا المسؤول.

ويضطر المسؤول إلى رفعها، ثم يقف له بالمرصاد

في المجلس العلمي، ويثير ما أثاره سابقًا، ويحاول عرقلة إتمام الترقية ثم يتواصل مع أحد المحكمين، وبالفعل يغرر به فيكتب المحكم ما طلبه منه المسؤول.

۞ رؤيا تكشف المستور ۞

ويرى الدكتور رؤيا مفادها تأليب هذا المسؤول لمحكم من المحكمين، وبالفعل يكتب اعتراضًا على هذا المحكم بحجة أنه من غير المتخصصين، ويرسل المحكم غير المختص تقريره بالمنع من الترقية ويكتب مبررات هزيلة غير مقنعة، لم يوفق في كتابتها.

وبسبب اعتراض الدكتور على المحكم ما كان أمام المجلس إلا أن يرسل إلى صاحب الترقية ما كتبه المحكم من أجل أن يرد عليه.

ويرد الدكتور على المحكم برد علمي ملجم للخصم، داحض لما أثاره.

ويرسل المجلس العلمي تقرير المحكم ورد صاحب الترقية عليه إلى لجنة فاصلة بينهما، ولما كانت

حجج الدكتور صاحب الترقية قوية، والأخرى ضعيفة هزيلة، تقرر اللجنة أن كل ما كتبه صاحب الترقية صحيح وكل ما ذكره خصمه واه غير صحيح.

ॐ عناد وإصرار ॐ

وهل ينته الأمر عند هذا الحد؟ كل متأمل لذلك يقول بأن الأمر قد انتهى، إلا أن المسؤول لم ييأس وأخذ يثير أمورًا أخرى، ويرد الدكتور على ما أثاره ويأتي بأوراق تلجم خصمه وتدحض ما أثاره.

ॐ نصرٌ وخزي ॐ

وما كان أمام المجلس بعد ذلك إلا الفصل في الأمر وترقية الدكتور إلى الدرجة العلمية، لينصره الله على من عاداه، ويخزي الله هذا المسؤول وبعد محاولة مستميتة استمرت أكثر من عام يخرج صاغرًا خاسرًا، ليحمل وزر ما أقدم عليه، وعند الله تجتمع الخصوم.

لقد كان من دعوات الدكتور: «**اللهم إن هذا الدكتور**

أراد بكل ما استطاع من قوة أن يضرني فلا تحقق له ما يريد حتى يعلم أن الأمر بيدك لا بيده». وقد استجاب الله دعاءه.

ويحكي فيقول: حمدت ربي وقلت: «**الحمد لله لم يحقق الله له ما يريد، وأعطاني ما حرص على منعه عني، فاللهم لك الحمد حمدًا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى**».

ولا تمر عدة أشهر إلا ويستبعد هذا المسؤول من منصبه، ويبقى الدكتور في عمله شامخًا مرفوع الرأس عزيز النفس، توكل على مولاه فنصره الله وأخزى من عاداه، ورده خائبًا.

فكن مع الله ولا تخاف ممن سواه، فلن يصيبك إلا ما كتبه الله لك.

وتوكل عليه، وألجأ إليه، وهو ناصرك ومؤيدك..

وتتعجب

والذي يدفعني للعجب من مثل هذه المواقف ما الذي سيستفيده هذا المسؤول إن منع صاحب الحق من حقه؟!

ما الذي سيخسره إن أخذ هذه الدرجة العلمية؟!

هل سينقص هو شيئًا؟! هل سيتضرر بشيء؟ هل يكلفه شيء؟!

النظام كفل لمن تحت إدارتك حقوقًا، فلماذا تحول أنت بينهم وبين حقوقهم لشيء في نفسك؟!

احذر من ظلمهم

إياك أن تظلم أحدًا، فالظلم ظلمات يوم القيامة.

فاتق الله فيمن ولاك الله أمرهم، واحذر من ظلمهم، واحرص على إقامة العدل بينهم، وإعطائهم حقوقهم التي كفلها النظام لهم، ولا تدفعك نفسك الأمارة بالسوء إلى أخذ موقف أو التصرف مع موظف بسوء لشيء في

صدرك تجاهه، أو لسوء تفاهم حدث بينكما.

واعلم أن الله مطلع على عملك، ويعلم ما يخفيه صدرك مما لم يطلع عليه أحد من البشر.

وأنك ستقف بين يديه ويقتص من الظالم للمظلوم.

فإياك أن تكون أنت الظالم، فيأخذ من الحسنات التي تعبت في تحصيلها وتذهب هباء منثورًا.

يحفظ وظيفتك لحفظه

خبر كالصاعقة

صديق من الأصدقاء يعمل في إحدى الجامعات في دولة خليجية، وفي أول أسبوع من رمضان إذا بزميل له قد قدم استقالته وفي هذه الفترة يقوم بإنهاء إجراءات إخلاء طرفه من عمله، ويعلم أن هذا الصديق أنهت الجامعة عقده وهو لا يعلم، فأحب أن يخبره حتى يرتب أموره ولا يكون الأمر مفاجأة له، ويقوم بالاتصال به ويخبره.

ويكون الخبر على الصديق كالصاعقة حيث لم

يتوقعه، والظروف غير مهيئة، ولم يرتب أوراقه البتة، ابنته في الثانوية وهذه آخر سنة لها، وإذا عاد إلى بلده لن تستطيع أن تحصل على مجموع جيد، حيث إن دراستها من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية في تلك البلدة، والمناهج مختلفة، وظروفه المادية كذلك لا تسمح بالعودة هذا العام لارتباطاته والتزاماته المالية.

ابتلاك لتتقرب منه فاطرق الباب ولا تتردد

يبتليك لتتقرب منه ليسمع صوتك وتتذلل له؛ ليرفع درجاتك، لتكون من أصفيائه فاصبر ولا تجزع.

وهنا يبدأ القلق، وتمر ساعات عصيبة على الدكتور، لا ينام الليل من كثرة التفكير، ويبدأ يتواصل مع بعض أصدقائه، وكنت ممن اتصل بهم وأخبرني بخبره، فقلت له: لن يكون لك ما تكره، لكن سلم أمرك لمولاك، وادع ربك أن يختار لك الخيرة، وتقرب لمولاك، وساعات ابتلاء وستمر وسيكون لك ما تريد إن شاء الله، وهذه فرصة لك لتحاول أن تنتهي من أبحاثك ولا تؤجل

عملك إلى غدٍ.

كن دائمًا على ثقة بمولاك

وكنت على ثقة تامة أنه لن يصيبه ما يكرهه، لما علمته عنه، فقد كان من أحسن الناس أخلاقًا، وكان يساعد الآخرين، ويكفل بعض الفقراء شهريًا، حيث يقتطع من راتبه جزءا من المال ويتصدق به عليهم.

كذلك كان من أبر الناس بوالديه، فلا تكاد تمر سنة إلا ويأتي بوالديه لتأدية العمرة، ويتكفل بأكثر نفقتهم مع أن والديه ميسوران إلا أنه يأبى أن يدفعا شيئًا من تكاليف العمرة.

وإذا رجع إجازة إلى وطنه يأخذ هدايا لجميع أقاربه ولأبنائهم ولبعض الفقراء يقصد من ذلك إدخال السرور عليهم.

فضلًا عن أنه لا يحمل لأحد حقدًا ولا حسدًا ولا غلًا، عفيف النفس عما في أيدي الناس، لا ينظر إلى ما في يدي غيره، إلى غير ذلك من الصفات الحسنة التي

تخلق بها غفر الله له.

ॐ إياك والتثبيط أو الشماتة بأحدٍ ॐ

وبعد مرور بعض الأيام التي كانت عصيبة عليه، اتصل على أحد زملائه فتحدث معه وأخبره بخبره، فأشار عليه بألا يحط من قدره ولا يحاول البقاء في تلك البلد بعد ذلك ولا يوم واحد حتى وإن كانت ظروفه لا تسمح له بالعودة إلى بلده فكرامته أهم شيء.

وكان ينبغي على الذي استشاره أن يطيب خاطره.

وسبحان الله لا تمر شهور إلا وقد انهوا عقد هذا الزميل الذي استشاره.

ॐ حسن الخلق يأثر القلوب ॐ

بحسن خلقك ورقي تعاملك تدفع الأفاضل إلى تقديم يد المعونة وقت الشدة لك.

ولذلك لما كان هذا الصديق صاحب قلب طيب، وخلق حسن مع كل زملائه إذا بكل من يعلم بإنهاء

تعاقده يحاول مساعدته بإيجاد عمل في جامعة أخرى، ويحاول عميد كليته أن يجد له مكان عمل في نفس الكلية بطريقة أو بأخرى، الكل يحاول بكل ما في وسعه لكن لم تتيسر الأمور.

صدقة فيها الفرج

وتمر الأيام وقبل بدأ الدراسة بأيام معدودة إذا به يتصل بأحد الزملاء فيخبره بخبره، فيقول له: تصدق بنية أن يفرج الله كربك ويحقق مناك، وبالفعل يتصدق بمبلغ ويفوض أمره لمولاه، ويتقرب لربه، ويدعوه ويتذلل له، ويقول: ربي دبر لي أمري فإني لا أحسن التدبير واختر لي فإني لا أحسن الاختيار. إن كان في البقاء في تلك الجامعة خيرًا يسره لي، وإن كان شرًا اصرفه عني، وفوض أمره لله.

وبعد تضرع للمولى سبحانه وتعالى، وخضوع واستكانة وتذلل تكون الكرامة.

الفرج واليسر

الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر.

سبحان من إذا قال للشيء كن فيكون، تتغير عدة أمور يموت أحد الزملاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة وهنا يكون مكانًا شاغرا يحتاج إلى من يعمل فيه.

وترجع جميع أوراق المتعاقدين المجدد لهم عقودهم من الوزارة قبل التصديق على تجديد عقودهم لسبب ما، فيعاد النظر في أسماء المجدد لهم عقودهم وتقرر الجامعة إضافة أوراق هذا الدكتور وثلاثة أساتذة آخرين في كليات أخرى، وتستبعد أوراق آخرين من بينهم الدكتور المتوفى ودكتور آخر وهو الذي استشاره وخبره ألا يذل نفسه وكرامته أهم من أي شيء، وترفع الأوراق مرة أخرى للوزارة فيوافق على تجديد العقود، ويجدد عقده ويداوم مع زملائه في أول يوم من الدوام وكأن شيئًا لم يكن.

۞ الأمر أمره والملك ملكه فلا تقلق ۞

ألم أقل لك من قبل: الأمور بيد الله الذي إذا قال للشيء كن فيكون، فلا تحزن لأمر كان في ظاهره الشر لك.

من الذي أمر أن ترجع جميع أوراق المتعاقدين من الوزارة إلى الجامعة؟!

إنه الله، ولحكمة أرادها سبحانه وتعالى، رُبَما بسبب دعوة من والديه، أو دعوة من صالح، أو لشيء بينه وبين ربه لم يطلع عليه أحد من الناس.

۞ أسعد الآخرين يسعدك مولاك ۞

ربما لسعادة أدخلها على آخرين فأدخل الله عليه السعادة.

ربما لكربة فرجها عن مكروب ففرج الله عنه كربته.

ربما لسعي سعاه لمسلم فكافأه الله بمن سعى له في أمر يحبه فكان قضاؤه على يديه.

ربما لمساعدة فقير أو محتاج فدعا له دعوة كانت هذه ثمرتها.

رُب دعوة دعاها في وقت إجابة في الثلث الأخير من الليل، أو ساعة استجابة فكانت هذه نتيجتها.

ربما هذا رزق من يقوم بكفالتهم شهريًا، أو رزق والديه الذين يحسن إليهما، فأحسن الله إليه بسببهم.

الجزاء من جنس العمل

فلا تحقرن من المعروف شيئًا، وارضِ مولاك، وتقرب إليه، ولا تكف عن الدعاء والتضرع له، وكن معه على الدوام، وأدخل السرور على الآخرين، وأحسن إليهم يُحسن إليك، وأكرم عباد الله يكرمك، فهو أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين.

۞ يحفظ عفتك لحفظه ۞

«رب اصرف عني السوء والفحشاء واجعلني من عبادك المخلصين»

لتلك الدعوة وأخواتها أثر كبير في عصمة هذا الشاب من فتنة كادت أن تعصف به.

كان دائمًا يتضرع لمولاه أن يعصمه من شر نفسه وشر الشيطان.

يحكي فيقول: في يوم من الأيام زين لي الشيطان عملي، وقررت أن أذهب في طريق لا يرضي الله، ومع أنه في قرارة نفسه لا يطمئن له إلا أنه قرر أن يذهب بعد أن تواعدا أن يتقابلا هو وفتاة في مكان عام بعد صلاة الجمعة.

وأخذ يجاهد نفسه كثيرًا، ويتذكر نظر الله له، واطلاعه عليه، وتذكر أخواته وأهل بيته هل يرضى لإحداهن ذلك؟!

تذكر صلاح أبويه وأسرته، تذكر عمله الصالح.

لكن ما زال الشيطان يوسوس له، ويبرر له ما سيقوم به، وأن الأمر بسيط.

وأن المقابلة ستكون في مكان عام فما القلق؟!

والمقابلة هدفها هو الزواج وليس أمر آخر، إلى آخر هذه المبررات.

قال: فذهبت لصلاة الجمعة وأنا محتار في الذهاب من عدمه، وإذا بي أكثر من الصلاة قبل صعود الإمام المنبر، وأطيل السجود، وألزم تلك الدعوات وما زدت عليها:

«رب اصرف عني السوء والفحشاء واجعلني من عبادك المخلصين»

«رب طهر قلبي وحصن فرجي»

«اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك»

وكان لتلك الدعوات أثرها، فأخبر بأنه: عاد إلى البيت ودخل لينظر ماذا يصنع، وقبل أن يقرر وهو في

حيرة من أمره، فإذا برسالة اعتذار من الطرف الثاني.

يقول: ولو ضغطت عليها للبت لي ما أريد، لكن سررت بالاعتذار، وحمدت الله كثيرًا أن صرف عني ما كنت خائفًا من عواقبه، فلله الحمد كثيرًا على نعمه الكثيرة.

وأنا أقول: وإن كان الأمر كما زين له الشيطان عمله فليأت البيوت من أبوابها، وليرض لمن يدعي حبها ما يرضاه لأخواته وأهل بيته.

يحفظه الحفيظ، ويصرف عنه السوء والفحشاء ربما لصلاحه، أو لصلاح أهله، أو لشيء في قلبه اطلع عليه خالقه ونحن لا نعلمه، ويصرف عنه أمرًا ربما يكون سببًا في فضيحة الدنيا، وخسارة الآخرة.

فكم من أقوام وقعوا في الفتن وسقطوا من عين الرب بسبب سريرة سيئة يعلمها سبحانه وتعالى عنهم فَزلت أقدامهم وتمادوا في غيهم وفجورهم حتى فُضِحوا في الدنيا، أو أخزاهم الله في أهليهم، أو قبضهم حال

معصيتهم ليبعثوا عليها؟!

سلمنا الله وإياكم وذريتنا من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وعصمنا وذرياتنا من كل ذلل وخطأ، وأعمانا عن اقتراف الحرام.

من أحسن الناس جمالًا

وشاب آخر يتميز بجمال الخِلقة وحسن الخُلق.

شاب وسيم كأجمل ما رأت عينيك، إذا نظرت إليه رأيت وجهًا حسنًا وشعرًا قد تدلى على عينيه، مع طول قامة واعتدال بنيان، هادي الطبع، مبتسمًا على الدوام ما شاء الله تبارك الله.

وسامة وجمال خِلقه

يقص علي هذا الشاب قصته وكنا وقتها في المرحلة الجامعية، يقول تعلقت بي فتاة وأحبتني كأحب ما يحب النساء الرجال، ووسوس لها الشيطان وغرها وزين لها ما نوت أن تُقدم عليه من فعل القبيح، فأعمتها تلك

الوساوس عن خطر ما تفكر فيه والفضيحة التي ستلحقها وتلحق بأهلها، والعذاب الذي ستعيشه بقية عمرها، نزوة وشهوة عاقبتها وخيمة، وأثرها لا يزول بقية العُمر.

ساعة ضعف للعبد يقابلها طاعات سابقة

يقول: وجاءت ساعة ضعفت فيها فراودتني عن نفسي وأغراني شيطاني، وواعدتني في يوم الثلاثاء في مكان معين بعد صلاة العشاء.

وكان هذا الشاب صاحب خلق ودين نحسبه كذلك والله حسيبه، وكان في الرخاء يتذلل لربه أن يعصمه من الفتن ما ظهر منها وما بطن، يردد تلك الدعوات في أوقات صيامه وقيامه لليل وسجوده.

وكان شابًا نحسب أنه نشأ في طاعة الله، فتجده في المسجد في أوقات الصلوات الخمس، يطيل السجود متضرعًا بين يدي خالقه، ويحافظ على النوافل من رواتب الصلاة، وصيام الاثنين والخميس وصيام ثلاثة

أيام من كل شهر، يحرص على حلق العلم والقرآن، وعلى مساعدة المحتاجين، والوقوف مع المظلومين.

لكنه في ساعة ضعف اتخذ قرار مقابلة تلك الفتاة في هذا اليوم في المكان الذي حددته.

ثم يتابع حكايته، فيقول: وفي عصر اليوم الموعد، وقبل الموعد بأقل من خمس ساعات إذا بحمى نزلت بي فلازمت الفراش خمسة عشر يومًا كدت أن أموت فيها، فعلمت أن الله لطف بي وعصمني من الوقوع في الفاحشة.

وعلمت أن هذا الذي أصابني رسالة من رب العالمين حتى لا أسلك هذا الطريق الذي بدايته نشوة وشهوة وفرح ونهايته فضيحة وخسارة وشقاوة في الدارين.

يقول: ثم من رحمة الله عليَّ أنه لا تمر عدة شهور حتى تخطب هذه الفتاة وتتزوج في مكان بعيد، فيصرفها الله عني وأصرف عنها.

ﷺ ألطاف اللّه ﷺ

أرأيت ألطاف الله بأوليائه؟!

يعصمهم من الزلل، ويبعدهم عن الفواحش والمنكرات، ويصرف عنهم الفضيحة والتعاسة.

ﷺ طريق فاحذره ﷺ

نعم طريق الفواحش طريق العار والشقاوة والخيبة والأمراض والخزي، والمقت وغضب الله.

صدقني ليس كما يزين الشيطان لك، فالفواحش لا يكون من ورائها إلا الهم والغم وضيق الصدر، ووحشة القلب، وسواد الوجه، وقلة الرزق، ونزع البركة، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فالعذاب الشديد.

صدقني ليس كما يذكر لك أن الفواحش فيها السعادة والراحة والأنس، كل هذا ليس بصحيح، وعياذاً بالله من سلك هذا الطريق، أو سمع ممن سلك هذا الطريق علم ما أقوله لك.

تأمل معي كلام ابن القيم وتدبره بقلبك وهو يتحدث عن أضرار الفواحش وثمرات العفة، حيث يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنها: الوحشة التي يضعها الله سبحانه وتعالى في قلب الزاني، وهي نظير الوحشة التي تعلو وجهه.

فالعفيف على وجهه حلاوة، وفي قلبه أنس، ومن جالسه استأنس به.

والزاني تعلو وجهه الوحشة ومن جالسه استوحش به.

ومنها: قلة الهيبة التي تنزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم له وهو أحقر شيء في نفوسهم وعيونهم.

بخلاف العفيف فإنه يرزق المهابة والحلاوة.

ومنها: أن الناس يرونه بعين الخيانة ولا يأمنه أحد على حرمته ولا على ولده.

ومنها: الرائحة التي تفوح منه يشمها كل ذي قلب

سليم تفوح من فيه وجسده، ولولا اشتراك الناس في هذه الرائحة لفاحت من صاحبها ونادت عليه ولكن كما قيل:

كل به مثل ما بي غير أنهم... من غيرة بعضهم للبعض عذال

ومنها: ضيقة الصدر وحرجه، فإن الزناة يعاملون بضد قصودهم فإن من طلب لذة العيش وطيبه بما حرمه الله عليه عاقبه بنقيض قصده، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته ولم يجعل الله معصيته سببًا إلى خير قط.

ولو علم الفاجر ما في العفاف من اللذة والسرور وانشراح الصدر وطيب العيش لرأى أن الذي فاته من اللذة أضعاف ما حصل له.

ومنها: أنه يعرض نفسه لفوات الاستمتاع بالحور العين في المساكن الطيبة في جنات عدن.

وقد تقدم أن الله سبحانه وتعالى إذا كان قد عاقب لابس الحرير في الدنيا بحرمانه لبسه يوم القيامة وشارب الخمر في الدنيا بحرمانه إياها يوم القيامة.

فكذلك من تمتع بالصور المحرمة في الدنيا بل كل ما ناله العبد في الدنيا فإن توسع في حلاله ضيق من حظه يوم القيامة بقدر ما توسع فيه وإن ناله من حرام فاته نظيره يوم القيامة».

أتطيق عذاب الله في الآخرة؟

أتعرف عقوبة الزناة يوم القيامة؟

إنها عقوبة شديدة لا تطيقها، إني لك ناصح وعليك مشفق.

سأذكر لك صورة من عذاب هذا الصنف في الآخرة، لقد شاهدها النبي وأخبرنا بها لينزجر كل من سولت له نفسه اقتراف الفواحش، ففي الحديث: «**فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ - قَالَ: فَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلاَءِ؟.... قيل: أَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمْ**

الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي»[(١)].

والجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحدًا، فكما تمتعت هذه الفروج في الحرام عُذبوا بها في الآخرة، جزاء وفاقًا.

فإن زين لك شيطانك وسولت لك نفسك باقتراف الفواحش عياذًا بالله فتذكر هذه المشاهد لعذاب هؤلاء الذين تعدوا حدود الله وحاموا حول الحمي، واقترفوا الفواحش ولم يبالوا، وجعلوا خالقهم أهون الناظرين إليهم.

۞ جنود الله ۞

يأمر الله بعض جنوده ليصرفوا عباده وأولياءه عن الوقوع في المعاصي من أجل أنه يحبهم فلا يرضى لهم أن يسلكوا طريق الشيطان، ولا يرضى لهم خزي الدنيا وفضيحته ولا عذاب الآخرة وشدته، والسبب:

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٧٠٤٧).

أنهم أولياءه.

أنهم أهل طاعته.

أنهم عرفوه في الرخاء فعرفهم وقت الشدة.

فكم وليًا لله، عرف الله وقت الرخاء فعرفه وقت شدته.

فكن لله وقت رخائك وسعتك وعافيتك ويسرك؛ يكن لك وقت شدتك وضيقك وعسرك.

﷼ تُشبه سابقتها ﷼

فإن كان الله عصم أنبياءه من الفواحش فإنه عصم أولياءه كذلك.

تذكرك قصة هذا الشاب بتلك القصة التي حدثت لنبي من أنبياء الله، والتي قصها علينا القرآن وذكر أنها من أحسن القصص، إنها قصة نبي الله يوسف، هذا الشاب الجميل الغريب الذي راودته امرأة العزيز عن نفسها.

شاب غريب عبد أمام جمال ومال وجاه وعز حال

لبى لها ما طلبته، وأمام خيار آخر سجن وحرمان ووشاية وربما قتل إن رفض لها طلبها، لكنه اختار العفة وإن كانت ستكون سبب سجنه أو قتله، وقال مقولته الخالدة: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

فإذا خيرت يا محب بين أمرين، أحدهما: طريق يحبه الله ويرضاه ويرضى عن صاحبه، والآخر: طريق يبغضه الله ويمقت سالكه، فلا تتردد في اختيار الطريق الأول وإن كلفك كل ما تملك، وأبشر بالخير كله.

العاقبة حميدة للشرفاء

ماذا كانت العاقبة؟

كانت العاقبة الحسنة، حيث الرفعة والبراءة، وتخليد اسمه في أسماء الشرفاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ذُكِرت قصته في القرآن الكريم لتخلد في أعظم الكتب وقد عصمت من التحريف والتبديل، لتبقى شاهدة على طهارته ونقاء نفسه وسمو أخلاقه.

هذا فضلًا عن المكانة التي حظي بها عند ملك مصر يومها، فكان على خزائن الأرض.

اللهم إنا نسألك لنا ولذرياتنا العفة والعصمة من الزلل.

۞ يفكر وتهيئ الأسباب لكن يعصمه الله ۞

ذكر أحد الشباب قصة حدثت معه وأنا أحدثكم بها فيقول: أنه لما كان في الثانوية نادته امرأة وألحت عليه أن يتبعها إلى بيت أهلها، وكان بيت أهلها يبعد عن بيتها مسافة طويلة، وسار معها نصف الطريق وكان في وقت غروب الشمس.

يقول: وفي الطريق وأنا ذاهب معها ودون وعي مني ولا تردد تركتها في هذا الظلام الدامس ووليت هاربًا ما أعرف من الذي دفعني أن أجري بهذه السرعة راجعًا إلى

بيتي؟! وهي تناديني وتلح عليَّ بقوة، وحمدت ربي بعد ذلك أن سلمني من شرها وشر نفسي.

۞ من الذي حفظه من الفواحش؟! ۞

إنه الحفيظ، الذي حفظه، وربما تتساءل لماذا حفظه؟

لأنه من أوليائه الصالحين نحسبه والله حسيبه، وهو في الثانوية لم يتجاوز السابعة عشر من عمره، أظن أنه شاب نشأ في طاعة الله، فكانت الطاعة سبب نجاته.

فالذي أعرفه عنه أن كان يحافظ على الصلوات الخمس في جماعة، وعلى صلوات السنن الرواتب، وعلى قيام الليل، وعلى أذكار الصباح والمساء، وعلى قراءة القرآن ومداومة النظر فيه، وعلى الجلوس في المسجد من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، وعلى مساعدة الفقراء والأيتام، وعلى التواصي بينه وبين أصدقائه بالحق، فيتعاون مع رفاقه على إيقاظهم صلاة الفجر، وعلى مصاحبة الأخيار، وعلى صوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر.

بل أعرف عنه أنه كان جل وقته وهو في الجامعة يصوم فيندر أن يُفطر يومًا، وكان يُخفي ذلك عن الناس، فسأله أحد من علم بحاله عن سبب كثرة صيامه، قال: أنا شاب وأذهب للجامعة والفتن أمامي كثيرة، فأصوم من أجل أن أصون نفسي عن الفتن، وأطبق سنة النبي ﷺ **«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ.....»**[(١)].

حَفِظَه لِحِفظِه

هل عرفت لماذا حفظه؟

حفظه لحفظه لأوامر ربه، وكونه من عباده الطائعين الذين عرفوا الله وقت الرخاء فعصمهم من الفتن يوم أن اقتربوا منها.

والسبب أنهم أصفياءه وأحبابه.

وهنا يحضرني كلام للعلامة السعدي حيث يقول

(١) أخرجه: البخاري رقم (٥٠٦٥)، ومسلم رقم (١٤٠٠).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحفيظ الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب والمهلكات، ولطف بهم في الحركات والسكنات».

فكن وليًا لمولاك يعصمك من الفتن والزلل، ويهديك لطريق عباده الصالحين وأوليائه المخلصين، فتعرف على الله وقت الرخاء بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يعرفك وقت الشدة والضعف.

ॐ تعلق القلب بها ॐ

وأذكر أن صديقًا لي في الجامعة وكان من أحسن الطلاب خلقًا، يذكر لي أنه تعلق بفتاة وأحبها، وبدأ يقابلها ويتواعد معها، إلا أنه كان يأنبه ضميره بعد كل مقابلة، ويتذكر صلاحه، وقُرب الله واطلاعه على فعله، المحرم شرعًا.

ॐ معاتبة غيرته ॐ

كان يحدث نفسه كثيرًا ويعاتبها كيف تسمح لنفسك أن تفعل هذا؟!

هل هذا يليق بأمثالك؟

تستحي إذا قابلك أحد وأنت تسير معها ولا تستحي من ربك؟

يقول: ومن حفظ الله لي: أن ابنة أختي علمت بالموضوع وكانت صالحة صاحبة خلق ودين، وكذلك كانت مُقربة مني، وكانت تحبني حبًا جمًا، وكنت أبادلها نفس الشعور، وكانت لها مكانة في قلبي لا ينازعها فيها أحد، فعاتبتي ولامتني بشدة.

وقالت: كيف ترضى لنفسك أن تقدم على فعل هذا السلوك الذميم؟!

لماذا تضيع وقتك في هذه الأمور؟!

كيف بك لم تنتصر على نفسك الأمارة بالسوء؟!

هل ظروفك المادية الآن تسمح بالزواج منها إن كانت نفسك تمنيك بذلك؟!

هل هذا وقته؟!

ألا تعلم أنك الآن طالب والطالب مهمته الدراسة

والتفوق؟

وإن كنت تريد الزواج منها كما تذكر فلماذا لا تذهب إلى أهلها وتتقدم لخطبتها؟!

وإن كنت ستقول: بأن وضعي المادي والاجتماعي يحول بين الإقدام على مثل هذا الأمر حاليًا أقول لك: لماذا إذًا ترضي لنفسك أن تتواعد معها؟!

هل ترضي لي وأنا ابنة أختك أن أفعل بمثل فعلها وفعلك؟

ألا تعلم أنه من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه؟!

كيف ترضى لنفسك ولها أن يساء بكما الظن؟

ألا تدرأ عن نفسك الشبهات؟ فالناس لهم الظاهر فقط، والله هو المطلع على السرائر.

أين صلاحك؟! أين استقامتك؟! أين أخلاقك الحسنة؟! أين مراقبتك لله؟!

أين صلاتك وصيامك وفعلك للخيرات؟!

كل هذه الطاعات لم تَحُل بينك وبين فعل

المعصية؟!

يقول: وأخذت تذكرني بالله وتخوفني منه وتوقظ ما بداخلي من خير.

وأخذت أبكي بكاءً مريرًا بعد أن طأطأت رأسي.

واستغفرت ربي من ذنبي الذي اقترفته.

وعزمت أنني لن أعود إلى هذا الفعل ثانية.

وقلت في نفسي: لعل هذه رسالة من رب العالمين قبل أن ينفضح أمري وينتشر خبري بين أهلي ومعارفي وأهل بلدتي.

وعاهدت ربي أن ينتهي هذا الموضوع، وسألت ربي الإعانة والانتصار على النفس.

والحمد لله شعرت بعدها بأن غمة كانت على صدري وقد أزاحها ربي عني، وحفظني بحفظه، والحمد لله رب العالمين.

۞ أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء ۞

وهذا شاب آخر عرفته نحسبه والله حسيبه ممن يحافظون على فعل الخيرات ويتقون رب الأرض والسماوات، صافي السريرة، قلبه معلق بالمساجد، صوام بالنهار قوام بالليل.

يحكي قصة حدثت معه في ريعان شبابه، وأقص عليك أحداثها كما ذكرها، فيقول: تعرفت على امرأة وأحببتها حبًا جمًا كأشد ما يحب الرجال النساء، وكانت تبادرني نفس الشعور.

۞ يزين الشيطان ۞

طبعًا هذا لا يجوز ولا يرضي الله، ولا يرضى أحد لأهل بيته هذا الأمر، لكنه تزيين الشيطان ووسوسته، فاحرص عن الابتعاد عنه.

واعلم أن الله نهانا عن اتباع خطوات الشيطان، وأنه يأمر بالفحشاء والمنكر، حيث قال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾ [النور: ٢١].

وأخبر سبحانه وتعالى أن الشيطان لبني آدم عدو مبين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

فإن كان الشيطان عدوًا للإنسان فيجب على كل عاقل أن يتخذه عدوًا، وأن لا يتبع خطواته، ولا يسلك طريقه..

مكمن الخطورة

يقول: وكان مكمن الخطورة إنه يحول بيني وبين الزواج منها حوائل وحواجز تمنع من إنهاء هذا الأمر، للأسف أنا وهي على علم بها، صحيح يوم أن عرفتها لم أعلم أنه سيحول بيني وبينها هذه الحواجز، ولم تخبرني بذلك، بل وارت عني هذا الأمر.

ॐ الشعور بالذنب ॐ

إحساسي بالذنب الكبير الذي اقترفته تجاهها وتجاه أسرتها كان مكدر علي حياتي وجعلني لا أستمتع بشيء فيها، وجعلني مقصر في واجباتي، ودفعني إلى عدم التصرف الصحيح في كل الأمور.

وهذا طبعًا من آثار المعاصي، فالمعصية لها آثار شؤم على صاحبها، وهذا جزء من شؤمها.

ॐ أتصور وأتخيل ذلك ॐ

كنت أتخيل كثيرًا أن كانت هذه أختي هل أرضى لها مثل هذه العلاقة؟!

كنت أتخيل كثيرًا هل أرضى لمن أرتبط بها أو ترتبط به أن تكون على هذا النحو؟!

صحيح أني عياذًا بالله لم أفكر أني أفعل الفاحشة معها لأنني لا أرضى لنفسي ولا لها ذلك، وهذا الأمر لم يخطر لي ببال، أن آتيها في محرم، أن أفض الخاتم بدون

حقه، لأني أخاف الله.

هذا كان مستبعدًا عندي، بالفعل فقط أني أحبها.

ॐ تأنيب الضمير ॐ

تأنيب الضمير الذي كان ينتابني بعد كل مكالمة أو مراسلة.

الشعور بالذنب، الشعور بالخيانة لأهلها، الشعور بالجناية التي أقترفها.

الشعور بالضيق والكرب والحزن والغم بعد الانتهاء من الحديث معها كان يلازمني فترة معرفتها.

ॐ النية الحسنة لا تجعله حلالًا ॐ

وعلى الرغم أنها أشغلتني عن كثير من واجباتي، وهي كانت لا تتصور أن تكون الدنيا من غيري، وكانت على أمل أن يجمعني الله بها في حلال، إلا أنه لا يجوز شرعًا أو عرفًا أن تكون العلاقة على هذا النحو، فهي علاقة محرمة شرعًا.

۞ لولا لطف اللطيف ۞

ولولا لطف الله بنا لربما وقع ما لم تحمد عقباه، من الوقوع في كبيرة من أعظم كبائر الذنوب، فالمرء ضعيف والشيطان يزين ويوسوس، ويتدرج بالعبد ويسلك به خطواته إلى أن يوقعه في الفاحشة.

۞ مأساتهم شنيعة ۞

وكم من قصص سمعنا بها كانت نية أصحابها حسنة كما يزعمون، ولم يكن لهم نية أن يصل الأمر إلى ما وصلوا إليه، لكن كانت مأساتهم شنيعة!

وسبب هذه المأساة هو تجاوز الحدود، وفعل ما لا يرضي علام الغيوب.

عضوا على أناملهم حتى كادوا يقطعونها.

جفت دموع عيونهم من كثرة البكاء.

نبذهم المجتمع الذي يعيشون فيه.

هجرهم أهاليهم.

صار وجودهم في حياة الأقربين جحيم لهم.

والسبب هو ما قدمته أيديهم، وزينه لهم رفقاء السوء..

هذا السعيد

والسعيد من حفظه الحفيظ، وصرف عنه كل مكروه وسوء.

والموفق من وفقه الله للوقوف عند حدوده وعدم تعديها، فإن من تجاوز حدود الله وتعداها فأولئك هو الخاسرون.

والمسدد من ألجم نفسه ونهاها عن اتباع وساوس الشيطان، متطلعًا إلى أن يصل إلى هذه المرتبة، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ – ٤١].

والمؤمن من ابتعد عن اتباع خطوات الشيطان، مستجيبًا لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ

ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [النور: ٢١].

استشعار قرب الله

ثم يتابع قصته فيقول: كان الخوف من الله واستشعار قربه واطلاعه على علاقتي المحرمة معها، والخوف أن أموت وأنا على هذا الحال لا يفارق مخيلتي.

كنت أبكي بعد كل اتصال بكاء شديدًا.

أتضرع إليه أن يصرف عن قلبي هذه المرأة.

أصوم النهار وأقوم الليل وأتذلل للمولى أن يصرف قلبي عنها ويصرف قلبها عني..

كم كنت أتمنى أن أموت قبل هذه العلاقة أو أن أكون المتسبب في وقوع ضرر على هذه المرأة!

وأي شيء أشد ضررًا من أن أكون سببًا من أسباب خيانة المرأة لربها ولسمعتها ولعائلتها ولأهلها حتى وإن كنت لا أقابلها أو أشاهدها؟!

يكفي أن هذه علاقة لا يرضى عنها الرب، ولا يقبل بها أي عاقل.

ॐ الفضيحة احذرها ॐ

كنت أخاطب نفسي قائلًا لها: ماذا لو فضحني ربي أو فضحها، هل أحب ذلك أو أرضى به؟!

هل هذا الستر من الستير سيستمر لك كثيرًا؟!

ألا تعلم أن الله لا يكشف عبده من أول مرة، بل يستره مرارًا وتكرارًا فإذا تمادى في غيه ومضى في طريق الشيطان يفضحه بين الخلائق، ويذله ويخزيه؟!

كانت هذه الهواجس دائمًا ما تراودني وتقلق مضجعي.

ॐ قلب موحش ॐ

يقول: ومع هذا التأنيب المستمر كانت الحياة مظلمة، والقلب موحش، والندم دائم، والتعاسة تلازمني ولا تتركني.

والموت وكربته، والقبر وشدته، ويوم القيامة وحسرته، والنار وعذابها، والفضيحة وخزيها في مخيلتي لا يفارقني.

۞ الاستحياء والخوف منه ۞

صارحتها من أول مكالمة بعد أن عرفت أنه يحول بيني وبين الزواج منها بعض الحوائل، وبينت لها أنه لولا الخوف من الله والاستحياء منه والخشية من عقابه ما تركتها، لكن بعد معرفتي لتلك الحوائل علينا أن ننهي تلك العلاقة خوفًا من الله، وأن الله إن شاء أن يجمعنا سيجمعنا في يوم من الأيام في حلال، فمن ترك شيئًا لله أبدله الله خيرًا منه.

بكيت كثيرًا وهي الأخرى بكت كثيرًا.

۞ اليوم الحاسم ۞

وبفضل الله كان اليوم الحاسم بعد التضرع إلى الله كثيرًا أن يصرف قلبها عني وأن يصرف قلبي عنها أنني

قررت وهي الأخرى قررت أنه لا يجوز التمادي، حتى وإن بقي الحب فعلينا أن نتقي الله ونراقبه ونترك هذا الأمر، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه.

القرار الصائب

قررنا أن نحذف أرقام التواصل بيننا وأن يسوي كل منا حظر للآخر حتى لا نضعف فنعود مرة ثانية.

وهذا يذكرنا بالرجل الذي قتل تسعة وتسعين واستشار العالم هل لي من توبة؟ قال نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة؟

ثم نصحه بأن يترك أرضه، فأرضه أهلها أهل سوء وأن يذهب إلى أرض كذا فإن فيها قوم صالحون فاعبد الله معهم.

وهذا يعلمنا أنه لابد من ترك الوسائل التي تقرب من المعصية، وهجر الأماكن التي تذكرنا بالمعاصي، وترك أصدقاء السوء الذين يجرونا إلى المعاصي.

وعلى المسلم أن يتخذ كافة الإجراءات اللازمة التي

تحول بينه وبين الوقوع في المعاصي.

۞ ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا ۞

يقول: وبعد هذا العزم وترك ما يغضب الله شعرت بسعادة وارتياح وأنس بالله وقرب منه.

شعرت بلذة الطاعة والخشوع في الصلاة، والتلذذ بمناجاة الله وقراءة كتابه، والبكاء عند سماع أحاديث النبي ﷺ، والتلذذ بها وحب مجالسها.

شعرت بحلاوة الإيمان التي كانت تحاول بيني وبينها المعصية.

الحمد لله شعرت بسعادة في كل شيء.

رزقني الله بعدها بالتيسير في كافة الأمور.

والحمد لله رزقت بالزوجة التي أسعدتني، وبأبنائي الذين كانوا قرة عين لي، وكذلك علمت أنها رزقت بالزوج وإن شاء الله يكون أسعدها لأنني لا أعرف عن أخبارها شيء بعدما تركتها.

الوهم المزعوم

وخرجت من هذه القصة والحمد لله وأنا من الله أقرب وعن معصيته أبعد.

خرجت وتعلمت أن الأنس بغير الله شقاء.

وأن الوهم فيما يذكرونه بالحب والعشق في غير ما أحله الله تعاسة وضنك وشقاء..

وتعلمت أن من تعلق بشيء غير الله عُذِب به في الدنيا، فكان باب شر عليه، يذاق به سوء العذاب.

والكيس يا محب من تعلم من تجارب الآخرين، حتى لا يقع فيما وقعوا فيه فيصيبه مثل ما أصابهم.

هل أوانه هذا؟! إذًا فلا تتعجل.

فلا تتعجل شيء قبل أوانه فتعاقب بحرمانه.

الحب للمرأة التي ستكون زوجتك فيما بعد له أوانه، وليس وقته إن كنت في مرحلة لا تسمح لك بالزواج، أو كان يحول بينك وبين الزواج مانع، فلا

تسبق الأحداث.

واعلم أن زوجتك مكتوبة لك قبل أن تخلق وأنت في بطن أمك.

أُرسل الملك قبل النفخ في روحك وأُمر بكتابة أربع كلمات، منها رزقك، ومن رزقك الزوجة، فقد قضي الأمر، من ستتزوجها مكتوبة لك وأنت في بطن أمك.

لو اجتمع أهل الأرض على أن يمنعوك من رزق كتبه الله لك من زوجة أو ذرية أو غيرهما من الرزق لن يستطيعوا أن يمنعوك أو يحولوا بينك وبينه، فقد رفعت الأقلام وجفت الصحف.

إذًا لماذا تشغل نفسك، أو تضيع وقتك في الانشغال بتدبير أمور قد حسمت منذ زمن بعيد؟!

ليست السعادة

صدقني ليس الأمر كما يزين لك الشيطان بأن هذه العلاقة المحرمة والتي تسمى الحب التي تكون قبل الزواج ستكون سببًا لسعادتك، وما يخيله إليك الشيطان

وهم، وما تتمناه نفسك هراء.

فكم من حبيبين يتعلقان ببعضهما البعض ويعيشان زمنًا من الحب انتشر في الآفاق، وكان من أتعس الناس مع بعضهما بعد الزواج، حياة كالجحيم.

كانا على علاقة قوية من الحب المزعوم الذي كان قبل الزواج فصار بعد الزواج على أسوء علاقة..

ومن تمتع بشيء في حرام عوقب به في الحلال، إلا أن يلطف الله به فيتوب توبة نصوحًا فيتوب الله عليه.

ومن تعجل الشيء قبل أوانه عُوقب بحرمانه، فانتبه لذلك، واحفظ عني هذا.

۞ يرفضون الارتباط ۞

هذا إن قَبِل الرجل أن يتزوج بمن يزعم حبه لها، أو كان يحبها بصدق كما يدعي.

فإن أغلب الرجال إذا كان على علاقة حب بامرأة ورضيت أن تكلمه وتخرج معه، وتبادله المشاعر

والأحاسيس فإنه لا يقبلها أمًا لأبنائه، هي فقط عنده للتسلية، يتسلى بها، لأنه لا يثق بها، يقول: كما خرجت معي ستخرج مع غيري، ومن حدثتني ستحدث غيري.

ॐ يرغبون بها ॐ

فانتبهِ لنفسك أختي الكريمة، إنَّ الرجال لا يتعلقون إلا بالمرأة العفيفة الجوهرة المصونة.

التي تصون نفسها عن الحديث مع الرجال أو الضحك معهم، أو الخروج معهم.

وكلما كنتِ أبعد عن الرجال، وأكثر حشمة، كانوا لك أشد رغبة.

ॐ التقيت بها ॐ

لسبب من الأسباب التقيت بأخت فاضلة معها ثلاثة من أبنائها حفظهم الله، وأنا أعرف زوجها معرفة شخصية، وكانت هناك مشاكل بينها وبين زوجها، وهي امرأة نحسبها من أهل الصلاح، فكانت تحرص على

تربية أبنائها تربية صالحة بخلاف والدهم الذي كان لا يشغله هذا الأمر.

لقد كانت تأتي من بلدة مجاورة لبلدتنا ليتعلم أبناؤها كتاب الله في بلدتنا، فأخبرتني بأنه لولا هؤلاء الأبناء لما عشت مع هذا الزوج يومًا واحدًا، وأخذت تعدد لي بعض مشاكلها معه.

ثم أخبرتني أنني تزوجته عن حب، وظلت علاقة الحب والإعجاب قبل الزواج أكثر من أربعة سنوات، والآن أتندم على يوم معرفته فضلًا عن يوم الارتباط والزواج منه.

تأملي معي أختي ليس كما يقال لك ويشاع أن الحب قبل الزواج له مزايا كذا وكذا، وأن من أخذ امرأة عن علاقة حب يكون بينهما تفاهم وتَحَمل، إلى غير ذلك من الأوهام.

۞ التعاسة في هذا ۞

ضع نصب عينيك كثيرًا أنه لا سعادة ولا سرور إلا فيما أحله الله.

وأن الشقاوة والتعاسة والحزن والعسر والشدة فيما حرمه الله.

وأن من ترك الأمور إلى وقتها بورك له فيها ورزق خيرها وسعد بها.

ومن تعجلها يحرم منها، وتكون وبالًا عليه في دنياه قبل آخرته إن لم يلطف به ربه.

وصدقِني أعرف قصصًا كثيرة من أرض الواقع شاهدة على ما أقول، فأنا أحدثك من واقع الحياة والتجربة والخبرة.

۞ وأنتم لا تعلمون ۞

تذكر دائمًا قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ

وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

فليس كل ما تعجب به وتحبه فيه الخير لك.

وليس كل ما تكرهه وتنفر منه فيه الشر لك.

ربما يكون الخير كامنًا في الشر الذي تراه شرًا من وجهة نظرك.

وربما يكون الشر كامنًا في الخير الذي تراه خيرًا.

فسلم أمرك لله.

ولا تتعجل الأمور قبل أوانها ولا تشغل نفسك بها، وعندها ستجد السعادة والراحة.

احرص على أن تشغل نفسك بما فيه النفع لك في الدنيا والآخرة.

وليكن نصب عينيك وصية نبيك عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، احرص على ما ينفعك ولا يعجزك، فالكيس هو من انشغل بما ينفعه في أخرته أو أمر معاشه ودنياه.

واقعة تشهد

سأذكر لك قصة وقعت منذ زمن وهي شاهد لهذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

هذا الشاب نحسب أنه من أولياء الله الصالحين.

يقول: ذهبت لخطبة فتاة فما أعجبتني شكلًا، مقبولة الشكل ولكنها ليست بذاك الجمال الذي أنشده، لكن شعرت أنها متدينة جدًا، وأخذت تقص عليَّ بعض الرؤى التي رأتها و فسرت لها بأنه يخرج من نسلها من يسود الأرض بعلمه وينتشر خيره بين الناس.

فأعجبت بما رأت، وقررت أن أتزوجها من أجل الرؤى التي رأتها.

وكما ذكرت لكم أنه كان من عباد الله الصالحين، وربما ينطبق عليه: أنه شاب نشأ في طاعة الله، نسأل الله لنا ولكم ولذرياتنا هذه الفضيلة والمنزلة التي من أصابها أصاب خيرًا كثيرًا.

ॐ عقبات أحالت إكمالها ॐ

يقول: وبالفعل استخرت ربي وذهبت لإكمال إجراءات الزواج، فكانت هناك بعض العقبات التي حالت بيني وبين إكمال إجراءات الخِطبة.

ثم يتابع قوله فيذكر: أنه كلما تذكرت كلامها وفصاحتها وتدينها وتمسكها بي ازددت تمسكًا بها، فلما حال بيني وبين خِطبتها عقبة تركتها.

وذات مرة تذكرتها في ساعة صفاء وخلوة بربي فأقسمت على ربي أن يتم هذا الموضوع.

ॐ لو أقسم على الله ॐ

وكان والعلم عند الله من هذا الصنف الذي لو أقسم على الله لأبر قسمه.

ومن أراد هذه المنزلة فليكن عبدًا لله.

يجده ربه حيث أمره ويفتقده حيث نهاه.

يفرح هذا العبد بطاعة ربه، ويحزن ويتكدر خاطره

إن فاتته طاعة كان مداومًا عليها.

يصيبه الكدر والغم إن خالف أمر ربه.

وتُسر نفسه ويطرب قلبه إن أطاع مولاه وفعل ما يرضيه.

هذا هو طريق الوصول لتلك المنزلة لمن أرادها وسأل عنها.

يقول: فتيسرت الأمور ووافق أهلها بعد رفض بعضهم للموضوع، وعقدت عليها.

وللأسف ندمت أشد الندم أني عقدت عليها، وعلمت أنَّ الأمر ليس كما كنت أشاهده، ولا النظرة التي نظرتها لها، وأن التحليل الذي حللته كان خطأً.

وعلمت أن قسمي على ربي أن يتم هذه الخِطبة وإن كان قد تحقق بأن عقدت عليها وصارت زوجة لي وإن كنت لم أدخل بها لكنني أخطأت في هذا القسم.

ويجب علي أن أصحح ما أخطأت فيه، ففوضت أمري لربي وسألته أن يختر لي الخيرة، وكنت أقول

دائمًا: اللهم دبر لي فإني لا أحسن التدبير واختر لي فإني لا أحسن الاختيار.

رجوع وتفويض فنجاه

يقول: فلما فوضت أمري لله لم يتم الزواج والحمد لله، وتركتها قبل أن أدخل بها، ثم تزوجت غيري وعلمت أنها غير سعيدة، وأنها ندمت على فراقي، وحاولت التواصل مع أهلي ومع بعض معارفي، وطلبت مني المسامحة وأنها تعاقب وأنها... وأنها.

فعلمت أن الله نجاني، وأرسلت لها رسالة مفادها أنها لا تحاول أن تتواصل ثانية مع أهلي أو معي، وأن الأمر قُضِي، وأنا قد سامحتها لكن عليها ألا تتصل ثانية.

وما أردت أن أفتح مدخلًا للشيطان، وأن تستقر في حياتها مع التجربة الثانية التي خاضتها، وأنا شكرت الله أن موضوع الزواج منها لم يتم.

ألم أقل لك ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

يقول: كنت أعتقد أن في الأمر خيرًا عظيمًا وأنها ستسعدني فكان الأمر على غير ما اعتقدت.

فسلم أمرك لمولاك في كل شؤونك، واعلم أن الخيرة فيما اختاره الله لك ولو كنت تكره هذا الأمر.

وكاد أن يقع

ذهب مع أصدقائه في إحدى الرحلات ونزلوا مكانًا معينًا، كل من الشباب دخل غرفته وفجأة إذا به يرى ما لم يكن في حسبانه، تهيأت المعصية وأسبابها، فخاف ووجل واضطرب، وكان من أهل حِلق القران، وحملة كتاب الله، هنا فكر ماذا يصنع؟!

يتوجه إلى مولاه، وينظر إلى العاقبة المخزية إن أقدم على الفعل، ويخاف من الفضيحة الأخروية، ويتذكر الأمراض الفتاكة التي تكون من جراء هذه الأفعال المشينة.

وينزل مسرعًا من هذا المكان، وينجرف أصدقاؤه في الوقوع في الوحل.

ويتصل على والدته ويخبرها الخبر فتشير عليه أن يرجع إليها ويترك أصدقاءه، فإنهم أصدقاء سوء.

وتحمد ربها أن عصم وحفظ لها فلذة كبدها، وتثني على خوفه من ربه، ويعود لها سالمًا غانمًا، مقررًا أنه لن يعود لمثلها مرة ثانية.

ॐ عصمه الحفيظ ॐ

على الرغم من صغر سنه وفتوته، إلا أنه كان من أهل الطاعة، كان من حفظة كتاب الله.

لقد كان للتربية الصالحة التي ربي عليها من قبل والديه الأثر الكبير في مراقبته لله والخوف من عقابه.

كل نفوس البشر جبلت على حب الشهوات والملذات وتجنح لها، لكن يكبح جماح هذه النفوس علم العبد أن الله يراه، أن الله ناظر إليه، أن الله شهيد عليه، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤].

أن الله يعلم زيغ الأعين وما تخفيه الصدور، ﴿يَعْلَمُ

خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

أن هناك ملائكة تدون كل صغيرة وكبيرة، ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ .... ﴾ [الكهف: ٤٩].

أنه سيقف بين يدي ربه، ويحاسب على عمله، «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَقف بَيْنَ يَدَيِ الله، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ.....**»(١).

وأن العبد يثاب ويعاقب على أعماله صغيرها وكبيرها، ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧،٨].

وأن هناك فضيحة وخزي فيزجره عن فعله، «**فَيَفْضَحَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ وَيُقَال:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٧٥١٢)، ومسلم رقم (١٠١٦).

كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ [هود: ١٨]»[١].

۞ وعلى النقيض ۞

وعلى النقيض مما ذكرت أعرف قصصًا لشباب وقعوا في الفواحش وتيسرت لهم بأعجب مما تتخيل، ولولا أنه تعف يدي عن ذكر مثل هذه القصص، وتُكرَم عيناك عن مطالعتها لأخبرتك بقصص بعضهم، لكن تشمئز النفس عند ذكرها، ويتكدر الخاطر عند سماعها، وتشفق النفس على مقترفيها، أصلح الله الجميع، وأرشد الحائرين، وهدى الضالين، وردهم إليه ردًا جميلًا.

۞ سبب ما هم فيه ۞

والذي يعنينا من هذا كله أن هذا الصنف من الناس غالبًا ما يكون بعيدًا عن خالقه، يرعى حول حرمات الله ويقع في الشبهات، ويتجاوز الحدود التي حدها، فكانت

(١) أخرجه: البخاري رقم (٤٦٨٥).

عاقبته أن وقع في الفواحش والحرمات.

فعدم التوفيق كان سببه ما طوته نفسه واقترفته يداه.

تجرأ على المداومة على الصغائر، وصحبة الأشرار، واتباع الهوى.

وتجاوز الحدود التي حدها له الشرع.

فكانت العاقبة الوخيمة والنهاية الأليمة، والشر المستطير.

عافانا الله وإياكم وذرياتنا والمسلمين أجمعين، وهدانا إلى الطريق المستقيم، وأبعدنا عن طريق الضالين.

كن من الشرفاء تكن وليًا لله

ألم أقل لك أنه يعصم أولياءه وأحبابه، أصحاب القلوب السليمة، والطاعات الدائمة.

فكم من شاب نشأ في عبادة الله فاعتراه في طريقه فتنة ووسوسة من الشيطان فسلمه الله من شرها ونجاه من

وساوسه؟!

فكن لله عبدًا صالحًا في الرخاء يعصمك من الفتن ويصرف عنك كل شر.

وكدت أفضح

وشاب آخر يحكي قصته وكان في المرحلة الجامعية فيقول: زين لي الشيطان ذنبًا معينًا هو دون الكبائر إلا أن فعله معاب عند الناس، وطبعًا محرم في الشرع لكنه ليس كبيرة من الكبائر، يقول: وكاد أمري أن يفضح بين أهل مدينتي بعد أن علمه بعض الأفراد ثلاثة أو أربعة.

يقول: فتضرعت لمولاي وخالقي، وأغلقت الباب علي ودمعت عيناي.

وتذللت لربي: لا تفضحني استرني ولن أعود لمثل هذا الفعل مرة ثانية.

خالقي أتتركني وأنا عبدك المحب لك الطائع لأوامرك المجتنب نواهيك..

ضعفت ففعلت هذا الذنب وإن أخرجتني وسترتني منه فلن أعود له مرة ثانية، وسأكون لك عبدًا كما تريد.

يقول: وألح وأبكي، وأتضرع وأجهش بالبكاء، فأسدل ربي علي ستره وعصمني من فضيحة كادت أن تنتشر بين خلقه بأهون الأسباب.

۞ من يملك القلوب يصرفها كيفما يشاء ۞

فلا تقلق ما دمت عبدًا له طائعًا، فمن عرفوا القصة هم أنفسهم من رأوا أن يغلق التحقيق فيها، لأنه ليس من المصلحة أن يفتح هذا الموضوع، وهم الذين قد أصروا سابقًا على فتح الموضوع وإظهار المحق وغير المحق.

أرأيت من الذي غير أراءهم وأفكارهم وعزمهم؟!

إنهم هم من أصروا على التحقيق في الموضوع.

ثم لما تدبروا الأمر ونظروا في العواقب فكانت النتيجة إغلاق الملف وعدم فتحه مرة ثانية.

فسبحان من يملك القلوب، ويصرفها كيف يشاء.

فكن مع الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يكن الله معك بتوفيقه وستره وعفوه وسداده.

يكن الله لك كما تُحب إن كنت له كما يُحب.

ॐ يحفظ أولادك بحفظك له ॐ

كثير الصمت

أذكر هذا الرجل الصالح، كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أهل الطاعة وحسن الخلق، ويمتاز بقلة الكلام وطول الصمت، وهذه صفة حسنة لمن ألجم لسانه وعلم أنه سبب المهالك، وما هو إلا حصد الحسنات أو تكثير للسيئات.

ॐ لا يلدغنك انتبه ॐ

لسانك احذر منه لا يلدغنك إنه ثعبان.

واعلم أن أكثر خطايا بني آدم في ألسنتهم.

وأكثر ما يُدِخل الناس النار اللسان والفرج.

ومن حفظ ما بينه لحييه وما بين فخذيه ضمن له

النبي الجنة.

ومن صمت نجا.

كل هذا وغيره أخبر به المعصوم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، الذي ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ – ٤].

ورحم الله ابن مسعود حين كان يطوف بالبيت ويمسك بلسانه ويقول: «**يا لسان قل خيرًا تغنم أو اسكت عن شر تسلم وإلا تندم**»، قالوا: يا أبا عبد الرحمن أهذا شيء سمعته من رسول الله أم هو من عند نفسك؟ قال: بل سمعت رسول الله يقول: أكثر خطايا بني آدم في ألسنتهم.

ومات رَحِمَهُ ٱللَّهُ

هذا رجل صالح كان قد أتعبه بعض الأبناء، وكان يشتكي لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأسكنه الفردوس الأعلى، ويفضفض معه أحيانًا ويطلب منه الدعاء لهم.

وكان والدي أيضًا يصبره ويطلب منه أن يكثر الدعاء لأبنائه وكان يفعل، ثم يموت هذا الرجل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ وكانت المفاجأة ۞

وبعد موته بفترة ومن باب حسن العهد وحق الصداقة وأخوة الدين أرسل والدي أسكنه ربي ووالديكم الفردوس الأعلى من الجنة والدتي وأختي لزيارة زوجة صديقه المتوفى وأبنائه.

وكانت المفاجأة عندما طرقا الباب إذا بشاب تظهر عليه علامة الصلاح والاستقامة يفتح الباب.

ولما دخلوا البيت رأوا أبناء يعلوهم ضياء الوجه حيث ظهرت آثار الطاعة في وجوههم.

لقد لفت أنظارهم وأدهشهم سمت الصلاح الظاهر على الأبناء.

صلاح الآباء حفظ للذرية

سبحان الله الحفيظ، حفظ الحفيظ هؤلاء الأبناء بعد موت ذلك الأب الصالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وإن شاء الله تقر عيناه بهم في الجنة كما قرت عيون والدتهم وأهليهم بهم في الدنيا.

وهذا يؤكد لنا ما نسمعه كثيرًا بأن صلاح الآباء ينفع الأبناء.

وتذكر معي قصة حفظ الله مال الغلامين الذين كان أبوهما من أهل الصلاح، وأرسل الله نبيين من أجل إقامة الجدار الذي كان آيلًا للسقوط على الكنز ليحفظ لهما هذا الكنز لينفعهما حال كبرهما واشتداد عودهما، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢] .

ورحم الله أحد السلف الصالح الذي كان ينظر لصغيره وهو نائم ثم يقول: لأزيدن في صلاتي من أجلك، ويتلو قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾.

يتعدى لغيرك

فصلاحك لا يعود نفعه عليك وحدك بل يعود عليك وعلى ذريتك.

فهنيئًا لأهل الصلاح والإصلاح، يُغبطون على ما هم عليه، والموفق من وفقه الله لعمل الصالحات وحببه فيها، وأقر عينيه بصلاح أبنائه وأحفاده في الدنيا والآخرة.

ابتهال وتضرع

اللهم أصلحنا وذرياتنا، وتقبل صالح أعمالنا، ووفقنا لما يرضيك وجنبنا ما يغضبك من الأقوال والأفعال إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

۞ الرجل الصالح ۞

تظهر عليه سمات الصلاح

رجل عُرِف عنه أنه من أهل الاستقامة، تظهر عليه سمات الصلاح، والهيبة والوقار.

يضع رأسه على وسادته وليس في قلبه شيء لمسلم.

قلبه لا يحمل كرهًا أو حقدًا أو حسدًا لمسلم، فهنيئا لهذه القلوب الطاهرة.

۞ قَرَار العَين ۞

ومن أجمل ما تقر به عيون أهل الصلاح هو أن يروا صلاح أبنائهم.

وعلى النقيض من أشد الابتلاء الذي يبتلون به في الدنيا أن يروا أحد أبنائهم خالف طريقهم وسلك طريقًا غير طريق أهل الصلاح والاستقامة، فهذا من أشد الابتلاءات التي يتعرض لها أهل الصلاح.

مكمن المشكلة

وكان مكمن المشكلة أن أحد أبناء هذا الرجل وكان في أول مرحلة في الثانوية.

وبسبب سفره للعمل خارج البلاد أتعب الولد عائلته.

وكان يدعو الوالد لولده بالصلاح ولا يترك ذلك أبدًا.

ولما علم وضع الولد وما صار إليه ترك العمل خارج البلاد وعاد إلى وطنه.

فقد شعر بالخطر الذي ربما يكون سببًا في تدمير أبنائه.

وهنا أخذ القرار الصحيح، حيث قارن بين جمع المال وبين العودة ليمسك بزمام الأمور ويساعد زوجته في تربية الأبناء والبنات قبل فوات الأوان.

حيث إنهم لما كبروا صارت والدتهم لا تسيطر على

تصرفاتهم خاصة على الكبار منهم.

﴿ ستسأل عنهم ﴾

وهذا من الأمور التي يجب أن ينتبه لها الآباء، تربية الأبناء مسؤوليتك التي ستسأل عنها أمام الله، فلا تفرط فيما استرعاك الله فيه.

واعلم أن ما زرعته ستحصده عاجلًا أو آجلًا، فإن أحسنت للأبناء وقمت بتربيتهم على الطاعة وحسن الخلق جنيت الثمرة بإذن الله في دنياك وآخرتك، فكان لك ما تقر به عينك، وتسعد به، بل ربما تتفاخر بهم أمام الآخرين، وتتشرف أن ينتسبوا لك.

وإن فرطت في التربية والتنشئة الصالحة فستجني ثمرة ذلك في دنياك قبل آخرتك.

فإن زرعت وردًا حصدت وردًا.

وإن زرعت شوكًا ماذا تنتظر أتحصد ياسمين؟!

كلا وألف كلا، لن تحصد إلا الشوك الذي زرعته في الدنيا.

أما في الآخرة فالأمر جلل حيث ستسأل عن تلك المسؤولية، فاللهم ارحمنا برحمتك الواسعة.

وتذكر قول نبيك عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،......، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»[(١)].

ألا فليتق الله كل راع في رعيته التي استرعاه الله عليها.

وليعلم كل منَّا أنه من بات وهو غاش لرعيته التي استرعاه الله إياها حرم الله عليه الجنة.

نسأل الله العافية والسلامة، وصلاح النية والذرية.

۞ استقر بينهم ۞

وبعد أن قرر الرجل الصالح أن يرجع من سفره ليجلس مع أبنائه حتى لا ينفلت الزمام ويحدث ما لا

(١) أخرجه: البخاري رقم (٨٩٣)، ومسلم رقم (١٨٢٩).

تحمد عقباه خاصة أن الأبناء في سن الشباب والقوة.

وبالفعل استقر في وطنه وقرر ألا يعود إلى السفر مرة ثانية، وحاول أن يبذل قصارى جهده معتمدا ومتوكلًا على مولاه ومفوضًا الأمر له سبحانه وتعالى في تربية هؤلاء الأبناء، وحرص حرصًا شديدًا على تنشئتهم تنشئة صالحة.

لكن أحيانًا تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، لكن لا تيأس بل فوض أمرك لمولاك والجأ إلى خالقك، وادع ربك صباحًا ومساء، ليلًا ونهارًا، وأنت موقنٌ بالإجابة والله سوف يسبب الأسباب وييسر الأمور، ويحقق لك ما تتمناه إن كان في ذلك خير لك.

حاول ترويضهم

وبدأ في ترويض الأبناء ودلهم على كل خير بالقدوة الصالحة أحيانًا، وبالنصيحة أحيانًا، وبتحبيبهم في مولاهم أحيانًا، وتخويفهم من عذاب الله أحيانًا، واصطحابهم إلى حِلق العلم وإلى مجالسة الصالحين

ومصاحبة الأخيار.

لقد أتعبته تربية أبنائه، لكن الكريم يحفظهم ويمن عليه بما تقر به عينه.

لقد كان يحاول مع الابن الأكبر تحبيبه في طريق الاستقامة لكن كان يتجه إلى اللعب واللهو وترك الطريق المحبب لوالديه.

۞ وجاء اليوم الموعود ۞

ويشاء الله للابن الأكبر أن يذهب يومًا لزيارة صديق له، ووجد عند هذا الصديق شابًا لم يكن له سابق معرفة به، وكانا جالسين يقرآن كتاب الله، فجلس معهما وقذف الله في قلبه من يومها مصاحبة الأخيار، وكانت هذه الجلسة هي بداية تغيير حال هذا الابن ودخوله في الطريق المحبب إلى والديه.

وتصبح صداقة قوية بعد هذه الجلسة بين الابن والشاب الصالح، ويؤثر فيه تأثيرًا بليغًا، فيتحول إلى شاب صالح، همه الأكبر طاعة الله، فلا تجده إلا محافظًا

على صلواته الفرائض مع سننها، وعلى نوافل الصيام، وعلى حِلق القرآن والعلم، لدرجة أنه كان لا يترك كتاب الله من يده حتى أنك تجده في الطريق يمشي فيقرأ القرآن، فقد انشغل بكتاب الله في أغلب أوقاته، وكان من أحسن الناس خُلُقًا.

تجده بارًا بوالديه، وصَّالًا للأرحام، يساعد المحتاجين، ويصاحب الصالحين والأخيار، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

يحفظ أولياءه فكن أحدهم

إنه الله الحفيظ الذي يحفظ لأوليائه أبناءهم وييسر لهم طريق الصلاح.

ألا تتعجب معي كيف حِيل بين الأب أن يسلك بابنه طريق الصلاح والاستقامة بشتى الوسائل والسبل.

وفجأة وبدون مقدمات ساق الله الابن إلى صديقه لزيارة خاطفة على غرة ودون سابق موعد، فهيأ له الخير وحببه في حلق القرآن.

ثم صارت صداقة وصحبة للأخيار بدون ترتيب من أحد، إنه الله الحفيظ الحكيم والوكيل.

وصدق الله حين قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

فيأتيه الرزق من جهة لا تخطر بباله ولا تختلج بآماله، والرزق إذا جاء فجأة كان أقر للعين وأمرأ للنفس.

فلا تشغل بالك كيف سيكون الفرج، فقط عليك بالدعاء، أدع ربك وهو يدبر أمرك.

من كان يتصور أن فرج أصحاب الكهف في نومة ناموها؟!.

ومن كان يتصور أن فرج نبي الله يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان برؤيا يفسرها وبها صار على خزائن الأرض وزيرًا.

﷽ علاقة متوترة ﷽

وهذا شاب آخر اتسم بالهدوء والمحافظة على الصلاة، وعلى حِلق التحفيظ، فكان يأخذ أبناء الحي معه في السيارة إلى الحلقة القرآنية، ويحرص على تربية الناشئة على الأخلاق الحسنة، تعرفه بارًا بوالدته، يسعي دائمًا في فعل الخيرات.

المشكلة كانت كامنة في أن العلاقة بينه وبين والده لم تكن على النحو الجيد، بل كانت علاقة متوترة لأسباب ليس هذا موضع ذكرها.

﷽ اختلاف في وجهات النظر ﷽

وسبحان الله كنت قد تعرفت على والد هذا الشاب في المسجد، وكان سبب التعرف به أنه أخبرني أن هناك شقة في بيته يريد أن يؤجرها لو أنني أعرف أحدًا. وبالفعل أتيت لها بمؤجر. وفي هذه الوقت تكلم معي قَدَرًا، وارتاح لكلامي ثم أخبرني بمشكلة ولده، وأن

العلاقة غير جيدة، وأن ابنه محترم ودين وحسن الخلق وأنه محافظ على الصلوات، ويبتعد عن المحرمات، وأنه يحب حِلق القرآن إلى آخر ما ذكر.

ثم أخبرني أنه ذهب معه وحده إلى المدينة في رحلة، فقط من أجل أن يحاوره، إلا أن الولد أصر على الصمت ولم يتكلم بكلمة واحدة، وما أدري ماذا أصنع؟!

ثم استسمحته أن أقابل ولده وأتحدث معه، فأذن لي.

مكمن المشكلة

تحدثت مع الشاب، وكان يظهر عليه علامة الحياء، وحسن التربية، وانتقاء أطايب الكلام، وقلة الكلام، وعرفت المشكلة منه والتي لم يخبر بها والده..

وكانت المشكلة تكمن في أن والده كان له وجهة نظر في زواجه، وأنه لابد أن يكون الزواج بعد أن يتوظف ولده، وعدة شروط أخرى.

والشاب كان وجهة نظره أنه يعمل مع والده ويقوم

على كل شؤونه في البيت وفي المؤسسة وهذا عمل، وأن والده معه مال لماذا لا يزوجه؟!

وقد وصل الأمر معهما إلى طريق مسدود، فطلبت منه أن يحسن إلى والده، وأن طاعته والإحسان إليه واجبة حتى ولو كان كافر فما بالك إذا كان مسلمًا؟!

وذكرته بصلاح أبيه، وأن له وجهة نظر هدفه فيها مصلحتك حتى وإن كنت ترى خلاف ذلك، وبينت له أني متفهم لوجهة نظره، وإن شاء الله لن يكون مع والده إلا كل خير، وطلبت منه أن يبدأ هو في التغيير.

إنها نعمة فصونها

ثم ذهبت إلى والده وأخبرته بوجهة نظر ولده، وأنها وجهة نظر تحترم وعلينا أن نتفهمها، وأن الولد يقوم بعمل عظيم في المؤسسة، وهذا عمل ليس بالسهل، وهذه وظيفة، وأن الوالد عليه أن يمتع أبناءه بماله في حياته حتى لا يتمنون موته.

وأنه يحمد ربه أن ولده صاحب استقامة وخلق

يشهد بذلك الداني والقاصي.

ثم ذكرته بصور مظلمة لأبناء ضلوا الطريق وانحرفوا عن الطريق المستقيم.

ومثل ولده يتمناه كثير من الآباء، وهو نعمة من الله عليه أن يحافظ عليها وأن يحسن إليه.

سبحان مقلب القلوب

وسبحان من بيده القلوب إذا بالوالد يستجيب لكلامي ويصغى له ويستحسنه.

ويبدأ على الفور في الخِطبة لولده، ويزوجه في مدة قصيرة، وتتحسن العلاقات بينه وبين ابنه، وتكون على أحسن ما يتمناه، ويهدأ الشاب ويتقرب من والده، وتزول الوحشة والنفرة الموجودة بينهما.

ثم قابلني الشاب بعد عدة سنوات قدرًا وأنا خارج من المسجد فجاء مسلمًا مبتسمًا مرحبًا، ثم أثلج صدري بقوله: كلما رأيتك وأن أقود سيارتي أدعو لك.

ما تدري

فاحرص على فعل الخير ومساعدة الآخرين بما تستطيع، وما تدري من تسعده فيسعدك ربك بسببه؟

وما تدري بما تدخل الجنة؟

لعلها بإصلاح بين متخاصمين.

ولعلها بتفريج كربة.

بإدخال السرور على قلب مسلم.

بمواساة محتاج.

بإعانة معسر.

بإغاثة ملهوف.

بصلة الرحم.

ببر للوالدين.

بصيام أيام في سبيل الله.

بصلاة تحافظ عليها في جوف الليل.

بقدوة حسنة.

بتطبيق سنة في زمن غربة الدين.

بإظهار شعائر الإسلام.

بالتزامك بحجابك.

بالاعتزاز بالإسلام وشريعته.

بإسدال النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

بتربية حسنة لأبنائك وتقديم قدوة صالحة لهم.

فاحرص على الخير ولا تقلل من سعيك.

خذ بالأسباب واترك نتائجها على مسببها.

۞ كن من هؤلاء ۞

ورحم الله والدًا أعان ولده على بره، وأثلج صدره بكثرة الدعاء له، ومصاحبته، وإسدال النصيحة والتوجيه الدائم له، ومراعاة نفسيته، ومساعدته على بره، وتشجيعه بالثناء على أعماله الحسنة، فتلك السعادة الحقيقة لهؤلاء الأبناء.

وبئس ما يقدم عليه الآباء من الدعاء على أولادهم فمن دعا على ولده فقد أفسد دنياه وآخرته، وأغلق أبواب الخير في وجهه، وفتح له أبواب الشر والشقاوة.

۞ كن لله كما يريد وأبشر بالخير ۞

من الذي دفع والد هذا الشاب لأن يحدث هذا الذي لا يعرفه في تأجير الشقة؟!

ومن الذي جعل والده يفكر في أن يحدثه في موضوع ولده؟!

من الذي ساقه بدون موعد مسبق؟!

ومن الذي ألف قلب والده لقبول النصيحة وتنفيذها على الفور؟!

مع أن هذا الموضوع فتحه الولد مع والده عدة مرات حتى يئس من الحديث معه فيه ثانية، وآثر الصمت عن الحديث، إذ إن الحديث أصبح لا يجدي معه ولا يخرج بفائدة.

كن لله كما يريد يكن لك كما تريد.

احفظه وتوكل عليه يتولى أمرك كله، ويسخر لك من حيث لا تحتسب من يكون سببًا في قضاء حوائجك.

ॐ فيها الخيرة فلا تحزن ॐ

واعلم أنه ربما يتأخر لك ما تسعى له لمصلحة فيها الخير لك، وضع نصب عينيك، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

ولعل التأخير فيه الخيرة لك وأنت لا تدري.

أجور تتضاعف، تدخل في عباده الصابرين الذين بشرهم بالبشرى، وأعد لهم الأجر العظيم والثواب الجزيل، هذا في الآخرة، وفي الدنيا ربما يكون التأخير فيه مصلحتك وأنت لا تدري.

ॐ ذهب مع صهره ॐ

وسأذكر لك قصة تدل على ذلك.

أخبروه بأن هناك مقابلة مع إحدى جمعيات تحفيظ القرآن بإحدى الدول الخليجية جاء مندوبها من أجل

التعاقد مع شخصين للعمل معهم، وكانت أمنية السفر غاية كثير من الشباب، من أجل تحسين وضعهم المادي، ذهب هو وزوج أخته، وكانا سويًا يدرسان في مرحلة الماجستير، ومعهما أيضًا مجموعة أخرى من المتقدمين، وأجريت المقابلة ورشحوا زوج أخته وشخص آخر ولم يرشحوه.

۞ وما تدري فليس فيها الخير ۞

حزن صاحبنا على فوات هذه الفرصة مع أنه كان من المرشحين بقوة، وقال: «**اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيرًا منها**».

ثم تمر سبعة سنوات بعد هذه الواقعة وينتهي من مرحلة الماجستير والدكتوراه ويتعاقد مع إحدى كبرى الجامعات في نفس الدولة التي رغب العمل فيها قبل سبعة سنوات.

ولم يتوقف فضل الله عليه عند هذا الحد بل يصل إلى أعلى المراتب العلمية، ويكون دخله عشرة أضعاف

ما لو جاء في ذلك الوقت الذي حزن أن ضاعت منه فرصة السفر.

أمَّا زوج أخته فلم يكمل دراسته بسبب سفره ولم يحصل على درجة الماجستير، وانتهى عقده بعد سبعة سنوات من ذهابه، وبسبب قلة الراتب لم يستطع أن يوفر منه إلا القليل.

والآخر تعاقد بعد سبعة سنوات من حُزنه على فوات فرصة العمل الأولى، وظل في سفره أكثر من عشرة سنوات، وقد وسع الله عليه في الدنيا غير المكانة الاجتماعية، وما فتح الله على يديه من نفع للإسلام والمسلمين في مجال تخصصه، ألم أقل لك ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

إنها الخيرة فلا تقلق

فلا تقلق، فقط عليك أن تبدأ من الآن، أطع ربك، تجنب ما يغضبه، وأبشر بكل خير تحبه، لن يضيعك أبدًا.

۞ لن يضيعنا ۞

كيف يضيعك وأنت عبده؟!

كيف يضيعك وأنت صفيه؟!

كيف يضيعك وأنت وليه؟!

كيف يضيعك وأنت من خاصته الذين اختصهم لطاعته؟!

كيف يضيعك وقد أحبك وحبب فيك خلقه؟!

۞ يُحبك ۞

أحبك فنادي في جبريل إنّي أحب فلان فأحبه، فيحبه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

يا الله، نسألك هذه المنزلة.

نسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك.

يا الله، تخيلت معي هذه المكانة؟

ومن أنت؟! حتى ينادى المولى جل وعلا باسمك في الملأ الأعلى على أعظم ملك جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيقول له: يا جبريل إني أحب فلانًا فأحبه.

ثم ينادي جبريل في أهل السماوات إن الله يحب فلان فأحبوه فيحبه أهل السماوات.

ثم ينادي في أهل الأرض إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبوه ثم يوضع له القبول في الأرض.

يا لله، لو سمع العبد هذه الكلمات من ربه العلي الكبير رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم لذاب القلب حبًا للخالق، ولما عصاه وخالف أوامره.

لسخر كل نعمه التي أنعم بها عليه في طاعته.

لبادر في استباق الخيرات وترك المنكرات.

ولكان من عباده الذين وصفهم الله بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

جعلنا الله وإياكم وذرياتنا وأهلينا والمسلمين منهم.

۞ يحفظ مالك بحفظك له ۞

رؤيا تخبره

ومن عجيب القصص في حفظ الله لمال عبده أن أحد الصالحين يُخبِر أنه: دخل في تجارة مع أحد أقاربه، وكان هذا الشريك القريب يظهر للرجل الصالح دومًا أن العمل على أفضل حال، وأن التجارة تسير في مسارها الصحيح، وكان يحسن الظن فيه، ولا يعتقد من قريب أو بعيد أنه يخون الأمانة، وكان يثق فيه لدرجة أنه كان لا يراجع بعده الحسابات، ويكتفي بما يخبره به من الربح، وظل على هذا فترة من الزمن.

وكان هذا الشريك يخون الأمانة ويتصرف في المال على النحو الذي لا يرضي الله.

وسبحان الله يرى هذا الرجل الذي نحسبه أنه من الصالحين رؤيا مفادها أن هذا الشريك يخونه.

ونحن نعلم أن الرؤيا لا يعول عليه كثيرًا في الحكم على الآخرين، لكن رؤيا الصالحين غالبًا ما تقع إذا كانت خيرًا.

يقول: فتعجبت من الرؤيا ولم يكن يخطر ببالي أن هذا الشريك يخون ويقبل لنفسه أن يأكل حرامًا.

وهنا يقرر أن يتحرى الأمر قبل أن يتهم الرجل بسبب رؤيا رآها في منامه فهذا مما لا يجوز شرعًا.

ظَهَرَ صِدقها

ثم يذهب إليه فجأة في ليلة خميس ويطمئن عليه وعلى صحته وعلى التجارة، فيخبره بأن الأمور تسير على أفضل حال، ثم يطلب منه أن يطلع على الحسابات.

وسبحان الله الحفيظ يجد أن الرؤيا حق وصدق وأن شريكه الذي ائتمنه يخون الأمانة ويأكل حرامًا، وينكشف أمر الخائن فطأطأ رأسه، وجادل في الباطل بدل أن يطلب منه السماح.

نعوذ بالله

ونعوذ بالله من الكسب الحرام. «**فَكُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ**»[١].

عرض نفسه لغضب الله، ومنع نفسه من البركة التي لا تلحق بصاحب الكسب الحرام.

ومن قبول دعوته، فمن أهم أسباب استجابة الدعاء الكسب الحلال، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ**»[٢].

القرار الصائب

وينهي هذا الرجل الشراكة مع التاجر الخائن.

ويحفظ الله ماله، ويرده عليه برؤيا رآها.

ولولا هذه الرؤيا لظل الأمر كما هو عليه، وظل

(١) أخرجه: الترمذي رقم (٦١٤).

(٢) أخرجه: الطبراني في الأوسط رقم (٦٤٩٥).

الآخر يعبث بالمال ويأكل الحرام، وربما خرج هذا الرجل دون أن يأخذ ماله..

فسبحان ربي الحفيظ، سبحان ربي الوكيل، سبحان ربي الحسيب.

فاللهم احفظنا وذريتنا وأهلينا من الكسب الحرام، وارزقنا يا رب رزقًا حلالا طيبًا مباركًا فيه واصرف عنا وعن ذرياتنا الشر والضر والفاقة والذل، وأغدق علينا من واسع فضلك الكريم.

۞ يحفظه وقت الشدائد بحفظه ۞

أخطأ في عجوز

وهذا يخبر بأنه كان شابًا طائعًا لله في صغره، وقد تعرض لموقف مع امرأة عجوز فأخطأت عليه وبسبب صغره واندفاعه رد عليها بطريقة لا تتناسب أن يتعامل بها مع كبار السن، لكن كانت ساعة غضب، وكانت العجوز أخطأت عليه مرارًا قبل ذلك، وكان بينها وبين أسرته بعض الخلافات.

يقول: ثم يشاء السميع العليم أن يعلم والده بخطئه على تلك العجوز، وإذا بالوالد يسأل ولده عما دار بينهما، ومن شدة خوف الولد من عواقب الأمور وارى على والده ولم يخبره بما أخطأ به عليها.

۞ توعده بإنزال أشد العقوبات ۞

ثم يتوعد الوالد ولده بإيقاع أشد العقوبات عليه إن كانت العجوز صادقة فيما ادعته عليه، وقد أُخبر الوالد بأن فلانة جارتهم قد شهدت بما أخطأ به صغيره.

فيترك الوالد ولده ويذهب لتلك الجارة ليستفهم منها عما حدث، ثم يعود للولد ليتم معاقبته بعد أن تأكد أن الجارة العجوز صادقة فيما ادعته.

۞ الدعاء والنجاة ۞

يقول الشاب سبحان الحفيظ: فألجأ إلى الله وأرفع يدي إليه وأدعوه أن ينجيني مما أنا فيه، ولا يعلم الوالد بما أخطأت به عليها، وسأطيب خاطر تلك العجوز إن

نجيتني من إظهار خطئي لوالدي.

ويتذلل لمولاه استرني يا رب، أنت تعلم أنها أخطأت علي مرارًا، وأنا رددت عليها مندفعًا ردًا لما وقع علي وعلى أسرتي من ظلم، نجني من كل مكروه وشر.

وظل يدعو حتى عاد والده ليخبره: بأن فلانة لم تؤيد فلانة فيما ادعته عليك، ولو كانت شهدت بأنك أخطأت على هذه العجوز لكان لي معك شأن آخر.

فيقول: حمدت الله كثيرًا أن نجاني، وعزمت ألا أعود إلى الخطأ في أحد حتى وإن استفزني، فالتصرف وقت الغضب ينتج عنه ما لا يحمد عقباه.

ثم يقول هذا الشاب: وقد مررت بعد ذلك بالجارة التي سألها والدي على ما دار بيني وبين العجوز، فأخبرتني بأن والدك جاءني يسألني عما دار بينك وبين العجوز وعما ادعته عليك، وأعرف دافعك من الرد عليها بهذا الأسلوب، وخفت إن أخبرت الوالد بما دار بالضبط لا يتفهم الأمر ويأتي ليعاقبك، فلذلك لم أخبره

بما أخطأت عليها بل واريت عليه.

۞ وعزم على أن ألا يعود ۞

فسبحان الحفيظ المجيب القريب.

من الذي حمى هذا الشاب الطائع وحفظه ونجاه مما يخاف؟!.

من الذي نجاه من عقوبة والده التي تيقن بوقوعها وعلم أنها واقعة لا محال إذ إن الشاب يعلم بخطئه؟!

من الذي جعل هذه المرأة تواري على والده ولا تخبره بالواقعة وتفاصيها؟!

إنه الله الحفيظ، ولجوء الشاب لمولاه والتضرع والتذلل له، وعزمه على أن لا يعود إلى التعدي على هذه المرأة ثانية، وأنه سيعتذر لها.

كان يقول: إلهي نجني مما أخاف وأخشى، أعترف بخطأي وذللي، أنت ربي وأنا عبدك المحب لك، ليس لي رب غيرك فأدعوه وليس لي إله غيرك يكون معي وقت شدتي، نجني مما أخاف وأحاذر، وإن نجيتني لن

أعود وسأكون لك كما تريد.

فكانت النتيجة أن نجاه الله مما يخافه ويحذر منه، فحمد الله كثيرًا.

فاللهم استر عيوبنا في الدنيا وفي الآخرة.

تريد حفظه احفظه

إذا أردت أن يحفظك الله عليك بحفظه، وأذكرك بوصية رسول الله ﷺ لمن أراد حفظ الله له، حيث وصى ابن عمه الفتى الصغير فقال له: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، تَعَرَّفْ عَلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ وَقْتَ الشِّدَّةِ**»(١).

هذه هي مقومات حفظ الله للعبد.

إن أردت حفظه لك عليك: بحفظ حدوده فلا تتعداها، وفرائضه فلا تضيعها.

(١) أخرجه: أحمد رقم (٢٨٠٣)، والترمذي رقم (٢٥١٦).

أن يجدك حيث أمرك، وأن يفتقدك حيث نهاك.

أن تقدم رضاه على رضى غيره ولو كان من أحب الناس إليك بل لو كانت نفسك التي بين جنبيك.

أن تكون وقافًا عند أوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب.

أن تكون له كما يريد يكن لك كما تريد.

إذا كنت كذلك حفظك ورعاك وأكرمك ووفقك وسددك وأرشدك.

ولا تنس اللجوء إلي الله صباحًا ومساءً ليحفظك وأهلك وذريتك، فقد كان من هدي نبيك عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن لا يترك تلك الدعوات، فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ**

يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»، قَالَ: يَعْنِي الْخَسْفَ(١).

فإن فعلت ذلك فقد دعوت ربك بأن يحفظ سمعك وبصرك وأعضاءك، ويوفقك لطاعته بهم.

تدعوه أن لا يلحق بهم مضرة من فقد أحدهم، أو أن تسلك هذه الأعضاء مسلكًا لا يرضيه سبحانه وتعالى فيعاقبك بأخذ النعمة التي عصيته بها.

فهو سبحانه قادر على حرمانك من عافيتك وسمعك وبصرك.

قادر على أخذ الأعضاء إن عصيته بها، وقد أخبر ربنا عباده بهذه الحقيقة فقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦].

---

(١) أخرجه: أحمد رقم (٤٧٨٥)، وأبو داود رقم (٥٠٧٤)، وابن ماجه رقم (٣٨٧١).

إنه اللّه جل جلاله

القريب

قريب سبحانه بعلمه وقدرته لعامة خلقه
وبلطفه ونصرته لعباده المؤمنين
وهو مع ذلك فوق عرشه لا تخالط ذاته
المخلوقات.

المجيب

يجيب دعوة الداعين، وسؤال السائلين
على ما يقتضيه علمه وحكمته

السميع

أحاط سمعه بكل سر ونجوى،
وكل جهر وإعلان
يسمع جميع الأصوات مهما قلت أو عظمت



﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ...﴾ [البقرة: ١٨٦].

«ان ربي قريب مجيب»

هل استشعرت معني اسم الله القريب والمجيب في مناجاتك لمولاك؟

هل ذقت حلاوة مناجاته وأنت مستشعر قربه بعلمه وسمعه وبصره وإحاطته بحاجاتك وضروراتك؟

فسر السعادة في تعلق القلب بالله، ومعرفته، ومراقبته، ورجاء ما عنده، وحبه، والخوف منه.

هل استشعرت قربه وعلمه حين سولت لك نفسك وغرك شيطانك في أن تفعل المعصية؟

هل تيقن قلبك أنه يراك ويسمعك ويبصر عملك وأنه يقدر على معاقبتك في الحال؛ فزجرك ذلك وابتعدت عن المعصية؟

۞ نزوة ألمت به ۞

تأججت به شهوته وعصفت به نزوته وابتز تلك المرأة الضعيفة ابنة عمه، ولما دفعتها الحاجة وفي ساعة ضعف منها شفقة على صغارها، وقد بحثت عن كل البدائل المشروعة فلم تجد، وكادت قلة ذات اليد أن تؤدي بأطفالها إلى الهلاك فقررت قرارًا خاطئًا أن تلبي للمبتز ما يريد، وتجيبه في طلبه من أجل أن تنقذ أولادها.

لكن خوف الله قد استقر في قلبها، فلما مكنته من نفسها بعدما أعطاها المال وجلس منها كما يجلس الرجل من زوجته، ارتعدت وخافت من خالقها، وخوفته من الله القريب المطلع عليهما، وقالت له: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه.

وكأنها تقول له: هذا لا يجوز لك فعله، هذا لا يحق لك.

الخاتم لا يُفض إلا بما أباح الله وشرع.

ألا تخاف من عقوبته في الدنيا والآخرة؟!

ماذا ستقول له إن وقفت بين يديه الأقدام حافية والأجساد عارية؟!

ألا تستحي من الذي أكرمك وأعطاك وأغناك؟!

أأعطاك أعضاءك لتعصيه بها؟!

أهذا جزاء من أحسن إليك، أتقابل الإحسان بالإساءة؟!

كيف ترضى لنفسك أن تقع في هذا الوحل؟!

كيف ترضى لنفسك أن تدخل فيمن وصفوا بأقبح الصفات؟!

وبمجرد ما يسمع هذه الكلمات وكأن عقربًا لدغه.

فينتفض ويتركها ويقوم عنها ويترك لها المال الذي أعطاه لها.

يتركها لماذا لأنه كرهها أو كره شيئًا رأه منها؟!

كلا وألف كلا، تركها وهي من أحب الناس إلى قلبه، تركها خوفًا من الله.

استشعر قرب الله منه، خاف من عواقب فعلته.

رأى أنه استغل حاجتها وفاقتها، بدل أن يمد يد العون لها وهي من أقرب الناس له.

لقد كان سبب ذلها ورضاها بما لا تحبه وترضاه.

وكانت النتيجة أن خلد الله هذا الموقف المشرف في السنة النبوية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لتقص علينا مواقفًا لأقوام دفعهم الخوف من الله إلى ترك ما يحبون ابتغاء وجه الله وخوف وقوع عقابه الدنيوي والأخروي.

ظلت هذه القصة على مر الأجيال لتقص علينا صورة مشرقة للخوف من الله الذي دفع من تأججت به شهوته أن يتركها عندما يُذكر ويُخوف بالله.. فخاف وقام فزعًا وجلًا.

ظلت هذه القصة شاهدةً على خوف الله الذي وقر في قلب هذا الرجل فكان له الأثر في اجتنابه للفاحشة بعدما أقدم عليها.

ॐ سفر ومشقة ॐ

هو المجيب لمن دعاه فيهدي التائهين ويرشد الحيارى والضالين..

أذكر أنني كنت في مكة، ونزلت في إحدى فنادقها، وخرجت وأنا والأهل إلى مركز توزيع وبيع زمزم لشراء ما يكفيني أنا وأسرتي فترة مكوثي في مكة.

وبعد أن وصلت إلى المكان فصل شحن الجوال فأخذت جوال زوجتي وفتحت الخرائط «**الجي بي إس**» وإذا به أيضًا يفصل شاحنها، وكنا على سفر ولم ننتبه إلى انتهاء شاحن الجوالات.

ॐ دعوة مضطر ॐ

وهنا نزلت وسألت بعض الناس عن كيفية الوصول إلى الفندق مكان سكني الذي نزلت فيه فعجزت أن أصل إلى المكان، وكنت متعبًا من مشقة السفر وكان أهل بيتي كذلك.

وهنا لجأت إلى الله وتضرعت إليه، وفجأة وبدون مقدمات أقرر أن أدخل إحدى محطات البنزين أسأل وأنا قد يئست من الوصول، وقبل أن أدخل تلك المحطة إذا بي أجد علامات طريق مررت فيه، فأسلكه فأصل إلى مكان سكني بعد اليأس من المكان.

من الذي هداني ودلني؟! إنه الله هادي التائهين ومجيب دعوة المضطرين.

فإذا داهمتك الخطوب، والتفت حولك الكروب، وحاصرتك الهموم فليس أمامك إلا علام الغيوب فالجأ إليه وانكسر بين يديه، وتضرع إليه، وستجد الفرج بعد الكرب، واليسر بعد العسر.

ॐ وصلت ليلًا ॐ

كنت استأجرت سكنًا في مكة لمدة، ورجعت إلى مقر عملي، وكان يبعد عنها قرابة الألف كيلومتر، وبعد فترة أردت الرجوع إلى هذا السكن المستأجر، ووصلت مكة في منتصف الليل، وكانت ليلة شديدة الظلمة، وقد

ضللت الطريق، وقرابة ساعة وأنا أبحث عن الطريق المؤدي إلى سكني، وكنت متعبًا مرهقًا من طول الطريق.

ॐ دعوته سرًا منكسرًا ॐ

وإذا بي ألجأ إلى ربي أدعوه وأنا منكسر القلب، متعب الجسد، وما هي إلا فترة قصيرة وبدون مقدمات وإذا به سبحانه يهديني إلى الطريق وأصل إلى سكني في أمن وأمان.

فسبحان الهادي مررت من هذا الطريق أكثر من مرة وإذا بي أدخل من مدخل آخر وأعود مرارًا وفجأة بعد اللجوء إليه والاعتماد عليه، وتفويض الأمر له إذا به سبحانه يرشدني ويهدني إلى طريق بيتي فأصل إليه بعد أن يئست نفسي وأُرهق جسدي، فسبحان الهادي.

الخاتمة الحسنة

كان من الدعوات التي يدعو بها في حياته ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

فيموت وهو يصلي، وهو ساجد بين يدي مولاه.

وكانت آخر آية قرأها في صلاته ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وآخر دعاء دعاه ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

ويلقى الله وهو ساجد.

هل تتمنى حسن الخاتمة؟

هل تشتاق إلى أن تكون آخر لحظاتك في الدنيا طاعة لمولاك؟

هل فكرت يومًا في آخر لحظاتك في هذه الدنيا كيف ستكون؟

هل تذكرت قصصًا كثيرة سمعتها عن أقوام أتتهم منيتهم وهم يصلون، وهم صائمون، وهم يحجون، وهم يعتمرون، وهم يتصدقون، وهم يعملون أعمالًا حسنة.

لقد قبضت أرواحهم وهم على الطاعة.

هل فكرت يومًا لماذا كانت خاتمتهم على هذه الحالة الحسنة؟

يجيبك على ذلك الإمام ابن كثير طيب الله ثراه بقوله: «**لقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه**».

عرفت الإجابة؟

إن عشت على الطاعة مت على الطاعة وبعثت عليها.

وإن عشت على المعصية مت عليها وبعثت عليها، إن لم يلطف بك ربك وتقلع عنها وتتوب توبة نصوحًا.

۞ السؤال المنطقي ۞

أسألت نفسك سؤالا منطقيًا لماذا ختمت دنياهم على هذه الكيفية التي يتمناها كل مسلم؟ السبب هو طاعتهم لخالقهم وكثرة دعائهم في ليلهم ونهارهم بحسن الخاتمة.

فاسلك طريقهم إن أردت اللحاق بهم.

۞ دعاني صديق ۞

يدعوني صديق لي جمعني الله به في الفردوس الأعلى أن أصلي معه الجمعة في إحدى قرى محافظة القليوبية وهي إحدى محافظات مصر، وكان يومها هو خطيب ذلك المسجد الذي كان سيخطب فيه أول خطبة بعد افتتاحه، وقد دُعي من قبل أحد أبناء صاحب المسجد لافتتاح المسجد.

كان ذلك الصديق مفوهًا، ولما دعاني للحضور معه لبيت دعوته وصليت معه في هذا المسجد، والتقيت بأبناء صاحب المسجد وأهله، ثم دار حوار بيني وبين

صديقي، وذكر لي قصة المسجد وصاحبه.

ॐ مسجد له قصة ॐ

أما عن المسجد فقد سعى صاحبه قبل وفاته بشتى الطرق من أجل بنائه، بعد أن اشترى أرضًا وخصصها لبناء بيت لله، يطمع أن يبنى الله له بيتا في الجنة، فهو يعلم أن رسول الله قال: «**مَنْ بَنَى لِلَّهِ بَيْتًا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**»(١).

يطمع في الأجور العظيمة التي سينالها، فإنه سيأخذ أجرًا كأجر كل من يصلى في المسجد، فالمسجد من الصدقات الجارية التي لا تنقطع بعد موت العبد.

ॐ ذكرى لشاب ॐ

وهنا يحضرني قصة شاب من بلاد آسيا، أعجمي، وكان يعمل سائقًا عند بعض من أعرفهم، فالتقيت به

(١) أخرجه: مسلم رقم (٥٣٣).

ذات مرة ودار حوار بيني وبينه ذكر لي أنه اشترى مزرعة في بلده وخصص فيها مكانًا بناه مسجدا لله.

فسألته لماذا قمت بذلك؟

قال بفطرته الطيبة: إذا مت لا ينقطع عملي.

يبقي كل من يصلي في هذا المسجد يأتيني أجره وأنا في قبري.

حسنات كثيرة لا تنقطع بعد موتي.

وهذا السبب الذي دفعني للقيام ببناء هذا المسجد.

فسبحان من وفقه لهذا مع أن راتبه ليس بكبير، وقد تستغرب أنه ظل في غربته لأكثر من عشر سنوات ليسد حاجاته وحاجات أهل بيته ومع ذلك لم ينس آخرته.

فقدم بعض ما يستطيع من الصدقات الجارية التي تنفعه بعد موته، وقد قال النبي ﷺ « **إِذَا مَاتَ ابْن آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ**

يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(١).

۞ إنه التوفيق ۞

وبناء المساجد التي يذكر اسم الله فيها من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى مولاه.

ولا يوفق إلى ذلك إلا من وفقه وسدده الله.

كم من الأغنياء الذين ملكوا ملايين بل مليارات الأموال حُرِموا من إنفاقها في القربات التي يتقربون بها إلى رازقهم؟! بل تسلطوا على المال فأنفقوه في الملذات والشهوات والمحرمات، وحرموا من ذلك الخير الفضيل والعمل الجليل، والثواب الجزيل؟

وكم من متوسط الدخل أو من دخله يكاد يكفي لضروراته وضرورات من يعول ومع ذلك اقتطع من ماله جزءا يسيرًا إلا أن يسر الله له بناء بيت من البيوت التي يذكر فيها اسم الله كثيرًا ويتعبد لله فيها.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (١٦٣١).

والموفق من وفقه الله ويسر له فعل الطاعات، فييسره لليسرى، وهذا الصنف يصدق فيه قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ – ٧].

وأما الصنف الأول فيدخل في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٨ – ١٠]، نسأل الله أن ييسرنا لليسرى وذرياتنا وأهلينا والمسلمين.

تحقيق أمنية

وهنا أعود إلى قصة صاحب المسجد الذي صلينا فيه صلاة الجمعة مع صديقي الخطيب الذي جاء ليفتتحه، فقد سعى صاحبه لبنائه وتشييده وخصص مبلغًا من المال لذلك بعد أن اشترى قطعة أرض لهذا الغرض، إلا إنه في هذه الفترة قد اشترطت الدولة شروطًا لمن أراد القيام ببناء المساجد حالت بينه وبين بناءه في حياته.

وأحسبه والله حسيبه صادق النية صافي السريرة بينه

وبين ربه قربات ودعوات، فيموت رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبعد موته يحقق الله أمنيته وييسر الله بناء المسجد على يدي أبنائه بما خصصه من أموال لهذا الغرض.

فمن صدق الله صدقه مولاه، ومن أخلص لله ولجأ إليه حقق طموحاته وأمنياته من حيث لا يحتسب.

له قصة

أما عن هذا الرجل الذي اشتهر بين أبناء قريته بالصلاح والإصلاح، فلا تجده إلا محافظًا على الصلوات في جماعة، إمامًا يؤم الناس في صلواتهم، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، مصلحًا بين المتخاصمين.

وهذا خير ما يقوم به المسلم، وقد رتب الله على هذا الفعل الأجر العظيم، فقد أخبر ربنا بأنه ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

فهل تصورت معي الأجر العظيم، وهو ممن؟! من الكريم الجواد المنان المعطي سبحانه وتعالى.

۞ وجاءت الساعة ۞

في يوم وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان كعادته الدائمة يصلي الفجر إمامًا بالناس، وكان آخر آية قرأها في الركعة الثانية ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، ثم ركع ثم رفع من الركوع، وكان شافعي المذهب، فأخذ يدعو لقنوت الفجر، فدعا وكان آخر دعاء دعاه ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] ثم سجد فما قام من سجوده، حيث فاضت روحه إلى خالقه، ليلقى الله وهو ساجد، ويبعث وهو ساجد، فمن مات على شيء بعث عليه.

۞ لابد من دفع الثمن ۞

أرأيت كيف كانت خاتمته؟!

إنها خاتمة حسنة، تتمناها، بل يتمناها كل مسلم.

إن هذه الخاتمة لها ثمن دفعه سابقًا طيلة حياته، وهي الاستقامة على الطاعة والمسارعة والمسابقة إليها، ومجاهدة نفسه وشيطانه وأهوائه.

فمن دفع الثمن وفق لحسن الخاتمة.

وأنت بالخيار، فاختر لنفسك أي الخاتمتين تحب أن تكون من نصيبك؟!

واعلم أن من يقرر خاتمتك؛ عملك، وما اقترفته جوارحك.

والسعيد من وفقه الله للمسارعة في الخيرات والسباق نحو الجنان.

ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله هي الجنة، فادفع المهر تفز بالجنة.

وللجدة قصة

عاشت على الطاعة وداومت عليها في حياتها..

تتضرع لخالقها بحسن الخاتمة طيلة حياتها.

فحقق الله لها ما تمنته، رحمها الله رحمة واسعة وأمواتنا وأموات المسلمين.

لقد كانت

جدتي لأبي رحمها الله طالما كنت أشاهدها تستيقظ قبل الفجر لتقوم الليل، وتدعو ربها وتناجيه تسأل الله من خيري الدنيا والآخرة لها ولأبنائها وذريتها.

وكنت أتعجب من حالها حيث تفرد بالدعاء أبناءها وبناتها وذرياتهم واحدًا واحدًا.

والدعاء للأبناء والذرية من هدي الأنبياء، ألا ترى إلى نبي الله إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يدعو لأبنائه وذريته ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، ويقول: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن

ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

إنها الذرية

فمن اليوم نصيحة محب لك: لا تنس الأبناء والذرية من دعواتك، وأكثر من قولك، ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٠] ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران: ٣٨]، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

الزم تلك الدعوات وستجد ثمرتها إن شاء الله في ذريتك، أصلح الله لنا النية والذرية.

لقد كانت رحمها الله تحافظ على الصلوات في أوقاتها، وعلى جميع نوافل الصلاة، من السنن الرواتب وصلاة الضحى وقيام الليل.

كنت أراها وقد وهن عظمها واشتعل شعر رأسها

شيبًا وانحنى ظهرها وتقوس، ومع ذلك تتعجب من ملازمتها على صلواتها للنوافل وهي جالسة.

ربت أيتامًا وأكرمتهم وكانت تخبرني وتتفاخر بذلك.

لقد بذلت كل ما في وسعها ولم تبخل عليهم بصحتها ولا بمالها ولا بشبابها.

لقد قامت على شؤونهم وغمرتهم بالحنان والحب والرحمة.

كنت أسمع منها كثيرًا تلك المقولة: أنا سأزاحم النبي ﷺ على الحوض.

فأقول لها لما يا جدتي؟!

فتقول: لأني ربيت أيتامًا، تقصد حديث النبي ﷺ «**أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ**»(١).

ومن المعلوم أن كفالة اليتيم لها من الأجور العظيمة

(١) أخرجه: البخاري رقم (٥٣٠٤)، والترمذي رقم (١٩١٨).

التي بينتها السنة النبوية، ويكفي «**أن من أفضل البيوت بيتًا يحسن فيه ليتيم**».

۞ وجاء يومها ۞

في يوم وفاتها رحمها الله تقوم بعد شروق الشمس كعادتها لتتوضأ وتصلي صلاة الضحى، ولا يخفى على كريم علمكم فضل تلك الصلاة، فقد قال حبيبك النبي ﷺ «**يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى**»(١) أرأيت هذا الفضل الكبير؟

يكفي المتمسك بها أنه وصف بالأواب، فقد قال النبي ﷺ: «**صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ إِذَا رَمِضَتِ الشَّمْسُ**»(٢).

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٧٢٠).

(٢) أخرجه: مسلم رقم (٧٤٨).

ويزداد الفضل ويعظم الأجر إذا صلى المسلم الفجر في جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتي الضحى.

لقد كان هدي نبيك محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعد صلاة الفجر والمكوث في المسجد لا يخرج منه حتى تشرق الشمس.

فالتمسك بهذه السنة المهجورة ينبغي أن يحرص عليه كل مسلم لعظيم أجرها.

ومن تأمل أحوالنا في هذا الزمان يجد أنه يندر من يقوم بهذه السنة.. «**ومن تمسك بالسنة عند فساد الأمة فله أجر شهيد**»، وكذلك لك أجر حجة وعمرة تامة، ففي الحديث: «**مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ**»(١).

(١) أخرجه: البغوي في شرح السنة رقم (٧١٠).

يا له من أجر عظيم وفضل وفير من رب جواد كريم، يجزل العطايا ويضاعف الحسنات، سبحانه ما أجوده، سبحانه ما أكرمه، سبحانه ما أعظمه.

صلاة الأوابين

تقوم الجدة رحمها الله ورضي عنها لتتوضأ لصلاة الضحى.

وهي صلاة شكر نعم الأعضاء، التي تفضل الله بها على عباده، فيجب عليهم شكر النعمة، ومن صلاها فقد أدى شكر نعمة الأعضاء.

وعند رفع الجدة قدمها لتغسلها تسقط على الأرض، فيحملها ابنها رحمهما الله ورحم أموات المسلمين ليجلسها على مصلاها، وتفيض روحها إلى بارئها وهي على مصلاها.

﴿ألم أخبرك؟﴾

ألم يقل لك ابن كثير طيب الله ثراه: «**من عاش على شيء مات عليه**»؟!

عاشت على الطاعة فماتت عليها لتحشر إن شاء الله عليها.

رأيتها بعد موتها ضاحكة مستبشرة أشرق وجهها نورًا، وصدق الله حين قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨ – ٣٩] جعلنا الله وإياكم من هذا الصنف.

﴿قصص مشابهة﴾

وقصص الذين قبضت أرواحهم وهم في طاعة قد فاضت بها الأخبار والروايات.

فهذا جدي لأمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يموت بعد أن نطق الشهادتين في عصر يوم الجمعة.

وقد شاهدته بأم عيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة رفع

سبابته وتشهد بالشهادتين.

وقد عاصرته رَحِمَهُ ٱللَّهُ فوجدته من أكثر الناس مواظبة على صلاة الجماعة في المسجد، يذهب قبل الآذان ويصلى النوافل القبلية والبعدية، لا يتركها أبدًا إلا لظروف طارئة، يواظب على قراءة القرآن، ذكرت أمي غفر الله لها وأسكنها الفردوس الأعلى من الجنة أنه كان من أبر الناس بأمه، وحكت لي بعضًا من بره لها والقيام على شؤونها، وكان يقوم على شؤون أقاربه ويسعى في حاجاتهم، ويقوم على بيت الله فيلبي حاجاته.

يموت ساجدًا

وهذا أحد المشايخ الذين حملوا هم الدعوة ودلالة الناس على الهداية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له، يموت يوم يموت في اليوم الذي أحبه من كل قلبه، في يوم الجمعة، دخل الخلاء فاغتسل وخرج، ثم لبس ثوبه الأبيض وتطيب، وأراد أن يصلي ركعتين ليخرج إلى المسجد المجاور إلى بيته، فصلى الركعة الأولى في كامل قوته وصحته،

وفي الركعة الثانية وهو يركع سقط على الأرض، فأسرع إليه أهله فوجدوا روحه قد فاضت إلى الله جل وعلا.

والآخر يموت بعد الانتهاء من مناسك الحج.

وهذا يموت محرمًا.

وهذا يموت وهو يقرأ القرآن.

وبعضهم يموت وهو ذاهب للصلاة.

والآخر يموت وهو في المسجد.

نسأل الله حسن الخاتمة، ونسأله الشهادة في سبيله والموت في مدينة رسوله.

الصلاة والمجاورة

إنها الصلاة على النبي ﷺ رطب لسانه بترديدها.

حرص طيلة حياته على الصلاة على النبي ﷺ.

لا يكاد لسانه يفتر عن ذكر الله والصلاة على رسول الله.

يصلى على النبي ﷺ في يومه وليلته أكثر من ثلاثة

آلاف مرة.

جعل للنبي ﷺ دعاءه كله فكانت النتيجة:

يأتي من وطنه إلى المدينة المنورة قبل وفاته بثلاثة أيام ليدفن بجوار قبر النبي ﷺ في البقيع.

وطنه الذي يعيش فيه بينه وبين المدينة المنورة قرابة الألف وسبعمائة كيلومتر، قبل موته بثلاث فقط ينتقل منه ليجاور النبي ﷺ، نسأل الله من فضله الكريم.

۞ تُكفى همك ويغفر ذنبك ۞

ذكرتني قصته بقصة الصحابي الجليل أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين ذكر للنبي أنه يكثر من الصلاة عليه، فكم يجعل من صلاته عليه؟

وسأخبرك بالحوار الذي دار بين الصحابي الجليل أُبي بن كعب وبين رسول الله، حيث قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «**مَا شِئْتَ**». قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: «**مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ**

زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»(١).

كذلك ذكرتني قصته بقصة الصحابي الجليل سلمة ابن الأكوع الذي اعتزل الفتنة وجلس في الصحراء، وقبل موته بثلاث نزل المدينة فمات بها، ودفن في البقيع، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن الصحب الكرام ومن تبعهم بإحسان، ورزقنا الله وذرياتنا مجاورة نبينا الكريم، والشهادة في سبيله، والموت في مدينة رسوله ﷺ.

يقص القصة

يحكي لي أحد أبنائه، قصته فيقول: مرض أبي مرضًا شديدًا واشتد عليه المرض، وتم حجزه في المستشفى، وكان قد قدم أوراقه قبل عدة أشهر ليذهب للعمرة.

(١) أخرجه: الترمذي رقم (٢٤٥٧).

يقول: ويعلم أبي أن تأشيرة العمرة قد حصل عليها وأن رحلته ستقلع غدًا، وكانت الرحلة برًا.

وقبل العصر إذا بأبي يجمع أغراضه ويقول لي: يا محمود لنذهب للبيت.

وكان هذا الصديق وقتها يدرس في كلية الطب وكان مرافقًا لأبيه.

فتعجب الابن من قوله، حالته لا تسمح له بمغادرة المستشفى.

فراجعه الابن، وبين له خطورة إقدامه على مثل هذا الفعل الذي من شأنه أن يلحق به الضرر، فقال له: قلت لك لنذهب للبيت.

إصرار ورضوخ

وبعد محاورة بينهما أصر الوالد على الذهاب وبالفعل ينصاع الابن لرغبة أبيه، ويتفاجأ جميع أهل البيت بقدومهما وتركهما المستشفى.

والأعجب من ذلك كانت المفاجأة عندما أخبرهم أنه سيذهب في الرحلة التي مقرر لها الذهاب غدًا إلى المملكة العربية السعودية لأداء العمرة وزيارة مسجد رسول الله ﷺ، وهو في قرارة نفسه يتمنى ألا يعود بل يدفن في البقيع بجوار النبي ﷺ الذي أحبه من كل قلبه، وكان يصلي عليه في اليوم والليلة أكثر من ثلاثة آلاف مرة.

۞ تحقق ما تمناه ۞

وبالفعل يرضخ الأبناء لرغبة أبيهم، ويذهب في رفقة جار لهم، وما إن ينزل المدينة ويبيت ليلته الأولى إلا وتفيض روحه إلى خالقها، وقد تحققت أمنيته التي طالما تمناها، ويدفن بجوار حبيبه الذي كان يلهج لسانه مصليًا ومسلمًا عليه في كل وقت وحين.

انشغل بالصلاة على النبي ﷺ، فسافر آلاف الكيلومترات ليرقد جسده في أطهر بقاع الأرض، ويجاور الأطهار. فرَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة وجميع

المسلمين، وأحسن خاتمتنا جميعًا وذرياتنا.

ॐ وللقصص بقية ॐ

حدثتني أمي أسأل الله أن يرزقها الفردوس الأعلى من الجنة ووالدي وأهلينا بأكثر من قصة شبيهة للقصة السابقة، رجال من أفضل الناس خلقًا وأكثرهم عبادة وتواضعًا، وسعيًا في قضاء حوائج الناس، ومساعدة الفقراء، أصفياء القلب، لا يحملون حقدًا أو حسدًا أو غشًا لأحد من الناس، اشتهروا بالصلاح والإصلاح.

فهذا رجل صالح يخرج من البلدة التي نعيش فيها لأداء فريضة الحج، تقول أمي: وفي آخر يوم يقضيه في المدينة المنورة هو ورفاقه، وفي صبيحة اليوم الذي سيعودون فيه إلى بلدانهم ذهب أحد مرافقيه إلى الغرفة التي يسكن فيها لإيقاظه لصلاة الفجر فيجده قد فاضت روحه إلى خالقه، ليدفن في البقيع، بعد أن أدى مناسك الحج كاملة، وذهب لزيارة مسجد رسول الله ﷺ.

وآخر تحكي عنه تقول: وهو خارج من بلدته: قال:

أسأل الله أن لا أعود إليك وأن أدفن في تلك البقاع الطاهرة، فيستجيب الله دعاءه، ويدفن في البقيع بعد فراغه من مناسك الحج، وقبل عودته إلى بلده الذي يسكن فيه.

وقصص غيرهم كثيرة وكثيرة هذه القصص التي وقفنا على أحداثها أو رويت لنا، هي وغيرها أكثر من أن تحصى في مثل هذه الورقات.

فكن على الجادة.

ولا تضيع الفرصة.

فالفرص لا تتكرر كثيرًا..

تأتي الفرص غالبًا مرة واحدة.

أيامك التي ستعيشها لا تعود.

ولن تخلد في الدنيا.

فكن كيسًا فطنًا.

واغتنم أوقاتك في عمل الصالحات.

وسابق أهل الطاعات في طاعتهم.

فكم من ميت في قبره قد صار أشلاء ممزقة وأوصالًا متفرقة وصحف حسناته متزايدة.

لا تتوقف تلك الصحف عن الزيادة.

فأعمال الخير مهداة إليهم من حيث لا يحتسبوا.

والسبب خيرات قدموها في دنياهم.

وصدقات جارية يصل إليهم ثوابها بعد مماتهم..

ضع نصب عينيك وصية النبي ﷺ التي تكتب بماء الذهب، حيث قال: « **احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ** »[١] وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: « **اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ....** »[٢].

فاغتنم حياتك واحرص على ما ينفعك فيها في آخرتك.

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٦٦٤).

(٢) أخرجه: الحاكم رقم (٧٨٤٦)، والبيهقي في الشعب رقم (٩٧٦٧)

اغتنم شبابك قبل هرمك وضعفك.

اغتنم غِناك قبل فقرك وفاقتك.

اغتنم صحتك قبل سِقمك.

اغتنم فراغِك قبل شغلك.

سابق أهل الصلاة في صلاتهم.

وأهل الصيام في صيامهم.

وأهل الصدقة في نفقاتهم.

وأهل بر الوالدين في برهم.

وأهل صلة الرحم في صلتهم.

وأهل القرآن في تلاوتهم وتدبرهم والعمل بما فيه.

وأهل حسن الخلق في خلقهم.

وأهل مساعدة الآخرين في صنيعهم.

وأهل تفريج الكربات في إدخالهم السرور على غيرهم وتخفيف آلامهم.

لا تلهيك الحياة ولا يغرك شبابك وسطوتك، ولا

يزين لك الشيطان صنيعك.

فكم لاهيًا ساهيًا جاءه الموت فجأة؟!

فاستعد ولا تركن إلى الدنيا وزينتها وزخارفها، ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ﴾ [النحل: ٩٦].

أعرفه جيدًا

رجل أعرفه يعيش في بلدتنا.

كان من المبكرين للصلاة.

كان من أهل الجماعة الأولى في المسجد.

كان من أهل الصف الأول.

كان ممن يحرصون على أداء النوافل القبلية والبعدية.

كان كثير الدعاء بين الآذان والإقامة وبعد الانتهاء

من الصلاة.

كان يطيل السجود يدعو ربه بخيري الدنيا والآخرة.

۞ هكذا كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ۞

رجل عمره في آواخر الخمسينات من أصحاب الصف الأول في المسجد، لا تصلي غالبًا في المسجد الذي يصلي فيه إلا وجدته قد حجز مكانه في الصف الأول، حيث كان يبكر إلى الصلاة دائمًا.

حسن الخلق، هادئ الطبع، مبتسمًا دائمًا.

في أواخر حياته أطلق لحيته، فزادته جمالًا مع جماله، فاستنار وجهه، يطيل السجود، يلهج لسانه بالدعاء فيه وبعد الصلوات، يسأل ربه من خيري الدنيا والآخرة.

۞ وفي صلاة الظهر ۞

وفي إحدى الأيام كنت أصلي صلاة الظهر، وبعد الانتهاء من الصلاة والخروج من المسجد إذا بأحد

الجيران يوقفني ويسألني عن الشيخ فلان، وهذا الذي يسأل عنه أحد الأقارب.

فقلت له: ولم تسأل عنه؟ قال: مات عمك فلان ونحتاج منه كفنًا وأن يغسله.

فقلت: سبحان الله صلى معنا الفجر في جماعة.

قال لي: ومع ذلك مات صائمًا، فقلت: سبحان الله اليوم الأحد أي صيام يصومه؟!

قال: اليوم الرابع عشر من الشهر العربي، وهو اليوم الثاني من الأيام البيض.

وكان من عادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يصوم الأيام البيض من كل شهر.

۞ فاضت روحه ۞

وقد أخبرت بعد ذلك من قبل زوجته قصة وفاته وآخر ساعة قضاها في الدنيا.

فتقول: كان عمك فلان رَحِمَهُ ٱللَّهُ صائمًا الأيام

البيض، وكان مريضًا بمرض القلب، وفي اليوم الذي توفي فيه جاءته الأزمة، فجئت له بماء فرفض أن يشرب.

فأخذت قطنة بللتها بماء لأبلل بها شفتيه، فأغلق شفتيه وأمسك بهما، ورفض أن يدخل فمه قطرة ماء واحدة، حتى فاضت روحه وهو صائم.

فقلت لها: أبشري فقد أخبر النبي أنه من ختم له بصوم يوم دخل الجنة، وهذا من علامات حسن الخاتمة، فعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ إِلَى صَدْرِي فَقَالَ: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - قَالَ حَسَنٌ: ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ - خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١).

هل ما زلت تذكر كلام ابن كثير طيب الله ثراه الذي ذكرته قبل؟ أنه من عاش على شيء مات عليه.

(١) أخرجه: أحمد رقم (٢٣٣٢٤)

هل تأكدت هذه المعلومة لديك؟

هل تواترت إليك الأخبار بتلك الحقيقة؟

هل اشتاقت نفسك أن تلحق بركاب الصالحين وتحشر معهم؟

إن كنت كذلك فالأمر سهل ما دامت نفسك بين جنبيك.

المطلوب منك فقط: أن تقلع عن ذنوبك وتتركها وتنوِ أنك لن تعود إليها.

وأن تطلب من ربك مغفرتها.

وإن كان عندك حقوق للآخرين تردها إليهم وتطلب السماح منهم.

وأن تجتهد في فعل الطاعات والقربات التي تقربك من رب البريات، وتواظب عليها حتى تلقى مولاك.

هل هذا يشق عليك؟

إذا كان يصعب عليك ذلك تذكر العواقب والمخاطر التي تنتظرك إن استمر حالك على هذا

الحال.

هل جسدك الضعيف يتحمل العذاب؟!

أعتقد أنه لن يتحمل.

إذًا فاجتهد واطلب من ربك العون والإعانة.

فالسلعة تستحق أن تضحي من أجلها.

إنها الجنة التي فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فهل من مشمر للجنة؟

جعلنا الله ووالدينا وذرياتنا وأهلينا من أهل الفردوس الأعلى من الجنة.

يكثر من ذكرها

كان يكثر من تلك الدعوات، يكررها في صلواته...

ويتحرى بها أوقات الإجابة فيقول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ

ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥]. «**اللهم ارض عني وعن أبنائي**».

تسمعها منه كثيرًا عندما يخاطب أبناءه: «**اللهم إني راض عن أبنائي فارض عنهم**»

۞ شيخ وقور ۞

كثيرًا ما كنت أسمع هذه الدعوات من هذا الشيخ الوقور، الذي نشأ يتيمًا، وتزوج صغيرًا، وأنجب ذرية نحسبها صالحة، فكل أبناءه وبناته حفظة لكتاب الله، وأغلب أحفاده ختم كتاب الله أو في طريقه إلى أن يختم كتاب الله، فلا تجد غالبًا من يتجاوز الثانية عشرة سنة من أحفاده إلا وقد أتم حفظ كتاب الله، فقد حصرت من حفظ من أبنائه وأحفاده بعد تتبع وتحري فوجدت أن الحفظة الآن وصلوا إلى ثلاثة وعشرين حافظًا لكتاب الله، ما شاء الله تبارك الله، اللهم بارك وزد، وبقية الأحفاد في طريق الالتحاق بالسابقين.

والأعجب من ذلك أنه تخرج على يدي بعض أبنائه

كثير من الحفظة يصعب حصرهم، أسأل الله أن يحفظهم بحفظه وأن يزيدهم من فضله وأن يبارك فيهم وفي ذرياتنا وجميع المسلمين.

ॐ يغبط عليها ॐ

أظن أنه قد اشتاقت نفسك لذرية مثل هذه الذرية، فكم من الحسنات التي تكون في كفة حسناته وهو في قبره؟

وكم درجة قد رفع بها في الجنة بسبب تلك الأعمال الصالحة التي تصله كل يوم إن شاء الله.

نعم إن من الغبطة أن تغبط أمثال تلك الذرية الطيبة.

إنها نماذج مشرقة لأقوام عاشوا بيننا وفي زمننا، سمعنا بقصصهم ووقفنا على مشاهدة بعض أعمالهم بأم أعيننا، فلم تكن قصصًا من نسج الخيال، بل من واقع مشاهد ملموس.

۞ إنه التوفيق ۞

ربما تظن أن هذه هبة من الله وتوفيق واصطفاء واختيار لأمثال هؤلاء.

نعم إنه كذلك، فالموفق من وفقه الله لمثل هذه الأعمال.

لكن الذي لابد أن تعلمه أن هناك أسبابًا سلكوها وطرقًا اتبعوها حتى وصل حالهم إلى ما تراه وتشاهده أو تسمعه.

۞ النشأة والتحول ۞

سأحكي لك قصة هذا الرجل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، فأعرني قلبك.

نشأ يتيما، وتزوج من قريبة له، عاش كبقية الشباب يكدح من أجل توفير لقمة العيش.

وفي هذه الفترة من شبابه يسلك طريق الاستقامة والهداية، فيحب هذا الطريق ويحب أهله.

صدره لا يحمل حقدًا ولا حسدًا ولا غشا لمسلم.

يتحرى كسب الحلال.

يأخذ بيد أطفاله منذ صغرهم إلى المسجد.

لا تكاد تخطيء عينيك أحدًا من أبنائه الصغار الذين ربما لم تتجاوز أعمارهم السابعة إلا وهم يحضرون جميع الصلوات ويحافظون عليها حتى صلاة الفجر، وفي أشد الليالي الباردة.

يحرص أن يصحبهم إلى حلق العلم والقرآن، وإلى صلة الأرحام، والإحسان للفقراء وأصحاب الفاقة والحاجة.

الأخذ بالأسباب

يبحث عمن يعلم أولاده كتاب الله في قريته التي عاش فيها، وبالفعل يلتحق الكبار منهم ببعض الكتاتيب التي كانت منتشرة، لكن لم يجد الثمرة المرجوة، بسبب عدم اتقانهم للتحفيظ.

فيقرر أن يلحقهم بكُتَابٍ يبعد عنهم مسافة طويلة،

يمشي الأبناء مسافة كبيرة، ثم يركبون حافلة، ثم يمشون مسافة أخرى أطول من التي سلكوها من قبل إلى أن يصلوا إلى الشيخ، ثم يعودون إيابًا نفس المسافة التي قطعوها ذهابًا.

وكان مكمن الخطورة أنهم كانوا يقطعون طريقًا سريعًا للسيارات يربط بين المحافظات، ربما يكون من أسباب وفاتهم أو لحوق الضرر بهم.

التسليم المطلق

وقد حذرته جدتهم من هذا الأمر عدة مرات، لكنه قال: يا أماه اطمئني، الحافظ هو الله، وهم يسلكون طريقا يلتمسون فيه علمًا، وهذا طريق الجنة، يقصد حديث النبي ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**»(١).

يا أماه حتى إن قدر الله أن يموتوا، فإن ماتوا ماتوا

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٦٩٩).

شهداء نحتسبهم عند الله، وإن عاشوا عاشوا حمداء، والآجال مقدرة بيد الله، لن يؤخر جلوسهم في البيت وعدم ذهابهم إلى التحفيظ في تلك القرية أعمارهم، ولن يقدم ذهابهم إلى تلك القرية آجالهم، فالأعمار مقدرة مكتوبة قد كتبت والمرء في بطن أمه، فقد قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

ॐ تتابع البشريات ॐ

وفي شهور معدودة يختم الابن الأكبر كتاب الله، ثم يتبعه بقية إخوانه وأخواته فيختمون كتاب الله، ويتقنونه.

ويا له من فضل، وأي فضل من أن تأتيك بشارات متتالية بختم أبنائك لكتاب الله، حيث فوزك أنت وهم بخيري الدنيا والآخرة إن عملت بما فيه؟!

وسأذكر لك بعض فضائل حملة كتاب الله وحفظته لأشحذ همتك، لعلك وأهل بيتك تزاحم هذا الصنف من أهل الفضل، فاصغِ قلبك لتلك الفضائل:

البشارات تتوالى لأهل القرآن المحبين له، فعن عبد الله قال: «**مَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَلْيُبْشِرْ**»(١).

أهل القرآن الحافظون له العاملون بما فيه هم أهل الله وخاصته، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**»(٢).

أهل القرآن هم خير الناس، «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»(٣).

أهل القرآن اختارهم الله وفضلهم على غيرهم، ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣].

أهل القرآن يرفعون في الدنيا والآخرة، فعَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ أَبِي الطُّفَيْلِ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بْنَ

---

(١) أخرجه: الدارمي رقم (٣٣٦٦).
(٢) أخرجه: أحمد رقم (١٢٢٧٩)، وابن ماجه رقم (٢١٥).
(٣) أخرجه: البخاري رقم (٥٠٢٧).

الْخَطَّابِ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ عُمَرُ: مَنِ اسْتَخْلَفْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ قَالَ: اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِمُ ابْنَ أَبْزَى، فقَالَ: وَمَن ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ عُمَرُ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ تعالى عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ قَاضٍ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»(١).

يشفع القرآن لأهله الحافظون له العاملون بما فيه، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَيُشَفَّعَانِ**»(٢).

يُكْسَى وَالِدَاي حامل القرآن حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا أهل الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ لَهُمَا: بِأَخْذِ

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٨١٧).

(٢) أخرجه: أحمد رقم (٦٦٢٦)، والحاكم رقم (٢٠٣٦).

وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، فعن عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**». ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ وَإِنَّهُمَا تُظِلَّانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ. فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ لَهُمَا: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا،**

فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذًّا كَانَ، أَوْ تَرْتِيلًا»(١).

أهل القرآن يرضيهم ربهم ويرضى عنهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «يَجِيءُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ الْقُرْآنُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ فَيَرْضَى عَنْهُ، وَيُقَالُ لَهُ: اقْرِهِ وَارْقَهْ، وَيَزْدَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً»(٢).

يكسى أهل القرآن يوم القيامة كسوة الكرامة ويلبسون تاج الكرامة، فعن بن عمر قال: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَشْفَعُ لِصَاحِبِهِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ لِكُلِّ عَامِلٍ عُمَالَةٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَإِنِّي كُنْتُ أَمْنَعُهُ اللَّذَّةَ وَالنَّوْمَ، فَأَكْرِمْه. فَيُقَالُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ، فَيُمْلَأُ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، ثُمَّ يُقَالُ: ابْسُطْ شِمَالَكَ، فَيمْلَأُ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، وَيُكْسَى كِسْوَةَ الْكَرَامَةِ، وَيُحَلَّى حِلْيَةِ الْكَرَامَةِ، وَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ»(٣).

---

(١) أخرجه: أحمد رقم (٢٢٩٥٠)، والحاكم رقم (٣٤٣٤).
(٢) أخرجه: الترمذي رقم (٢٩١٥)، والحاكم رقم (٢٠٢٩).
(٣) أخرجه: الدارمي رقم (٣٣٥٥).

لا يعذب الله قلبًا وعى القرآن، فعن أبي أمامة: أنه كان يقول: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ الْمَصَاحِفُ الْمُعَلَّقَةُ، فَإِنَّ اللهَ لَنْ يُعَذِّبَ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ**»(١).

القرآن طريق للحكمة وفهم العقل وينابيع العلم، فعن كعب قال: عليكم بالقرآن فإنه فهم العقل ونور الحكمة وينابيع العلم وأحدث الكتب بالرحمن عهدا وقال في التوراة يا محمد إني منزل عليك توراة حديثة تفتح فيها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا.

وقفة تأمل

استشعرت معي هذه الأحاديث والآثار؟

أن تصبح أنت وأهل بيتك من أهل الله وخاصته.

أن تحلى حلة الكرامة، وتاج الكرامة.

أن يكون القرآن أنيسك في قبرك.

(١) أخرجه: الدارمي رقم (٣٣٦٢).

أن يرضى عنك ربك ويرضيك.

يا له من شرف ومنزلة عظيمة، لو أنفق الإنسان كل ما يملك من أجل الحصول على هذه المرتبة لكان ما حصل عليه أفضل بكثير مما أنفق..

ماذا تنتظر بعد أن سمعت تلك الأحاديث والآثار؟!

أما زلت تلهيك الدنيا وما فيها وتنافس أهلها عليها؟!

أما اشتاقت نفسك أن تسابق هؤلاء الصالحين وتنافسهم في آخرتهم؟!

ألم تسمع إلى فقراء الصحابة الذين غبطوا أغنياءهم على فضل الله عليهم فجاءوا يشكون حالهم إلى رسول الله، وما آلوا إليه؟

أتظن أنهم جاءوا ليشتكوا فقرا ألم بهم، أو كربًا لازمهم، أو حاجة من الدنيا وزخارفها أقلقت مضاجعهم؟

كلا وألف كلا.

لقد جاءوا إلى رسول الله يشتكون من أن هؤلاء الأغنياء سبقوهم بأعمال صالحة تقربوا بها إلى مولاهم وليس عندهم ما يقتدون بهم، فقد ذهبوا وحدهم بالأجور.

فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور أصحاب الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم بسبب أنهم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون.

فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: «**أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ**

أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»[١].

شأنهم

أتعجبت معي من حالهم وشأنهم؟!

كنت تظن أنهم أتوا يشتكون فقرهم وحاجتهم وقلة ذات اليد التي لحقت بهم؟!

كنت تظن أنهم جاءوا ليندبوا حظهم كما يفعله بعض ضِعاف الإيمان؟!

كنت تظن أنهم جاءوا يشكون أطفالًا جوعى وأحوالًا بائسة؟!

لا، الدنيا عندهم لا تساوي شيئًا.

يعرفون أن الدنيا دار ممر والآخرة هي دار المقر، فانشغلوا بدار المقر عن دار الممر.

(١) أخرجه: مسلم رقم (١٠٠٦).

يعرفون حقيقة الدنيا وأنها «**سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**»[(١)] فلم يهتموا بساعات عاشوا فيها في ضيق من العيش.

المهم عندهم هو كيف يرضى عنهم خالقهم، كيف يثقلون كفة حسناتهم، كيف يتسابقون في الخيرات.

يعرفون أن ما عند الله خير وأبقي للذين آمنوا.

يعرفون أن الحياة الدنيا في الآخرة ما هي إلا متاع.

يعرفون أن البشارة للصابرين الراضين بقضاء الله وقدره.

يعلمون أن الخيرة فيما اختاره الله لهم..

فمن العباد من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغناه الله لطغى وفسد حاله وكان من أهل النار، ففي الحديث: «**يَقُولُ الله** عز وجل: **إِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلَّا الْفَقْرُ، وَإِنْ بَسَطْ عَليه أَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا**

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٥٦).

يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلَّا الْغِنَى وَلَوْ أَفْقَرْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلَّا الصِّحَّةُ وَلَوْ أَسْقَمْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يُصْلِحُ إِيمَانَهُ إِلَّا السَّقَمُ وَلَوْ أَصْحَحْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ يَطْلُبُ بَابًا مِنَ الْعِبَادَةِ فَأَكُفُّهُ عَنْهُ لِكَيلا يَدْخُلَهُ الْعُجْبُ، إِنِّي أُدَبِّرُ عِبَادِي بِعِلْمِي بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ إِنِّي عَلِيمٌ خَبِيرٌ»[(١)].

فارضَ بما قسم الله لك، واعلم أنه الخير لك، فإن رضيت بما قُسم لك كنت أغنى الناس وأسعد الناس وأطيب الناس نفسًا على الإطلاق.

ستجد الراحة والطمأنينة والسكينة في الرضا بما قدره الله لك.

وهذا هو حال المؤمن على الدوام، «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ،**

(١) أخرجه: البيهقي في الأسماء والصفات رقم (٢٣١).

إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(١).

فكن راضيا تكن سعيدًا.

اللهم ارضنا وارضَ عنا وعن والدينا وأهلينا وذرياتنا.

ॐ اختيار الطريق ॐ

تنشأ تلك الفتاة في أسرة ككثير من الأسر، وعلى الرغم من صِغر سِنها، وهي ما زالت غير متزوجة، لكنها اختارت طريقًا لنفسها، سلكته وحدها، فالتزمت وارتدت حجابها، وتمسكت بتدينها، وتتزوج، وتنجب ولدها الأكبر محمد وغيره.

ॐ حلم حياتها ॐ

وكان حُلم حياتها أن يحفظ أبناؤها القرآن الكريم،

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٩٩٩).

وتسعى لذلك بمفردها، إلا أن الواضح أن الموضوع ليس بتلك السهولة، يحتاج إلى شيخ حاذق ومتفانٍ ومخلص، ومتابعة من الأسرة، وحرص من الأولاد، وهمة عالية من الجميع، وتبدأ في البحث، ويقع اختيارها على شيخ فاح ذكره بالخير واشتهر بين أقرانه بالإتقان والإجادة، جزاه الله خير ما جزى شيخًا عن طلابه.

وعلى الرغم من وجود صلة قرابة بين زوجها وبين الشيخ إلا أن العقبة الوحيدة أن الشيخ كان لا يأخذ كل من يريد أن يلتحق بحلقاته، والسبب عنده هو التركيز مع العدد القليل من أجل الإجادة معهم، والحرص على تميز الطلاب، ومع ذلك لم تيأس، وشغل هذا الأمر فكرها وسيطر على عقلها.

ॐ تعرف المفتاح ॐ

وتعرف المفتاح، فتح الباب بيد الله وحده، فيتعلق قلبها بخالقها، وتنشغل بالدعاء لربها، فتوجهت إلى قرع بابه سبحانه وتعالى في سجودها.

وتتوجه إلى أمها وتطلب منها الدعاء لتحقيق غايتها وقبول الشيخ لأبنائها، وهي تعلم أن من الدعوات المستجابة دعوة الوالد لولده أو دعوة الوالد على ولده، وترفع الأم الحنونة يدها إلى ربها وتتمتم بدعوات.

فإذا أردت تحصيل مطلوبك.. إذا خفت من مرهوبك.

إنه السجود بين يدي الله تعالى..

مع الأخذ بالأسباب المتاحة والسعي لتحقيق هدفك.. والله القريب سيحققه لك.

إنه السجود، وما أدراك ما السجود؟!

أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا فيه

من الدعاء.

مظنة إجابة الدعوات وتحقيق الأمنيات.

فأحسن الظن بربك.. وادع ربك وأنت موقن بالإجابة..

وتذكر دائمًا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

الأسباب والمسببات

وتتوجه على الفور بعد أن أخذت بالأسباب إلى بيت الشيخ لقبول أبنائها وهي على وجل من عدم قبوله لهم، وبالفعل كانت الإجابة لطلبها كما توقعت بالرفض لكثرة الحفاظ عنده، وعدم قدرته على أخذ جميع الطلاب، وهنا تلح عليه، وتبين ما كان منها من الدعاء في قبول أبنائها، وتحقيق أمنية غالية عليها، وأنها طلبت الدعاء من والدتها.

صدق النية

وسبحان من بيده القلوب، ولعل الله علم صدق نيتها، فيتأثر الشيخ من كلامها ويرق لإلحاحها، ويتعجب من إصرارها، ويلتحق ابنها الأكبر بحلقة التحفيظ، وبعد مدة وجيزة يبرع ابنها الذي كان في العاشرة من عمرة، ويختم القرآن في مدة وجيزة، ويتفوق على أقرانه.

ولم يتوقف بها الأمر عند هذا الحد بل تتابعه إلى أن حصل على إجازة في القرآن، وتتنقل به بعد أن ختم القرآن الكريم من شيخ إلى شيخ إلى أن وصل إلى درجة الاتقان.

فضل القريب وإحسانه

ولم ينته دورها عند هذا الحد بل ظلت تتابعه في مراجعة حفظه، وفي دراسته إلى أن حصل على درجات مرتفعة في الثانوية، والتحق بكلية الطب.

وعلى الرغم من التفوق العلمي للابن إلا إنه لم يكن أقل من التفوق الخُلقي، فقد امتاز بحسن الخلق وهدوء الطبع، وروعة اختيار أفضل الألفاظ وأرقاها، مع فصاحة اللسان، فضلًا على ملازمته المسجد، فلا تكاد تفوته صلاة الجماعة في المسجد مع صغر سنه، ما شاء الله تبارك الله، اللهم زد من أمثاله، ونسألك اللهم من واسع فضلك العظيم.

وهكذا القرآن يؤدب حامله.. ويزكي نفسه.. وينير قلبه.. ويشع وجهه ضياء.

ويرفع ذكره.. ويعلى شأنه.

فمن أراد خيري الدنيا والآخرة له ولأبنائه فعليه بالقرآن.

وسبحان من علم منها صدق نيتها فجعله قرة عين لها في الدنيا.

ونسأل الله أن يكون قرة عينها في الآخرة.

ونسأل الله لنا ولكم ولذرياتنا صلاح النية والذرية

والفردوس الأعلى من الجنة.

أهداف البشر متشابهة

فتاة شابة نور الطاعة يشع من وجهها.

سبحان من لم يجعل القبول عند الناس في لون البشرة، فترين ذات البشرة البيضاء وتنفرين منها، وترين صاحبة البشرة السوداء فترتاحين إليها، وهذا واقع ومُشاهَد عندنا جميعًا.

فكم من سمراء أليفة مألوفة يُجمِع على ذلك كل من يتعامل معها؟!

وكم من بيضاء وربما تكون صاحبة جاه ومال ونسب يُنفَر منها ويبتعد عنها جميع الناس؟! وسبب ذلك هو ما بين هذه وتلك وما بين الله.

يحبك ربك

ألا استشعرت يومًا قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]،

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ [الصف: ٤]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

إن كنت تريد أن يحبك ربك؟! فها هي صفات من يحبهم، فاتصف بها تكن من الذين يحبهم ربهم.

يحب ربك من اتصف بالصفات سالفة الذكر، فاعقد العزم وتحلى بتلك الصفات، لتدخل في زمرة أوليائه وأحبابه.

اللهم ارزقنا حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك.

ثمرة الحب

حُب الله: يعني التوفيق والسداد.

يعني انشراح الصدر.

يعني السعادة والفرح.

يعني الفوز بخيري الدنيا والآخرة.

يعني أن يأذن لك بالقرب منه، والأنس بذكره والتلذذ بالخلوة به.

أن يوفقك لعمل الطاعات وحبها وإلفها.

وأن يبغضك في المعصية ويعصمك منها.

فراحتك في طاعته، ووحشتك في البُعد عنه وعن أوامره.

لا يعرف ذلك إلا المجرب

هل استشعرت يومًا قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»(١).

---

(١) أخرجه: أحمد رقم (١٤٠٣٧)، والنسائي رقم (٣٩٤٠).

وقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لبلال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ « **أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَالُ** »(١).

عندما تتكالب عليه متاعب الحياة ومشاقها، يعرف أين طريق الراحة، إنها في الصلاة، حيث لذة الطاعة، وحلاوة الإيمان، ومناجاة الرحمن.

تكبلك ذنوبك

تخيل معي ربما أحدنا لا يقدر على أن يصلي عدة ركعات بالليل ولو لربع ساعة مع ضخامته الجسمانية وقوته البدنية، إنه عدم التوفيق.

كبلتنا ذنوبنا، منعتنا معاصينا.

كره الله انبعاثنا بسبب ما اقترفته أيدينا، فقال: ناموا مع النائمين.

---

(١) أخرجه: أحمد رقم (٢٣٠٨٨)، وأبو داود رقم (٤٩٨٥).

ॐ هذا الموفق ॐ

وعلى النقيض تمامًا تجد ضعيف الجسد هزيل البدن طاعن السن يصلي بالليل الساعات الطوال، ربما يسجد السجدة فلا يريد أن يقوم منها، تتورم قدماه، يتعب جسده، لكن القلب في دنيا أخري غير دنيا الناس.

إن قلبه يُحلق في السماء، فلذلك هان عليه تعب الجسد وطول السجود والوقوف بين يديه.

ولا يعرف هذا الكلام إلا من اصطفاهم الله ووفقهم لطاعته والتلذذ بها.

ॐ راحة القلوب ॐ

فلا ترتاح قلوب هذا الصنف المصطفين من الناس إلا بالخلوة بخالقهم ومناجاته، والتذلل بين يديه، ولا يهدأ لهم بال إلا إذا طرقوا باب محبوبهم وأَنِسُوا بذكره.

يشكرونه على ما غمرهم به من العطايا والسجايا.

يشكون إليه همومهم.

يسألونه مطلوبهم.

يخبرون مولاهم وسيدهم بما يَكِن في داخلهم مما لا يستطيعون أن يخبروا به أحدًا حتى أقرب الناس إليهم.

فهو سبحانه وتعالى صاحب الفضل، الغني الحميد، خزائنه ممتلئة بالعطايا.

الرضى بالمقسوم

تتزوج تلك الفتاة من شاب دخله محدود، فتعيش معه وترضى بما قسمه الله لها، بيت قرابة مائة متر مكون من عدة غرف متواضعة، مسقوف بجذوع الشجر، وعلى الرغم من قلة ذات اليد لكن غمرتها السعادة.

تجد السعادة

تلك السعادة التي يسعى لها كل البشر، غنيهم وفقيرهم، كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم وأنثاهم، فالسعادة ليست في مال يُجمع أو جاه يُحصل عليه.

السعادة في الرضا عن الله في كل ما قُدر لك.

أن تكون لله كما يُريد سبحانه وتعالى يَكُن لك كما تريد.

ﷺ ثمرة الرضا ﷺ

لا تنظر إلى تلك الفتاة إلا وجدتها مبتسمة راضية بما قسم الله لها.

تعيش في هناء وإن كان دخل زوجها لا يكاد يقوم بالضرورات التي لا بد منها للعيش في هذه الحياة.

ﷺ طموحات الكبار ﷺ

يرزقها الله بمولودها الأول فتُسر وتسعد به، وتبدأ الطموحات الجياشة تراود تلك المرأة التي لم يتجاوز عمرها وقتها العشرين عامًا.

طموحات وأي طموحات.. إنها طموحات الكبار عالي الهمم.. أهداف تعانق السماء، ولا ترضى بالدون، على الرغم من قلة ذات اليد التي أحاطت بها من كل

جانب، إلا أن اليأس لم يعرف طريقها.

۞ تحديد الهدف ۞

حددت هدفها، وعلمت أن من بيده تحقيق الأهداف هو الخالق الرازق المعطي، فلجأت إليه وتضرعت وتذللت بين يديه بالدعاء الذي لازمته طيلة حياتها.

ألا تتخيلون معي يا كرام كيف لأم تنظر إلى صغيرها الذي ما زال صغيرًا وتحدد طموحاتها فيه، وكل ما يشغل همها كيف ينفع الله بهذا الطفل الصغير الأمة جمعاء.

۞ الانطلاقة ۞

وكانت انطلاقة البداية وعمر الطفل ثلاث سنوات، فبدأت في تعليمه الحروف الهجائية، ثم في تحفيظه صغار سور القرن الكريم، ثم تبحث عن معلم قرآن متقن، وتبحث في القرية التي تعيش فيها فلم تجد بُغيتها.

وتسأل في القري المجاورة ويدلونها على شيخ يقوم بتعليم الصغار، وتقرر أن تذهب إليه، ورافقت صغيرها

الذي لم يتجاوز الخامسة من عمره.

ॐ تقدير الله ॐ

وفي طريقها وقبل أن تصل إلى الشيخ الذي خرجت متوجهة إليه إذا بأخت لها توقفها فتسألها أين تتجه فأخبرتها بخبرها.

فقالت لها: هناك من هو أحذق من هذا الشيخ.. فقالت ومن هو؟ فأخبرتها، وترافقها أختها إلى الشيخ، ويقبل المعلم طفلها.

ولم يتجاوز صغيرها الثامنة من عمره إلا وقد أتم حفظ القرن الكريم، بعد أن فاق كل أقرانه، ولا أكون مبالغًا إن قلت: بأنه معجزة زمانه في سرعة الحفظ والإتقان ما شاء الله تبارك الله.

ॐ عجيب صنيعها ॐ

وكان من عجيب أمر هذه المرأة مع صغيرها أنها أعطت أغلب وقتها له.

ففي الصباح الباكر تستيقظ تصلي صلاة الفجر معه، وتجلس تحفظه ما صححه له الشيخ في اليوم السابق، وتظل على ذلك إلى أن يتقن ما حفظه، ثم تقوم بمراجعة ما تم حفظه سابقًا، مع مراجعة السورة التي يحفظ فيها من أولها إلى الجديد الذي حفظه.

ثم تنطلق بصغيرها لتقطع به مسافة ثلاثة كيلومترات مشيًا على قدمها من بيتها إلى بيت الشيخ، ويقوم الطفل بتسميع ما حفظه ومراجعة ما تم حفظه سابقًا، ثم تعود به وقت الظهيرة ثلاثة كيلومترات إيابًا إلى بيتها.

وتتعجب إن علمت أنها كانت تستفيد من هذه المسافة الطويلة التي تقطعها مشيًا على الأقدام هي وصغيرها في مراجعة ما سيقوم بتسميعه على الشيخ.

المشقة الشديدة

وانتبهن أخواتي الكريمات وقت الظهيرة في كل يوم تسير ستة كيلومترات، ثلاثة ذهابًا وثلاثة إيابًا وقت الظهير، وما أدراكم ما وقت الظهيرة في الصيف؟!

ويظل هذا حالها كل يوم إلا يوم الجمعة الذي لا تذهب فيه إلى الشيخ.

وما إن تصل بيتها، وتجهز الغداء، وترتاح قليلًا مع الصغير، تبدأ في رحلة جديدة في تحفيظ الصغير الجديد مع مراجعة الماضي، وتظل معه إلى أن يخلد إلى النوم.

هذا حالها وحاله، في كل يوم رحلة جديدة، وعمل مستمر.

إلى أن جاء اليوم الموعود ويتحقق حلم الأم الذي راودها منذ صغره، وهو أن يختم صغيرها كتاب الله، ويعيه في صدره.

﷽ أمهات عظميات ﷽

يا له من هدف عظيم لوالدة عظيمة؟!

كم من أم تركت ولدها وانشغلت عنه بالجوالات والصديقات وكثرة الطلعات، وتركته للأيبادات والخادمات والشارع ليؤثر كل منهم في طفلها؟!

إن هذه الأم تذكرنا بوالدة الإمام أحمد بن حنبل والإمام الشافعي، وابن تيمية، وابن حجر وغيرهم كثير وكثير رحم الله الجميع، لقد أخرجنَ لنا عظماء بسبب صدق النية والأخذ بالعزيمة ووضوح الهدف والسعي الدؤوب لتحقيقه، ومعرفة الهدف المنشود.

ॐ جني الثمرة ॐ

وما انتهت رحلة هذه الأم عند هذا الحد بل تابعت ولدها في دراسته إلى أن انتهى من المرحلة الثانوية بمجموع أَهَّلَه للالتحاق بكلية الطب، وما زالت تزرع فيه الأخلاق والقيم والمبادئ، ربته على المحافظة على الصلاة، والأخلاق الحسنة، والإحسان للآخرين، والجد والاجتهاد لينفع الله به الأمة الإسلامية.

ॐ مدعاة للتعجب ॐ

ألا تتعجبون معي يا كرام من عظيم هدفها؟!

تقول: إني أعده من أجل أن ينفع الله به الأمة

الإسلامية.

هذا هدفها وتلك غايتها.

وقفته لهذه المهمة العظيمة.

وسعت بكل ما أوتيت من أسباب أن تحقق هدفها، بعد أن توجهت إلى ربها في خلواتها متضرعة له بأن يحقق أمنيتها الغالية.

عِظَم المهمة

فكم من شخص عظيم سبب نجاحه وعلو شأنه والدة عظيمة؟!

فالنساء كبيرات الهمم هم صانعات العظماء، مخرجات الأجيال، مربيات الأبطال، زارعات الأخلاق الحسنة في نفوس الصِغار، هن القدوات، فإن صلحن وقمن بدورهن على أكمل وجه صلح المجتمع بأسره، وإن فسدن فسد المجتمع.

۞ خطورة الإبعاد ۞

ولما كان للنساء هذا الدور الكبير الذي لا يقل عن دور الرجال حرص الأعداء على إبعادهن عن تلك المهمة العظيمة، وإشغالهن بما ليس من واجباتهن، وإخراجهن من بيوتهن تحت شعارات براقة، ظاهرها حب الخير لهن والحرص على مصلحتهن والوقوف بجوارهن، وباطنها إفسادهن وتضييع مستقبلهن، وأن يصبحن ألعوبة يُتسلى بها بعد أن كن جواهر مكنونات ودرر مصونات.

۞ ادعاء باطل ۞

يزعم هؤلاء المتربصون دعم حقوقهن والوقوف بجانبهن، وهدفهم إفسادهن، وإبعادهن عن مهمتهن العظيمة التي إن قمن بها تغير العالم بأسره.

لقد تجاهلوا أن الإسلام جاء وأعطى المرأة جميع الحقوق التي لم تعطها لها حضارة من الحضارات لا في

الماضي ولا في العصر الحاضر، فأكرمها الإسلام طفلة وبنتًا وزوجة وأما وأختا، وشواهد ذلك كثيرة حوتها شريعتنا الغراء.

۞ أكرمهن وأعزهن ۞

فكرم الإسلام المرأة طفلة فبين أنه من رزق باثنتين فما فوق فأحسن التربية والتعليم لهن إلا كن له سترًا من النار.

وكرمها أمًا فجعل الجنة تحت أقدام الأمهات.

وكرمها زوجة فجعل خير الرجال من يحسن إليهن.

وبين الإسلام أنه لا يكرمهن إلا كريم ولا يهينهن إلا لئيم.

أوجب النفقة عليهن.

وحرم أذيتهن بأي نوع من أنواع الأذية.

وهذا غيض من فيض مما أعطاه الإسلام للمرأة.

والله ما رأيت دينًا يصون ويرفع قدر المرأة مثل

شريعة الرحمن ودين الإسلام.

هذه حقوق المرأة في كتاب الله وليست حقوقها عند مدعي الحرية لهن.

۞ وأخيرًا هذا هو ۞

هذا هو الطريق إن أردت الوصول.

القرآن والسنة يخبرانك عن طريق الوصول إلى مطلوبك وتحقيق مقصودك.

فتُخبرك سورةُ الأنبياء بقصص الذين أحسنوا في عبادة الدعاء وكيف استجاب الله لهم دعاءهم:

وقد تضمنت السورة خبر المقهور الذي يدعو بالنصر، والنتيجة ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: ٧٦].

والمريض الذي يدعو بالشفاء، وكانت النتيجة ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤]

والمهموم الذي يدعو بالفرج، فكانت عاقبته ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ [الأنبياء: ٨٨]

والمحروم الذي يدعو بالولد، فكانت النتيجة ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

والسبب الذي جعل دعواتهم مقبولة: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وظنهم الحسن بخالقهم، ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ٨٧].

فأحسن الظن بربك تكن أقرب لإجابة دعائك، ففي الحديث القدسي «**وَأَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**»(١).

فعلى قدر حسن ظنك بربك على قدر حصولك

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٧٤٠٥)، ومسلم رقم (٢٦٧٥).

على مرادك، ورحم الله الإمام ابن القيِّم حين قال: «**فما الظَّنُّ بمَن هو أرحم بعبده مِن الوالد بولده، ومِن الوالدة بولدها، إذا فرَّ عبدٌ إليه، وهرب مِن عدوِّه إليه، وألقى بنفسه طريحًا ببابه. يقول : يا ربِّ، يا ربِّ، ارحم مَن لا راحم له سواك، ولا ناصر له سواك**».

وكذلك حضور القلب في الدعاء، فمن جمع الله عليه قلبه في الدعاء لم يرده، قال الإمام ابن القيم: «**إذا اجتمع عليه قلبه، وصدقت ضرورته وفاقته، وقويَ رجاؤُه؛ فلا يكاد يُردُّ دعاؤُه**».

فتحرَّ أرجى أوقات الإجابة، فأكثر من الدعاء في السجود، مع خضوع وذل وانكسار، قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الدعاء في السجود حريٌّ بالإجابة، في الفرض والنفل؛ لقوله: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»**[(١)]».

(١) أخرجه: مسلم رقم (٤٨٢).

ووقت الصيام، وفي السحر، وبين صلاة الظهر إلى عصر يوم الأربعاء، وفي السفر، ووقت الاضطرار، وغير ذلك مما دلت عليه الأحاديث النبوية المطهرة.

وعليك أيضًا: أن تطب مطعمك وتحرص على الكسب الحلال تستجب دعوتك «**أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ**»[(١)].

جعلنا الله وإياكم وأهلينا وذرياتنا من مستجاب الدعوة، وممن رضي عنهم خالقهم وأرضاهم.



(١) أخرجه: الطبراني في الأوسط رقم (٦٤٩٥).

إنه اللّه جل جلاله

التواب

الذي يوفق من يشاء من عباده للتوبة، ويقبلها منهم.

العفو

الذي يمحو الذنب ويتجاوز عنه
ولا يعاقب عليه مع استحقاق العبد للعقاب

الحليم

الذي لا يعجل العقوبة على عباده مع قدرته على عقابهم
ويصفح عنهم ويغفر لهم إذا استغفروه.

الغفار

كثير المغفرة لعباده المذنبين المستغفرين

الغفور

الذي يستر الذنب على صاحبه ولا يفضحه ولا يعاقبه عليه.

الرحيم

الراحم الغافر للمؤمنين في الدنيا والآخرة
هداهم لعبادته
ويكرمهم في الآخرة بجنته

ॐ وقفة تدبر ॐ

تأمل معي معاني هذه الأسماء.

حاول أن تعاود قراءتها أكثر من مرة حتى ترسخ هذه المعاني في قلبك.

أغمض عينيك واستحضر بقلبك هذه الأسماء الحسنى.

استشعر بقلبك اسم الله التواب العفو الحليم الغفار الغفور الرحيم.

ॐ أما عزمت عن الإقلاع ॐ

أبعد هذا ما زلت مصرًا على ذنوبك؟

يجيب بقوله: يصعب علي فعل هذا، تعودت على هذه المعاصي، ما أستطيع أن أتركها، نفسي تغلبني كثيرًا، شيطاني مستحوذ علي، الموت والقيامة والحساب لا أفكر فيه حاليًا، إذا تقدم بي العمر سأتوب والله غفور رحيم، حاولت كثيرًا أن أفعل ما استطعت ذلك، اتركني

وشأني لا علاقة لك بي، أنا سأحاسب عن عملي، هذه مقولات تسمعها من بعض الناس.

ॐ إنه التسويف ॐ

أقول لك: هذا من التسويف الذي يزينه الشيطان للإنسان.

ألا يكفيك ما أضعته من عمرك في اللعب واللهو واقتراف السيئات والمعاصي؟

إلى متى وأنت ستظل على هذا الحال؟

أما تخاف أن يفاجئك الموت وأنت على ما أنت عليه من المعاصي؟

ألا تعلم أن الموت لا يستأذن أحدًا، ولا يفرق بين صغير وكبير، ولا بين شباب وشيوخ، ولا بين أصحاء ومرضى؟

كم صديق لك وقريب تعرفه، وشخص سمعت عنه جاءه الموت فجأة؟

أما سمعت عن أشخاص كانوا في أوج الصحة والقوة قد حصدهم الموت حصدًا؟

ماذا تنتظر، ألا تتعظ ممن علمت بأخبارهم وأحوال ما جرى لهم؟

هل ستأخذ العبرة من غيرك أم تنتظر حتى تكون أنت عبرة لغيرك؟

۞ أمستعد؟ ۞

هل أنت جاهز للقاء الله، والوقوف بين يديه؟

وربما تتساءل كيف أكون جاهزًا للقاء الله؟

سؤال مهم وإجابته أهم.

باختصار تفعل ما أوجبه الله عليك، وتجتنب ما نهاك عنه.

وتقلع عن معاصيك التي اقترفتها، وتندم على ذنوبك.

وترد المظالم إلى أهلها.

وتعزم في قرارة نفسك أنك لن تعود إلى المعاصي.

وإن ضعفت ثانية جدد التوبة والأوبة.

۞ إلى متى؟ لن تقدر. ۞

هل هذا يصعب عليك؟

إن أجبت بنعم يصعب علي.

هل تقدر على عذاب القبر، فالقبر إما روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران؟

هل تقدر على عذاب جهنم؟

طعامهم الزقوم، وشرابهم ماء يغلي في البطون، ولباسهم من قطران، وتغشى الوجوه النار.

من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل، يحيون فيها فلا يموتون، ولا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون.

ينادون مالك خازن جهنم: يا مالك قد نضجت منا الجلود، أخرجنا منها فإنا لا نعود، يا مالك ليقض علينا

ربك، فيجيبهم إنكم ماكثون، لأنه قد جاءكم الحق فكرهتموه وغرتكم الأماني وزين لكم الشيطان أعمالكم، فهذا ما كسبته أيديكم وأنتم الظالمون.

يلجؤون إلى ربهم يتضرعون ربنا أخرجنا منها فإنا لن نعود إلى ما عملناه سابقًا إنا نادمون، فيجيبهم ربهم أن اخسؤوا فيها ولا تكلمون.

أما تخاف من تلك النار؟ من هذا العذاب، من هذا الذل والهوان؟

۞ نصيحة مشفق ۞

انجُ بنفسك نصيحة من محب مشفق خائف عليك.

الأعمار تمر سريعًا، والكيس فيها من خاف مقام ربه ونهى نفسه عن هواها.

من ألجم نفسه ومنعها من اقتراف المعاصي والسيئات.

من جاهدها على فعل الطاعات.

من علم أن الدنيا ساعة فجعلها طاعة.

من نظر في عواقب الأمور فسلك طريق الاستقامة، الذي هو طريق السعادة.

مقارنة تأملها

أين أخيار أهل الأرض من الصالحين والشهداء والعلماء والعباد؟

ماتوا وانتهت أعمارهم، وذهب تعب أجسادهم، وكانت قلوبهم في نعيم وسعادة لا توصف يعلمها من سلك هذا الطريق، دخلت قلوبهم نعيم الجنة وهم في الدنيا بسبب انشراح الصدر، وطمأنينة النفس وسكينة القلب.

وأين أشرار الخلق ممن تركوا لأنفسهم العنان فاقترفوا جميع الآثام، وسلكوا طريق الشيطان، فأطاعوه؟

تمتعت أجسادهم لحظات، لكن بقيت تبعات ما اقترفوه، وزلات ما فعلوه، وسيحاسبون عليها يوم لا

ينفع فيه مال ولا بنون ولا جاه ومنصب ولا صديق أو قريب.

والجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحدًا من خلقه.

فربك لا يظلم أحدًا من عباده، يجازي كل إنسان على ما قدمته يداه واقترفته أعضاءه، ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].

فإن عذب سبحانه فبعدله وإن تجاوز وصفح فبفضله.

سرعة الانقضاء فلا تنخدع

صدقني حياتك كلها عند موتك ستمر عليك وكأنها لحظات، كأنها ساعة واحدة، إذا لماذا تؤثر الدنيا على الآخرة؟!

أما علمت أن أهل النار عندما يسألون عن مقدار ما

عاشوه في دنياهم فيجيبون بأنهم عاشوا يومًا أو بعض يوم فقط، هذه هي حقيقة الدنيا، ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٢ – ١١٤]. أتستحق أن تضحي بجنة عرضها السماوات والأرض بشهوة زائلة؟! بدنيا فانية؟!

أتترك النعيم الأبدي جنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بلذات فائتة؟! إن هذا لشيء عجاب.

﴿ اليقظة ﴾

كلامك أيقظني أريد النجاة، أريد أن أتوب لكن ذنوبي كثيرة، فعلت الأفاعيل، واقترفت الآثام، ووقعت في الشهوات، لا أستطيع أن أخبرك أكثر من هذا، فذنوبي عظيمة وأفعالي قبيحة مشينة.

بالفعل هل أتعبتك ذنوبك التي اقترفتها؟

أأيست من غفران الله لها؟

يقول متسائلًا: هل تعتقد أن تُغفر لي ذنوبي وتُمحى عني سيئاتي؟ هل لي من عودة وتوبة وأوبة؟

أجيبك على كل ما يدور في خاطرك.

۞ يناديك فأقبل ۞

الله يتوب على من تاب ويحب التوابين سبحانه وتعالى، ويعفو عن الزلل.

يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

يناديك في كل ليلة، لا تمر ليلة من الليالي إلا وينادي هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟، هل من سائل فأعطيه؟

۞ يعقلها العاقلون ۞

يفرح بتوبتك إن تبت، وبعودتك إن عدت.

هل سلكت أرض صحراء خاوية من كل مقومات الحياة؟ وأنت على راحلتك سائر، وبعد مشقة نزلت

لتأخذ قسطًا من الراحة، وتركت بجوارك راحلتك عليها طعامك وشرابك، ثم انفلتت الراحلة وتركتك، فلما استيقظت لم تجد الراحلة والطعام والشرب، بحثت عنها في كل مكان فلم تجدها.

يئست من الحياة وخلدت للنوم تنتظر الموت، فلا مناص لك منه، أنت في صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء ولا بشر، وفجأة وأنت على هذا الحال انتبهت فوجدت راحلتك ما هو شعورك وفرحك وقتها؟

إنه شعور لا يوصف، وفرحة لا يعبر عنها، كأن الحياة عادت إليك بعد أن أيقنت الموت.

الله أشد فرحًا بتوبتك إن عدت إليه من فرح هذا الرجل الذي عادت إليه دابته بعد أن يئس من الحياة.

ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ**

رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»[(١)].

من أنت؟

أعرفت قدر فرح الله بك إن عدت إليه؟

من أنت حتى يفرح الله بتوبتك؟

ما الفائدة التي تعود عليه سبحانه وتعالى من توبتك؟

حاشاه أن تنفعه طاعتك، أو تضره معصيتك، فلو كان جميع البشر على أفجر قلب رجل منهم ما ضر الله شيئًا ولا نقص من ملكه شيئًا، ولو كانوا على أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملك الله شيئًا.

ففي الحديث القدسي قال الله تعالى مبينا تلك الحقيقة: « يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٧٤٧).

أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»[(١)].

---

(١) أخرجه: مسلم رقم (٢٥٧٧).

ॐ لها وعليها ॐ

طاعتك لنفسك ومعصيتك عليها.

أنت الفائز إن أطعته حيث قربه وحبه ونصرته وتوفيقه، وأصبحت من أوليائه وأصفيائه.

على النقيض إن عصيته كنت من الخاسرين، حيث البعد عنه والشقاوة والتعاسة والخزي والفضيحة والعذاب الشديد.

وأنت بالخيار بين الطريقين فاختر ما تحبه لنفسك وترضاه لها.

فانج بنفسك وأعتقها واطلب راحتها في الدار الباقية، واحذر أن تكون سببًا لشقاوتها وعذابها.

ॐ لا تتردد وأقدم ॐ

إنك تتعامل مع الشكور، مع التواب، مع العفو، مع الغفور، مع الكريم.

فلا تتردد في التوبة والأوبة وتقدم واطرق بابه.

وتضرع إليه بالدعاء واسأله الهداية، والتوفيق لعمل الصالحات.

وتأكد أن الله التواب يشكر سعي عباده، ويتقبل توبتهم، ويغفر ذلتهم، ويرحمهم.

ربما تتغير المعادلة

لا تقلل من شأنك ربما يكون لك شأن في الأمة، فما تدري ما الذي سيكتبه الله على يديك، لعل في قلبك خير كبير اطلع الله عليه فيعاملك بما في قلبك، ويغدق عليك من بركاته ورحماته وفضله وعطاياه؟

وفيه العبرة

هل سمعت عن الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب؟ الرجل الثالث في الأمة، أفضل الأمة بعد النبي ﷺ وصديق هذه الأمة أبي بكر رضي الله عن الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان؟

طبعًا لا شك أنك سمعت عنه.

هل علمت عداءه الشديد للمسلمين؟ هل قرأت عن أذيته للمسلمين؟ هل تعلم أنه عقد النية وذهب ليقتل النبي ﷺ بعد أن توشح سيفه؟ وماذا حدث بعد؟

تاب التواب عليه، وغفر الغفور ذنبه، وبدل سيئاته حسنات، بل وشكر سعيه فجعله من خيار الصحابة الكرام، وأكرمه بأعمال جليلة خلدها له التاريخ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

۞ اليأس منه ۞

أعلمت أن الصحابة لم يكونوا يتوقعون أن يُسلم عمر بن الخطاب، ولم يخطر ذلك في بالهم، لشدة عداوته لهم، حتى عبر أحد الصحابة لما رأى رجاء زوجته أن يسلم عمر بن الخطاب، فقال لها: لن يسلم ابن الخطاب حتى يسلم حمار الخطاب.

ألهذا الحد وصل اليأس منه؟ نعم.

فإن كان الحمار يعقل فيسلم سيسلم ابن الخطاب!

هذا على حد قوله.

حدث ما لم يكن متوقعًا

ثم ماذا؟ أسلم وحسن إسلامه، وكان من خيار الصحب الكرام، بل وصار من المقربين للنبي ﷺ الملازمين له، بل تزوج النبي ﷺ بابنته حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مكافأة له على صنيعه وخدماته الجليلة التي قدمها للإسلام والمسلمين، وأصبح من الخلفاء الراشدين، أصبح خليفة المسلمين الثاني بعد الصديق، رضي الله عن الصحب الكرام ومن تبعهم بإحسان.

ثم ماذا؟

أقام العدل ومحق الظلم، ونشر الأمن، ولبى حاجات الناس، وثبت قواعد الدولة، وانتشر الإسلام في خلافته، ففُتحت بلاد فارس وبلاد الروم، واستطاع أن ينهي امبراطوريتين من أعتى الامبراطوريات على مر التاريخ، ولم تقم لهما قائمة بعدها، وفتح القدس وحررها من دنس من دنسها.

ॐ غيرها كثير ॐ

ربما تقول هذه حالة واحدة نادرة لا يقاس عليها، لا هناك غيرها كثير.

أقول لك: لا، هناك غيرها كثير وكثير، وسأذكر لك بعضًا منها حتى آأخذ بيدك إلى بر الأمان، فأنا أحب لك الخير، أريد أن نكونا سويًا من أهل الجنان، أن نحشر في زمرة المصطفين الأخيار، ممن رضي عنهم الرحمن وأرضاهم.

ॐ صاحب الهجمة الشرسة ॐ

خالد بن الوليد ناصب العداء الشديد للإسلام والمسلمين، تولى بنفسه الهجمة الشرسة التي غيرت مجرى معركة أحد وحولت النصر إلى هزيمة، ورجحت كفة قريش على المسلمين بعد أن كر بالخيل على جيش المسلمين، فاختلطت واضطربت صفوفهم، فأثخن فيهم قتلًا، وقتل الرماة الذين على الجبل وعلى رأسهم

قائدهم، وكُسرت رباعية النبي ﷺ، وشُج رأسه، وجُرح وجهه حتى دخلت حِلَق المِغفَر في وجهه الكريم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم، وأشيع بين الناس أنه قتل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ولولا حفظ الله لنبيه وبسالة الصحابة الأخيار وإحاطتهم بالنبي ﷺ من كل جانب لكان للنبي ﷺ شأن آخر وحقق المشركون غايتهم.

صولات وجولات غيرها

وفي يوم الخندق قسم المشركون كتائبهم وخصوا كل كتيبة بمهمة لمداهمة ومباغتة المسلمين صباحًا، وكان خالد وكتيبته موكلين بالظفر برسول الله ﷺ، وكاد ابن الوليد أن يظفر برسول الله لولا عصمة الله له من الناس ثم بيقظة حرس رسول الله بقيادة أسيد بن الخضير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعن الصحب الكرام.

وفي الحديبية ندب المشركون خالد بن الوليد للقاء رسول الله في مائتي فارس واستطلاع أمره، ودنا خالد

حتى شاهد رسول الله، وحين صلى النبي ﷺ هو وأصحابه صلاة الظهر هَمَّ خالد أن يغير على رسول الله وصحابته الكرام فمنعته نخوة الفارس التي تأبى الغدر، وسكينة ورهبة الصلاة، وقذف الله في قلبه أن النبي ﷺ ممنوع فلن يستطيع أن يصل إليه.

ॐ لطف اللطيف ॐ

كل هذا وغيره فعله خالد بن الوليد ومع ذلك يلطف اللطيف به فيشرح صدره للإسلام بعد أن تهيأت أسبابه.

فيرى رؤيا أنه في بلاد ضيقة جدبة لا مطر فيها ولا نبات وخرج إلى بلاد خضراء واسعة.

وكتاب أخيه الذي أرسله إليه يذكره برجاحة عقله كيف يجهل أن الإسلام دين الحق فيتبعه؟ ويخبره بسؤال رسول الله عليه، حين قال له: أين خالد؟

وبعد كل ما فعل يُسلم خالد ويندم على ما فرط في سالف أيامه، ويطلب من رسول الله ﷺ أن يدعو الله له بمغفرة المواطن التي صد فيه عن سبيل الله، ويدعو النبي

ﷺ ربه قائلًا: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ كُلَّ مَا سلف منه مِنْ صَدٍّ عَنْ سَبِيلِكَ**»(١). وأخبره النبي ﷺ أن الإسلام يمحو ما قبله من الذنوب.

عِلم الله بما في القلوب

ويعلم الله ما في قلب خالد من خير، وصدق توبة، وحسن إسلام، فيشكره الشكور ويلقبه رسوله بسيف الله المسلوم، ويكون له شأن في نصرة الإسلام، وإعلاء كلمة الحق، فيخوض جميع المعارك التي خاضها المسلمون بعد إسلامه.

ويكون بفضل الله صاحب الكلمة الفصل في موقعة مؤتة، وينتصر على الروم في أول معركة يخوضها المسلمون معهم، وقد كان عددهم مئتي ألف مقاتل أمام ثلاثة آلاف مقاتل من المسلمين.

ويخوض حروب الردة ويكون له النصيب الأوفر في

(١) انظر: البداية والنهاية (٤/ ٢٤٠).

أهم مواقعها وأشد أوقاتها.

ويلتقي الفرس في خمس عشرة معركة ينتصر في جميعها ولم يهزم في واحدة أو يخفق في قرار اتخذه فيها.

ويحارب الروم وينتصر في كبرى معارك المسلمين معهم في معركة اليرموك.

ويعزله الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خليفة المسلمين يومها وهو في أوج انتصاراته وشهرته حتى لا يظن الناس أنهم ينتصرون بسبب خالد، فلم يخرج عليه بل ينقاد ويذعن ويترك القيادة ليصبح بعدها جندي تحت إمرة أبي عبيد بن الجراح رضي الله عن الصحب الكرام بعد أن كان قائدًا مظفرًا.

ويموت على فراشه ولم يترك الجهاد في جسده موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية برمح.

كرم الكريم

أتأملت رحمة أرحم الراحمين، وكرم أكرم الأكرمين؟!

يتحول هذا الصحابي الجليل من عدو للإسلام إلى ناصر له.

ومن المحاربين المعادين له إلى المدافعين الزادين عنه، الرافعين رايته المجاهدين من أجل نصرته.

يكون سببًا في هزيمة المسلمين في معركة أحد فيكرمه الشكور بعد إسلامه ليكون سببًا من أسباب هزيمة الروم في معركة مؤتة، واليرموك وخمس عشرة معركة خاضها ضد الروم.

أشاهدت لطف اللطيف؟

ماذا تنتظر بعد هذا؟

ألك حجة في التراخي أو التباطؤ؟

ॐ اعقد العزم ॐ

أما زلت خائفًا وجلًا من ذنوبك وتظن أنها لن تُغفر لك؟!

سأذكر لك نماذج أخرى حتى تتأكد من رجاحة ما

أُخبرك به؛ لتصل إلى درجة اليقين فتشد الهمة وتعقد العزم على البدء في تغيير نفسك، والإقلاع عن ذنوبك، والمسارعة في فعل الخيرات وترك المنكرات، ومساعدة المساكين، وخدمة أهل الحاجة والعوز، ونصرة المستضعفين، والوقوف في صف رافعي راية الحق، ناصري الدين، مع جند الله الغالبين.

ابن صنديد قريش الأكبر

عكرمة بن أبي جهل، ابن جبار مكة، وأحد أكابر زعمائها، عادى الرسول أشد العداء، ونكل بالمستضعفين من المسلمين، وانبرى لأذية أصحابه، أحد فرسان قريش يوم أحد، أبلى بلاء رجح كفة المشركين على المسلمين هو وخالد بن الوليد، حيث كان هو على ميسرة الجيش وابن الوليد على ميمنته، وحُقق على أيديهما نصر لقريش على رسولنا محمد ﷺ وأصحابه، وكذلك كان في مقدمة صفوف قريش يوم الخندق، وأحد من تصدى لجيش المسلمين يوم فتح

مكة.

۞ توبة صادقة تَجُبُّ ما قبلها ۞

وعلى الرغم من وقوفه في صف المشركين حتى فتح مكة، ومعاداة الصحابة الأكرمين، وأذية عباد الله الصالحين وأوليائه المستضعفين، مما جعل النبي ﷺ يستثنيه من العفو الشامل الذي كان لأهل مكة، هو ونفرًا آخرين، وتستأمن له زوجته أم حكيم بعد أن آمنت، ويؤمنه رسول الله، ويأتي لرسول الله ويسلم.

يتوب بعد هذا العداء الشديد فيتوب التواب عليه.

ويطلب من رسول الله بعد إسلامه أن يستغفر له، فيقول: « **إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْتَغْفِرْ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا، أَوْ مَسِيرٍ أَوْضَعْتُ فِيهِ، أَوْ مَقَام لَقِيتُكَ فِيهِ، أَوْ كَلَام قلته فِي وَجْهِكَ أَوْ غَيْبَتك**».. فيقول النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا، وُكَل مَسِير سَار فِيهِ إلى مَوضِعٍ يُرِيد به إِطْفَاء نُورِك، واغفِر لَه ما نَال مِن عِرْضِي فِي وَجهِي أَوْ**

أَنَا غائِب عَنه»(١).

استشعار الذنب وبذل الجهد

فيستبشر عكرمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ويقول: « **أَمَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، لَا أَدَعُ نَفَقَةً أَنْفَقْتُهَا فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِلَّا أَنْفَقْتُ ضِعْفَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا قِتَالًا قَاتَلْته صدًّا عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِلَّا قَاتلتُ ضِعْفَهُ فِي سَبِيلِ الله»**(٢).

ويتوب التواب على عكرمة ويعفو عنه العفو، ويغفر له الغفور ما قدم من سالف عمله.

بل يشكر الشكور سعيه ويكون من فرسان الصحابة الأخيار بعد أن كان من أعدائهم الأشرار، فما ترك معركة خاضها المسلمون بعد إسلامه إلا وكان في طليعة

---

(١) أخرجه الحاكم رقم (٥٠٥٧)، وانظر: تاريخ مدينة دمشق (٤١/ ٦٤).

(٢) أخرجه الحاكم رقم (٥٠٥٧)، وانظر: تاريخ مدينة دمشق (٤١/ ٦٤).

الجيش.

وكان من العُباد القُوام التالين لكتاب الله.

وكان من كثرة تعلقه بكتاب ربه يضعه على وجهه ويقول كتاب ربي، كلام ربي، وهو يبكي من خشية الله.

كرم الشكور

وكان من كرم الشكور أن يسوق له الشهادة يوم اليرموك بعد أن بايع هو وأربعمائة من المسلمين على الموت، فقاتلوا أشد القتال، وانجلت المعركة بشهادة عكرمة مع نفر من المسلمين رضي الله عنهم وعن الصحب الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونصر مؤزر للمسلمين، ويخلد التاريخ ذكره.

أرأيت لطف الله بعباده، وكرمه بخلقه، ورحمته بأوليائه، وتوفيقه لأصفيائه؟

أبعد هذا الفضل من فضل؟

بعد أن كان من ألد أعداء الإسلام يصبح من الصحابة الكرام الأخيار، ويَشرُف بهذا اللقب الذي لا يحوزه إلا الأطهار الأخيار، ويكرمه الله بالموت شهيدًا في سبيله لإعلاء دينه، ليفوز بما يخص الله به الشهداء، حيث « **يُعْطَى الشَّهِيدُ سِتَّ خِصَالٍ عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ: يُكَفَّرُ عَنْهُ كُلُّ خَطِيئَةٍ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُؤَمَّنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ**»[١].

أرأيت فضل الله ورحمته ورضوانه؟ أبعد هذا الفضل من فضل؟ أبعد هذا الكرم من كرم؟

---

(١) أخرجه: أحمد رقم (١٧٧٨٣).

۞ قتل خير الناس وشرهم ۞

وحشي بن حرب الذي قتل عم رسول الله حمزة بن عبد المطلب أسد الله، انفطر قلب النبي ﷺ بموته، وأحزنه مقتله أشد الحزن، لدرجة أن رسول الله ﷺ عفا عن زلة كل من دخل الإسلام وإن كان فعل الأفاعيل حال شركه إلا أنه عندما جاء وحشي مسلمًا قبل منه إسلامه لكنه طلب منه أن يغيب عنه فلا يراه بعد اليوم، حتى لا يذكره بفراق عمه المحبب إلى قلبه فقد كان يؤلمه ذلك أشد الإيلام.

۞ صدق النية ۞

ومع قبح ما أقدم عليه من قتل رجل من خيار الصحابة إلا أن التواب تاب عليه، والعفو عفا عنه، والرحيم رحمه، بل والشكور شكر سعيه لما علم صدق نيته، فأكرمه بقتل شر خلق الله وهو مسيلمة الكذاب.

فكما كان مميزًا بشر صنعه وجرم اقترفه في شركه

خلد له الشكور ذكره بموقف آخر شفا به قلوب المسلمين، وشاع خبره بينهم بهذا العمل الجليل، إنه الرب العفو الشكور.

كل الذنوب فعلها

تقول: ذنوبي أعظم من هؤلاء كلهم، فعلت من الذنوب ما لا أستطيع أن أخبرك به، أقول لك: أفعلت جميع الذنوب ولم تترك ذنبًا إلا فعلته؟

أيضًا: إن تبت تاب الله عليك وعفا عنك وغفر لك، فبادر بالتوبة.

تقول: من أين لك هذا؟

كيف أكون فعلت كل هذه الذنوب ومع ذلك يغفرها الله لي؟!

هذا ليس كلامي وإنما هو إخبار النبي لمن جاءه يسأل بمثل سؤالك، فقد جَاءَ شَابٌّ، فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَدَعْ سَيِّئَةً إِلَّا عَمِلَهَا، وَلَا خَطِيئَةً إِلَّا رَكِبَهَا، وَلَا

أَشْرَفَ لَهُ سَهْمٌ فَمَا فَوْقَهُ إِلَّا اقْتَطَعَهُ بِيَمِينِهِ، وَمَنْ لَوْ قُسِّمَتْ خَطَايَاهُ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَغَمَرَتْهُمْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَسْلَمْتَ؟**» أَوْ: «**أَنْتَ مُسْلِمٌ؟**» قَالَ: أَمَّا أَنَا، فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**اذْهَبْ، فَقَدْ بَدَّلَ اللهُ سَيِّئَاتِكَ حَسَنَاتٍ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ: «**وَغَدَرَاتُكَ وَفَجَرَاتُكَ**» ثَلَاثًا فَوَلَّى الشَّابُّ، وَهُوَ يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْمَعُهُ يُكَبِّرُ، حَتَّى تَوَارَى عَنِّي، أَوْ خَفِيَ عَنِّي[(١)].

أسرف على نفسه من فعل الذنوب ولم يترك سيئة إلا فعلها ولا خطيئة إلا ارتكبها، ومع ذلك يعفو العفو عنه ويغفر له ويتوب عليه، بل يبدل السيئات حسنات، إنه كرم الكريم ورحمة الرحيم رب العالمين.

فإن فعلت المعاصي جميعها وتبت تاب عليك، ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ

(١) أخرجه: الطبراني في الكبير رقم (٦٣٦١).

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠].

﴿ أهذا أعظم أم ذنبك؟ ﴾

أذنبك أعظم من ذنب من سب الله وزعم أن له صاحبة وولدا؟

مع أنه اتخذ شيئا إدًا تكاد السماوات والأرض تتشققن من هول ما قال إلا أن التواب فتح لهم باب التوبة ودعاهم إلى جنابه بقوله: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٤].

أصحاب الأخدود حفروا خندقًا وأشعلوا فيها نارًا وقذفوا فيها أولياءه ومع ذلك جاء الخطاب بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [البروج: ١٠].

قتلوا أصفياءه وأولياءه ومع ذلك فتح لهم باب التوبة، إنه الرب الرحيم.

علام الانتظار؟

ماذا تنتظر من الذي هو أرحم بك من والدتك؟

لن تجد إلا الخير عنده، فأقدم ولا تحجم قبل فوات الأوان فإني لك من الناصحين، وعليك من المشفقين.

ففي الحديث أنه: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ، تَبْتَغِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**» قُلْنَا: لَا، وَاللهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»[(١)].

تصور معي رجل أشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله وزنى ثم تاب فيتوب الله عليه ويعفو عنه ويغفر له ويرحمه بل يشكره الشكور بأن يبدل سيئاته التي اقترفها حسنات بشرط الإقلاع والندم والعزم على عدم العودة

---

(١) أخرجه: البخاري رقم (٥٩٩٩)، ومسلم رقم (٢٧٥٤).

ورد حقوق الآدميين إلى أصحابها، والمسارعة في فعل الخيرات، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧١].

أذنبك أعظم من هذه الذنوب إن كانت كذلك فقد فتح التواب أيضًا لك باب التوبة والأوبة فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

ينادي التواب على من فرط في جنب الله وأسرف على نفسه فتعدى الحدود واقترف السيئات بقوله: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

لكن بشروط ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ [الزمر: ٥٤ – ٥٥].

فإن فعلت ذلك غُفرت ذنوبك جميعًا وبُدلت سيئاتك حسنات.

تغير الزمان

تقول لي: كل ما ذكرته من قصص إنما كان من قديم الزمان، ولم تذكر كعادتك قصصًا معاصرة، فالأوضاع تغيرت، والفتن كثرت، والملهيات تعددت.

أقول لك: وأنا سأخبرك كما عودتك عن قصص لأشخاص أعرفهم تحول بعضهم من طريق الضلال إلى طريق الهدى، ومن طريق الانحراف إلى طريق الاستقامة، ومن طريق الغي إلى طريق الرشد، ومن طريق الشيطان إلى طريق الرحمن، ومن الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن ظلم العباد إلى الإحسان إليهم، ومن الفسق والفجور إلى العفة

والقناعة.

علم الله أن خيرًا كامنًا في قلوبهم فتاب عليهم وعفا عنهم وهداهم إلى طريقه.

۞ نشأ مدللًا ۞

هذا أحدهم نشأ مدللًا بين أبويه، وقد وُلِد لأبيه بعد أن أنجب والده عددا كبيرًا من البنات، فدلله كأشد ما يدلل الآباء الأبناء، ويشاء الله أن يتوفى والده ولم يترك لهم شيئًا.

وبسبب تدليل هذا الصغير الذي لما يتجاوز الخامسة عشر من عمره كان فظًا غليظًا شرسًا مع أقرانه، بخلاف سوء الخلق ووقاحة اللسان، وسماع الغناء وشرب المخدرات والمسكرات والتدخين، ومصاحبة الأشرار ورفقاء السوء، وكان يتقيه الناس لشره، فضلًا عن ترك الواجبات من الصلاة والصيام وغيرها.

ॐ عمل عظيم فيكرمه به الكريم ॐ

وعلى الرغم من قبح ما كان يفعله إلا أنه قام بما يجب عليه تجاه والدته وأخواته، فعمل في أعمال شاقة مع صغر سنه لينفق على والدته وعلى أخواته الأيتام، وظل على ذلك حتى كبر الصغير، وزوج الإخوة والأخوات، واشترى لهم مسكنًا، وأكرم والدته كأفضل ما تُكرم الأمهات.

ثم يشاء الله الشكور أن يكرمه ويلطف به، فيتوب عليه ويكون من المصلين الصائمين المعتمرين الحاجين. حتى إنه يحرص على نوافل العبادات من الصلاة والصيام وقيام الليل، والإحسان لأقاربه وصلة أرحامه ومساعدة المحتاجين.

ॐ وآخر هذا حاله ॐ

وهذا الآخر يفعل الفواحش ويسير في طريق الغي والضلال إلا أن خيرًا كامنًا في نفسه يعلمه خالقه فكافأه

الشكور عليه، فيدله على طريق الهداية ويرزقه الاستقامة، فيكون من عباد الله الصالحين محافظًا على الصلوات وسننها، ونوافل الصيام، كثير العمرة، حج أكثر من مرة، ويربى أبناءه أفضل تربية، فيدفعهم إلى حِلق القرآن فيتموا حفظه، ويفوقوا أقرانهم، ويحصدوا المراكز الأولى في مسابقات متعددة، بخلاف الأدب والخلق والعلم الذي يدل على حسن التربية.

۞ شكر الشكور ۞

ومن شكر الشكور له أن سخره للإنفاق في سبيل الله، فقد خصص رواتب للفقراء من أقاربه وأصدقائه وبعض المحتاجين ممن يعرفهم، وأنفق في طبع المصاحف وغيرها من أعمال البر.

فمن كرمه أن من تاب تاب الله عليه وقبل توبته يشكره الشكور فيوفقه لعمل الطاعات.

﴿ يعرف عن الإسلام اسمه ﴾

وقصص أمثال هؤلاء في العصر الحاضر كثيرة، أحدهم كان لا يعرف شيئًا عن الإسلام إلا اسمه ولا عن المصحف إلا رسمه، لا يعرف صلاة ولا صيامًا، ولا حلالا ولا حرامًا، ولا خلقا ولا أدبًا، ولا مروءة ولا إنسانية، فقط ما يعرفه شهواته وملذاته، إلا أنه في يوم سمع أن أعداء الدين يسبون رب العالمين فتمعر وجهه غضبًا لله، فشكره الشكور فتاب عليه وعفا عنه وجعله من عباد الله الصالحين. فأقبل عن البحث عن معرفة الله وشرعه، فعرفه وأحبه، وتعلم شرعه وعمل به.

التقيته فكان من أحسن الناس خلقًا، وأشدهم لله خشية، طائعًا مخبتًا، ناصرًا للحق وأهله، مدافعًا عنه، مساعدًا للأرامل وأهل الحاجة والفاقة.

۞ وهذه هي الأخرى ۞

وهذه كانت من أفجر خلق الله، فيشرح الله صدرها ويعلي قدرها، فبعد أن كانت من أشد الناس تبرجًا وسفورًا إذا بها من أشدهم التزامًا بحجابها، فلا تكشف شيئًا من جسدها.

وبعد أن كانت سلعة رخيصة أصبحت جوهرة مكنونة، وبعد أن كانت لا يهدأ لها بال إلا بسماع الغناء والموسيقى أصبحت لا ينشرح صدرها ولا يسكن قلبها إلا بسماع آيات القرآن ومدارسته وتعلمه وتعليمه.

وبعد سهر الليالي في سماع المحرمات والتلذذ بالشهوات أصبح ليلها في طلب العلم وذكر الله وقيام الليل.

وبعد مصاحبة قرينات السوء أصبحت لا تأنس إلا بمصاحبة الصالحات الأخيار الأطهار.

وبعد سوء الخلق مع الوالدين والأقارب أصبحت من أحسن الناس خلقًا وأشدهم حياء.

وبعد الاستهتار وعدم مراقبة الله صارت من أشد الناس خوفًا وحياء من مولاها.

ॐ لماذا تنتظر؟! ॐ

ألم أخبرك مرارا وتكرارًا أنك تتعامل مع التواب الرحيم العفو الغفور الشكور الكريم؟!

ماذا تنتظر؟! سيكون إن شاء الله لك شأن إن كانت لك همة ووفقك الله وسددك.

حاول اكتشاف مواهبك.

ما الذي تستطيع أن تخدم به دينك بعد توبتك؟!

بمالك، فتنفقه في سبيل الله؟

أم بطلبك للعلم ونشره؟

أو لتعلمك لكتاب الله وتعليمه؟

أو تكون قدوة صالحة في مجال عملك الذي تعمل فيه، حسن الخلق، يرى الناس فيك الإسلام وتعاليمه، فيقتدون بك، وتكون صورة حسنة للمسلمين؟

أو عابدًا زاهدًا بارًا بوالديه؟ أو تساعد المحتاجين، وتنصر المظلومين، وتغيث الملهوفين، وتنشر دين رب للعالمين؟

أنت أعلم بها

أنت أعلم بقدراتك ومواهبك، ابحث عنها، ثم حاول أن تخدم دينك بما تستطيع، قدم لنفسك ما ينفعك في آخرتك، فقد سبق أهل الصلاح بفعل الخيرات والتسابق نحو الجنان، شدوا العزم، واجتهدوا في الطاعة، ولم يتركوا طريق طاعة إلا وسلكوه، وتسابقوا في عمل الطاعات ورضى رب البريات، وهذا أفضل ما يتنافس عليه المتنافسون، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

أظن ذلك

فسارع في التوبة والأوبة فأظن أن فيك خيرًا يعلمه الله، لذلك شرح صدرك، ويسر أمرك، ووفقك للتوبة

فتمسك بها، وأصلح من شأنك، وتقرب من ربك بالأعمال الصالحة، وأتبع السيئة الحسنة تمحها.

اللهم وفقنا للتوبة والأوبة، واجعلنا من عبادك الطائعين، واجمعنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في الفردوس الأعلى من الجنة ووالدينا وأهلينا وذرياتنا ومن نحب يا رب العالمين.

مثبت القلوب

يا مثبت القلوب ثبتها

هل تعرف أن حبيبك ونبيك محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان أكثر دعاءه: « **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»(١)، «**يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّف قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ**»(٢).

هل تعلم أن هذا الدعاء كان أكثر ما يدعو به في داخل

(١)أخرجه: أحمد رقم (٢٦٦٧٩)، والترمذي رقم (٣٥٢٢).

(٢)أخرجه: أحمد رقم (٩٤٢٠).

بيته وبين أصحابه وفي كل أحواله؟ تذكر ذلك أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين سئلت: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مَا كَانَ أَكْثَرَ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**» قَالَتْ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ آدَمِيٍّ، إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ **مَا شَاءَ أَقَامَ، وَمَا شَاءَ أَزَاغَ فَتَلَا مُعَاذٌ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران: ٨]**»(١).

ويخبر بما أخبرت به أم المؤمنين أم سلمة الصحابي الجليل أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيقول: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا**

---

(١) أخرجه: أحمد رقم (٢٦٦٧٩)، والترمذي رقم (٣٥٢٢).

كَيْفَ يَشَاءُ»[١].

هل تصورت ذلك وتخيلته؟

رسول الله الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يكثر من هذا الدعاء ليعلم أمته أن تسأل ربها الثبات حتى الممات، وأن لا يأمن أحد في هذه الدنيا على نفسه، فلا يدري بما يختم له، والأعمال بالخواتيم، فيوجل القلب، وتقوم الجوارح بما أوجبها الله عليها، على الوجه الذي يرضي خالقها ورازقها ومدبر أمرها.

ألا تعلم أن إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد كان أكثر دعائه هو الموت على الإسلام والسنة، فكان يقول: «**اللهم أمتنا على الإسلام والسنة**». قال طلحة بن عبيد الله البغدادي: «**وافق ركوبي ركوب أحمد بن حنبل في السفينة، فكان يطيل السكوت، فإذا تكلم قال: اللهم أمتنا على الإسلام والسنة**».

---

(١) أخرجه: أحمد رقم (١٣٦٩٦)، والترمذي رقم (٢١٤٠).

الحذر منها

واحذر من الدسيسة الباطنة

فسوء الخاتمة يكون سببها دسيسة باطنة لم يطلع عليها أحد من الخلق غير الخالق الذي يعلم السر والعلن، أخفيتها عن الخلق حياء منهم وتجرأت على من السر عنده علانية، والباطن عنده ظاهر.

فاحذر من ذنوب الخلوات فإنها من أسباب إضاعة الحسنات، وجعلها هباء منثورًا، ففي الحديث: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **هَبَاءً مَنْثُورًا**»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا**»[١].

(١) أخرجه: ابن ماجه رقم (٤٢٤٥).

أرأيت شؤم ذنوب الخلوات؟! مضيعة للحسنات التي فعلتها، ومن أسباب سوء الخاتمة.

إياك أن يكون ربك الذي يعلم السر وأخفى أهون الناظرين إليك.

وليكن استشعارك بعلمه وسمعه واطلاعه زاجرًا لك عن معصيته وفعل ما يغضبه..

ليتيقن قلبك أن الله مطلع عليك ويراك، ومحاسبك على ما اقترفته جوارحك.

استحضر دومًا إن فكرت في مبارزة الخالق بالمعصية أنه ربما تقبض روحك وأنت على هذه المعصية.

ماذا ستقول لربك؟!

ستبعث على ما مت عليه، كيف ستقابله؟!

بماذا ستجيبه إن سألك عن ذنبك وقال لك: ألم أنهك عن هذا الذنب؟

أجبني بالله عليه، لا يمر هذا الحديث عليك مرور

الكرام، فوالذي خلقك إني لك ناصح وعليك مشفق ومحب.

لو استشعر العبد هذه الحقيقة ووقرت في قلبه ما عصى ربه أبدًا..

أذكرك بتلك القصة، قال عبد العزيز بن أبي رواد حضرت رجلا عند الموت يلقن الشهادة لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال: فسألت عنه فإذا هو مدمن خمر، وكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب فإنها هي التي أوقعته.

لقد كان خير الخلق بعد الأنبياء وهم الصحب الكرام يخافون من سوء الخاتمة ألا تخاف مثلهم؟!

هل أنت أكثر عملًا وأطهر قلبًا، وأعلم وأشد خشية لله منهم؟!

بكى أحد الصحابة عند موته فسئل عن ذلك فقال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَبَضَ خَلْقَهُ قَبْضَتين فَقَالَ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا**

أَدْرِي فِي أَيِّ الْقَبْضَتَيْنِ كُنْت»[١].

وهذا كان حال السلف الصالح، اقتفوا أثر الصحابة الكرام، فخافوا من سوء الخاتمة وعملوا من أجلها، قد كان سفيان يشتد قلقه من السوابق والخواتيم فكان يبكي ويقول: أخاف أن أكون في أم الكتاب شقيًا، ويبكي ويقول: أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت.

لقد دفعهم الخوف من الله ومن سوء الخاتمة إلى الجد والاجتهاد في العبادة، حتى كان أحدهم يقوم الليل كله، ومع ذلك يخاف من سوء الخاتمة، فقد كان مالك بن دينار يقوم طول ليله قابضًا على لحيته، ويقول: يا رب قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ففي أي الدارين منزل مالك؟

لقد خافوا من الله وأهوال يوم القيامة، وحذروا منها الخلق، فها هو حاتم الأصم يقول: «**من خلا قلبه من**

(١) أخرجه: أحمد رقم (١٧٥٩٣).

ذكر أربعة أخطار فهو مغتر فلا يأمن الشقاء:

الأول: خطر يوم الميثاق حين قال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي فلا يعلم في أي الفريقين كان.

والثاني: حين خلق في ظلمات ثلاث، فنادى الملك بالشقاوة والسعادة ولا يدري أمن الأشقياء هو أم من السعداء؟

والثالث: ذكر هول المطلع فلا يدري أيبشر برضا الله أم بسخطه؟

والرابع: يوم يصدر الناس أشتاتًا فلا يدري أي الطريقين يسلك به؟».

أتأملت معي حال الصحابة الكرام ومن بعدهم من سلف الأمة الصالح كيف كانوا يخافون على أنفسهم من الذنوب والمعاصي؟

ألا تتعجب من حالنا في هذا الزمان؟! بعضنا يعيش في الدنيا وكأنه ضمن الجنة، يقترف المعاصي ويبارز الله

بها ومع ذلك يأمن من النار ومن عذابها.

لقد جمع الصحابة والسلف بين الطاعة والجد والاجتهاد في العبادة والخوف من الله ومن عقابه، ونحن جمعنا بين التفريط في جنب الله وفعل ما يغضبه وبين الأمن من عقابه.

فشتان بيننا وبينهم، لابد من مراجعة النفس، ومحاسبتها على أعمالها، وإلجامها، وإيقافها عند حدها، قبل فوات الأوان، قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه ندم.

ربما تتعجب إن علمت أن الصحابة الكرام كانوا لا يخافون على أنفسهم من المعاصي فقط بل وصل الأمر بحالهم إلى الخوف من النفاق وكان يشتد قلقهم وجزعهم منه.

وهذا الذي ينبغي أن ينتبه له المؤمن، يخاف على نفسه النفاق الأصغر ويخاف أن يغلب ذلك عليه عند الخاتمة فيخرجه إلى النفاق الأكبر.

الزم هذا الدعاء ولا تتركه في يوم من الأيام إلى أن تلقَ ربك واستشعر معانيه بقلبك ففي ذلك النجاة.

وقد كان نبيك ﷺ يكثر أن يدعو به: « **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»(١)، «**يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّف قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ**»(٢).

فلا تأمن من سوء الخاتمة وإن بلغت من العلم والعبادة مبلغًا، فهذا بلعام بن باعوراء أعطاه الله اسمه الأعظم الذي إذا سئل به أجاب سبحانه وتعالى، وماذا كانت النتيجة؟!

كان من الغاوين الهالكين بسبب تركه للحق واتباع هواه ومناصرته أهل الضلال، قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى

(١)أخرجه: أحمد رقم (٢٦٦٧٩)، والترمذي رقم (٣٥٢٢).
(٢)أخرجه: أحمد رقم (٩٤٢٠).

ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [[الأعراف: ١٧٥ – ١٧٦].



الخاتمة

بعد أن طفنا سويًا في مشاهدة آثار أسماء الله الحسنى على خلقه، وقد وصلنا إلى الخِتام، وكل شيء له بداية لابد له من نهاية، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

إن مشاهدة آثار أسماء الله تدعو من كان له قلب إلى التعلق بخالقه.

الراحة والأنس

فلا يسكن القلب ولا تهدأ النفس إلا بالأنس بالله والقرب منه، واتباع ما أمر والبعد عما نهى عنه وزجر.

ولا راحة للجسد ولا أُنس للنفس إلا بذكره وتلاوة كتابه، والوقوف بين يديه ومناجاته، والتضرع والتذلل لخالقه، وترطيب اللسان دومًا بالتسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار، والدعاء.

الشرود والحزن

وإن ابتعدت النفس عن خالقها، وشردت كما يشرد البعير، وظلت على ذلك حتى أتتها منيتها، فما أقلعت عما فعلت، وما استغفرت مما كسبت، وما ندمت على ما اقترفت، وما عزمت على العودة؛ عوقبت بما كسبت، وحزنت على ما فرطت، وندمت على ما اقترفت، وعضت على يديها، لكن لن يجدي الندم ولا الحزن شيئًا، فقد قضي الأمر وانتهى الاختبار وانفض السوق، وبدأ الحساب في الدار الآخرة.

وأخيرًا

وقبل أن أتركك أنصحك نصيحة المحب.

لا تترك مطالعة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى في كتاب الله، وفي كتب التفاسير، وفي المصنفات التي انفردت بالحديث عنها.

ستدفعك كثرة مطالعتها إلى أن تحب ربك.

فإن أحببته دفعك ذلك إلى البحث عن فعل ما يرضيه، واجتناب ما يغضبه.

ॐ إن أحبك ॐ

فإن فعلت ذلك أحبك، فهداك وأرشدك وأعزك وأكرمك ونصرك، وكنت وليًا من أوليائه.

إن أحبك سخر جميع أعضاءك إلى فعل ما يحبه من الطاعات، وما يرتضيه من الأقوال والأعمال.

إن أحبك عصمك عن فعل ما لا يحبه ولا يرضى عنه.

إن أحبك كان سمعك الذي تسمع به، فلا يسمع إلا ما أمر به.

إن أحبك كان بصرك الذي تبصر به فلا يبصر إلا ما أباحه.

إن أحبك كان يدك التي تبطش بها، فلا تمتد إلا إلى الحلال.

إن أحبك كان رجلك التي تمشي بها فلا تسلك طريقًا إلا طريقًا يرضى به عنك.

إن أحبك استجاب دعاءك وتقبل عملك، وشكرك بالزيادة.

إن أحبك حبب فيك أهل السماوات وأهل الأرض.

إن أحبك جعل لك القبول في الأرض.

إن أحبك جعل الجنة مقرك، وجمعك مع أحبابك وأهل بيتك في جنة المأوى.

تضرع ورجاء

ارفع يدك واستشعر تلك الكلمات بقلبك ورددها بلسانك.

اللهم نسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك.

واجمعنا مع حبيبنا وقدوتنا محمد بن عبد الله والصحب الكرام في الفردوس الأعلى من الجنة ووالدينا

وأهلينا وذرياتنا ومشايخنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على نبينا محمد عدد ما خلقت.

وارض اللهم عن الصحب الكرام ومن تبعهم بإحسان.

واغفر اللهم للمسلمين والمسلمات المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.



فهرس الموضوعات

